



کتاب قومیہ

اسرائیل الزائفة



تأليف فريد عبد السد جوجي
ماجستير في العلوم العسكرية

كتب قومية

الرائيل الزائفة

تأليف فريد عبد الله جوي
ماجستير في العلوم العسكرية

وعد الله حق .. اما وعد بلفور فباطل

((لانه هكذا مكتوب بالنبي . وانت
يا بيت لحم ارض يهوذا لست
الصغرى بين رؤساء يهوذا . لان
منك يخرج مدير يرعى شعبى
اسرائيل

(متى ٢ : ٦)

اهراء الكتاب

الى العائدين لديارهم باذن الله برهانا على
حقهم فى العودة الى الساحتين عن الحق
شعاعا يهديهم سواء السبيل الى ذوى الضمائر
الحية فى العالم مرشدا يقودهم فى طريق
العدل حتى لا يكون فى العالم ظلم باسم وعد الله .

مقدمة

بعد أن ألقى مستر أرنست بيفن خطابه في مجلس العموم البريطاني في الثالث عشر من نوفمبر عام ١٩٤٥ بشأن فلسطين ومطالب اليهود في إقامة وطن قومي لهم فيها أضاف في لهجة مسرحية « اننى سأجعل مستقبل السياسى كله رهنا بحل هذه المشكلة » .

وفى مؤتمر عقده عقب انتهاء جلسة المجلس أوضح مستر بيفن رغبته الشديدة فى أن يدرك العالم كله المقدرات العالمية الخطيرة المعرضة للضياع والتي تمس الجنس والعقيدة ثم انتهى بقوله « وهذا مالا يمكنكم ادراكه تماما ما لم تقرأوا الكتاب المقدس والقرآن كما فعلت » .

ومهما يكن من امر فمن المؤكد أن مستر بيفن لا يمكن أن يكون قد قرأ القرآن كما يجب أن يقرأ . ولا بنفس الايمان الصادق الواجب توافره فى قارئه حقا . أما عن الكتاب المقدس فان مثله فى ذلك مثل الكثيرين فى العالم المسيحى فى الغرب ، وخصوصا فى الدول التى تدين بالذهب البروتستانتى ، فانهم يظنون أن ارتباط اليهود بفلسطين له سند من الدين ، وأن تجمعهم فى هذا المكان هو احقاق لنبوءات وردت فى العهد القديم من الكتاب المقدس .

وبالرغم من أن الصهيونية مبدأ سياسى يستهدف فى المقام الاول اقامة دولة يهودية لها مقومات القوة والسيادة . وليست دينا أو معتقدا . بدليل أن تيودور هرتزل مؤسس الصهيونية كاذ يوافق عام ١٩٠٣ على الاقتراح الذى تقدمت به الحكومة البريطانية بجعل « أوغندا » معقلا للاستعمار الصهيونى ، لولا أن أغلبية رفقاءه من الصهيونيين القدامى عارضوه وتحولوا الى فلسطين لتكون غنيمتهم . وبالرغم من

أن « وعد بلفور » نفسه أباح لهم فلسطين وطننا قوميا ، فإنهم أصرروا على إقامة دولة يهودية ، ولم يكتفوا بأن تكون فلسطين وطننا روحيا تهفو الى مقدساته قلوبهم ونفوسهم كما تهفو قلوب ونفوس المسيحيين والمسلمين في العالم أجمع بل وكثير من اليهود أيضا وهم الذين يعارضون فكرة انشاء الدولة اليهودية .

وعلى كل فان ادعاء اليهود ، بل ان ادعاء الصهيونية العالمية في أن لليهود حقا في فلسطين وان هذا الحق مبني على أساس من الدين والنبوءات هو ادعاء باطل ، يجب ألا يسلم به الناس وخصوصا في العالم المسيحي ، كما سنفصله في هذا الكتاب .

أما حل مشكلة فلسطين حلا نهائيا واقعيا ، فلا يمكن ان يتم الا برفع الظلم الذي أوقعه الاستعمار متعمدا - مستخدما في ذلك الصهيونية العالمية ومتعاوننا معها - بالعالم العربي عامة وبشعب فلسطين خاصة ، وبأن يعود هذا الشعب المعتدى عليه الى موطن آبائه وأجداده ، مع تعويضه تعويضا كاملا عما أصابه من عسف وأذى ، ليكون لبنة قوية صالحة في صرح البنيان العربي الناهض للعمل لخير الانسانية ورفاهيتها وللسلام العالي .

الؤلف

سبتمبر ١٩٦٤

تمهيد

في ١٣ من نوفمبر عام ١٩٤٥ وفي مجلس العموم البريطاني وقف
المستر أرنست بينن وزير خارجية إنجلترا في ذلك العهد ، وأدلى بتصريح
خطير قال فيه ان الولايات المتحدة الامريكية ستتعاون مع بريطانيا في
محاولة للوصول الى حل في المشكلة اليهودية ، وأن حكومة الولايات
المتحدة الأمريكية قد وافقت على انشاء لجنة تحقيق أمريكية - انجليزية
مشتركة لبحث أوضاع وحالة اليهود في أوروبا وكذلك لبحث الأحوال
في فلسطين ، وان هذه اللجنة سترفع نتيجة أبحاثها للأمم المتحدة
وعلى أن أبحاث هذه اللجنة ستدور في نطاق الموضوعات الآتية :

١ - بحث الموقف السياسي والاقتصادي والاجتماعي في فلسطين
بالنسبة لهجرة واستيطان اليهود بها .

٢ - بحث حالة اليهود في دول أوروبا التي أصاب المقيمين بها
منهم الاضطهاد النازي والفاشي ، وتقدير عدد الذين يرغبون في الهجرة
أو الذين تضطروهم الظروف الى ذلك .

٣ - الاتصال بمندوبي كل من اليهود والعرب والتعرف على
وجهات نظر كل منهم لتقديم اقتراحها للحكومتين الأمريكية والانجليزية
تبعاً لتلك الاتصالات .

٤ - تقديم أي اقتراحات أخرى للحكومتين لمواجهة الموقف
المباشر والاحتياجات العاجلة .

وكانت العواقب النهائية لهذا التصريح وذلك الاجراء أحداثاً

جساما أصابت العالم العربى بأجمعه ، وشعب فلسطين على وجه الخصوص ، بأكبر نكبة حلت به فى تاريخه الطويل الحافل .

ولقد كان كثير من المؤرخين يعتبرون خروج العرب من الأندلس من أعظم النكبات — ان لم تكن أعظمها — التى حلت بالعالم العربى منذ بدأ العرب تحت راية الاسلام وفى ظل تعاليمه السمحة ينشرون حضارتهم الأصيلة العريقة النابعة من مهد الرسالات السماوية وموطن الوحي الالهى . الا أن تلك النكبة على فداحتها لا يمكن أن تقارن بنكبة العالم العربى فيما أصاب شعب فلسطين وفيما هو مبيت الباقى شعوبه .

أما شعب فلسطين ، فقد أخرج من دياره وموطن آبائه وأجداده، وصار أفواجا من اللاجئين يعوزهم المسكن والمأكل والملبس ، وذلك لتحل محله اشتات متفرقة من شعوب متباينة لا يجمعهم ببعضهم البعض ولا يجمعهم بهذه الأرض وتلك الديار التى اغتصبوها صلة من قرابة أو اقامة أو جوار ولا حتى القليل من المعرفة . فأغلب ذلك الخايط يهود من جميع أطراف العالم دفعتهم الصهيونية تحت حراسة أسلحة الاستعمار وفى حمايته من مناطق تختلف اختلافا تاما من حيث البيئة والمناخ وطبيعة الأرض ، ولم يكن لهم فى فلسطين قبل ذلك اليوم ولد أو قريب .

أما بقية العالم العربى ، فقد حدثنا السيد الرئيس جمال عبد الناصر عما بيته لهم المستعمرون فيما ذكره « الميثاق » الذى قدمه سيادته للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية فى ٢١ مايو ١٩٦٢ فى الباب الرابع منه : « ان قطعة من الأرض العربية فى فلسطين قد أعطيت من غير سند من الطبيعة أو التاريخ لحركة عنصرية عدوانية أرادها المستعمار لتكون سوطا فى يده يلهب به ظهر النضال العربى اذا استطاع يوما أن يتخلص من المهانة وأن يخرج من الأزمة الطاحنة . كما أرادها المستعمار فاصلا يعوق امتداد الأرض العربية ويحجز الشرق عن الغرب . ثم أرادها عملية امتصاص مستمرة للجهد الذاتى للأمة العربية تشغلها عن حركة البناء الإيجابى » .

وبالرغم من أن الصهيونية حركة عنصرية قديمة كانت ولا تزال تسيطر على عقول بعض غلاة اليهود وتحركها مطامع المستعمرين على حسب تطورات الأحوال وتغير الظروف فى العالم ، وبالرغم من أن جذور تلك الحركة قديمة جدا ، فانها لا تجد اقبالا يذكر من يهود العالم الذين

كانوا يعيشون حيث يولدون وحيثما ينشأون كما يعيش باقي الناس
لا يهاجر منهم الا قلة ممن نبت بهم اوطانهم او عز عليهم العيش السهل
فيها لسبب او لآخر من الأسباب . وحتى الذين كانوا يضطرون
للهجرة ، كانوا في معظم الأحيان يتوجهون الى مناطق أخرى غير فلسطين
كالولايات المتحدة الأمريكية او كندا او جنوب أمريكا او استراليا
او جنوب افريقية حيث فرص العيش والثراء اكثر وحيث المناخ والعمل
أطيب .

الجزء الأول

من الشيخ

الباب الأول

البداية والحرب العالمية الأولى

(أ) انحياز بريطانيا :

عندما بدأت نذر الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ - ١٩١٨ - تلوح في الأفق كان العالم العربى كله يروح تحت عبء الاستعمار التركى . وكانت الامبراطورية العثمانية فى طريقها الى التحلل برغم اتساع مواردها وكبر رقعتها . وكان الاستعمار الغربى يقف متربصا موجهة التفاته نحو « الرجل المريض » يحاول أن يستخلص من برائنه ما يستطيع استخلاصه ليكون لنفسه امبراطوريات شابة قوية . وكانت الحركة الصهيونية أيضا ترقب الفرصة محاولة الحصول على غرضها فى الوصول الى « أرض الميعاد » . ولقد عملت كل هذه الاطراف مستغلة فترة القلق والتربص السابقة للحرب ثم مستخدمة ظروف القتال وتطوراتها فى تهيئة السبيل للوصول الى أغراضها .

وقد بدأت الصهيونية مساعيها لتعزيز قوتها فى فلسطين بمحاولات كثيرة لدى السلطان عبد الحميد الثانى . وكانت آمالها فى ذلك الوقت تنحصر فى أن يسمح لها بزيادة عدد اليهود فى فلسطين . ولكن السلطان عبد الحميد رفض هذه الطلبات برغم المساعى العديدة التى بذلت لديه ولدى المقربين منه من الحكام . ولما بدأ كيان حزب تركيا الفتاة يلوح فى الأفق ، جددت الصهيونية مساعيها لديهم ، وبالنسبة للنفوذ الكبير الذى كان لليهود فى دول وسط أوروبا ، فقد مال قادة حزب تركيا الفتاة فى البداية نحو مساندة وجهة النظر الصهيونية . ولكن فى خريف عام

١٩١٢ ، ثار الفلاحون العرب في فلسطين لما استولى اليهود على منطقة زراعية كبيرة في سهل « أزدراثيلون » وهددوا بطرد الزارعين العرب منها . وعندئذ ، لم ير قادة تركيا الفتاة بدا من أهمال المطالب الصهيونية . أو على الأقل ، عدم التحمس لمساعدتها في تنفيذ أغراضها

وعند بداية الحرب العالمية الاولى ، كان مقر الحركة الصهيونية في برلين . ولما دخلت تركيا الحرب الى جانب ألمانيا استقر رأى « الدكتور حاييم وايزمان » على أن يوثق علاقته بالحلفاء أيضا ، حتى اذا ما انتصر أى الفريقين لم يعدم أن يجد لقومه نصيرا . وعلى هذا الاساس بدأ اتصالاته في انجلترا . ولكن الرأى العام البريطانى كان لا يستسيغ فكرة الصهيونية العالمية في احتلال فلسطين . وعلى ذلك ، وفي بداية عام ١٩١٥ رفضت حكومة المستر « اسكويث » فكرة ضم فلسطين الى ممتلكات بريطانيا العظمى توطئة لتوطين اليهود فيها ، والتي تقدم بها « مستر هربرت صمويل » (لورد فيما بعد) أحد أعضاء الوزارة ومن القلائل المتحمسين للصهيونية في بريطانيا . ولكن وايزمان لم ييأس ، بل استمر في محاولاته واتصالاته وخصوصا عن طريق صديقه « آرثر جيمس بلفور » . وبعد عامين ، تولى « المستر لويد جورج » رئاسة الوزارة وضم اليه « مستر بلفور » كوزير للخارجية ، وبذلك أصبحت المحادثات دائرة في نطاق رسمى بين قادة الحركة الصهيونية وعلى رأسهم « اللورد روثشيلد » وبين عضو الوزارة ووزير الخارجية والممثل الرسمى لها « مستر بلفور » . وبالتالي اتجه الموقف في بريطانيا اتجاها مغايرا تماما .

(ب) تركيا والعرب :

كان العرب تحت الاستعمار التركى ، وكان السلطان هو خليفة المسلمين ، وكانت الآستانه كعبة الراغبين في رضاء الخليفة وكسب وده وعطفه والطامعين في الحكم والسلطان ، ولكن العرب كانوا يطلبون الحرية والاستقلال . وقد كان الحكم التركى كأى حكم استعمارى غير مرغوب فيه ، فضلا عن أنه كان يتسم بالشدة والعنف والاستغلال ، وكان جواسيس الحاكَم منتشرين في جميع أرجاء الامبراطورية العثمانية ، والويل لمن يشتبهون فيه أو لا يرضون عنه . ولذا بدأت الجمعيات السرية في التكوين في مختلف أنحاء الامبراطورية وحتى في الآستانه نفسها ، ولكنها كانت أنشط ما تكون في سورية . وبدأت تضم اليها ذوى الرأى والهمة وكل من له نفوذ أو سطوة بين قومه ، وبدأت دعوى الحرية والاستقلال تنتشر في شبه جزيرة العرب والاردن والعراق ولبنان

وفلسطين . أما في مصر ، التي وضعها الانجليز تحت «الحماية البريطانية» ، فقد كان «اللورد كتشنر» في القاهرة يتلفت ذات اليمين وذات اليسار منصتاً لهمسات التذمر يطلقها العرب كرها للحكم التركي ، وأحاديث الأمل في الحرية والاستقلال . وكانت بريطانيا تخشى أن يعلن السلطان «الجهاد» أو الحرب المقدسة ضدهم وضد حلفائهم بما له من حقوق الخلافة . فهو خليفة الله وواجب المسلمين أن يطيعوه عملاً بقوله تعالى « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » (قرآن كريم) .

لهذا ، تحركت أذرع الأخطبوط البريطاني في كل مكان . ولما كان شريف مكة وأولاده الأمراء يحلمون بإعادة أمجاد الدولة العباسية إذا ما استطاعوا أن يتخلصوا من الاستعمار التركي ، فقد سارع الأمير عيد الله ثاني أبناء «شريف مكة» بزيارة القاهرة ومقابلة كتشنر . وعندئذ أُتيح للاستعمار البريطاني أن يلعب لعبته الكبرى في العالم العربي ، فثار العرب في يونية عام ١٩١٦ على تركيا يشجعهم وعد الانجليز لهم على لسان «السير هنري ماك ماهون» في أكتوبر عام ١٩١٥ بالاعتراف لهم بالاستقلال .

ولكن ، كانت للأخطبوط البريطاني في الوقت نفسه ذراع أخرى تسعى خفية بوساطة «سير مارك سايكس» الى عقد اتفاق مع الفرنسيين والروس لتوزيع أسلاب الامبراطورية التركية .

وما كاد «السير هنري ماك ماهون» ينتهي من عقد صفقته مع «الشريف حسين» حتى كانت الاتصالات قد دارت بين وزارة الخارجية البريطانية وبين الحكومة الفرنسية دون أن يدري «الشريف حسين» شيئاً عن ذلك ، ودون أن تحاط الحكومة الفرنسية علماً بالاتفاق والوعد اللذين عقدتهما بريطانيا مع العرب في شخص «الشريف حسين» وأولاده .

واجتمع «السير مارك سايكس» بزميله الفرنسي «مسيو جورج بيكو» الذي كان يعمل قنصلاً لفرنسا في بيروت في السنوات السابقة على الحرب وتوجها معا في منتصف مارس ١٩١٦ الى «بتروجراد» لمناقشة مقترحاتهما واتفاقهما مع الحكومة «القيصرية» . أما نصيب روسيا في هذه الاتفاقية فقد كان خارج نطاق الأراضي العربية ، بل ان نشوب الثورة في روسيا واستيلاء الثوار على السلطة في نوفمبر عام ١٩١٧ أخرج روسيا من الاتفاق ، وأصبح الاتفاق بين انجلترا وفرنسا ثنائياً عرف فيما بعد باتفاقية «سايكس - بيكو» . وتهدف هذه الاتفاقية الى وضع العالم العربي تحت سيطرة انجلترا وفرنسا مناصفة . وكان الثوار

عند استيلائهم على الحكم فى روسيا قد نشروا أصل وثيقة الاتفاق مما أذاع سرها وأدخل القلق الى قلوب العرب أجمعين . ولكن فى ذلك الوقت، وعند اعلان هذا السر ، كانت ثورة العرب تنير بنجاح بمساعدة « لورنس » الذى كان قلبه ينبض بالايمان الصادق بحق العرب وبعادلة قضيتهم ، فاستطاع أن يحثهم على الاستمرار فى ثورتهم فمضت متعللة بأمان وآمال كبار ، وبأن العرب عندما يمثلون فى مؤتمر الصلح ضمن المنتصرين يستطيعون أن يصلوا بقضيتهم الى بر الامان ويأخذ كل ذى حق حقه .

(ج) وعد بلفور :

فى وسط كل هذه الاحداث لم تنس الصهيونية هدفها . وصمم « الدكتور وايزمان » على أن يحصل على وعد من بريطانيا بالتمشى معهم فى أملهم الكبير . واستطاع بمساعدة صديقه « بلفور » أن يحصل من الحكومة البريطانية على ما يحقق أمله . ومن الواضح أن الكتاب الذى وجهته وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ الثانى من شهر نوفمبر ١٩١٧ بامضاء « بلفور » وزير الخارجية الى « اللورد ردتشيلد » كان يمكن أن يصدر قبل موعده هذا بوقت طويل لولا وجود عارضين قوين عملا على تأخير توجيهاه . أولهما معارضة اليهود غير الصهيونيين من الانجليز أنفسهم (ممثلين فى لجنة مندوبى اليهود الانجليز وفى الاتحاد الانجليزى - اليهودى) والذين كان يدافع عن وجهة نظرهم « أروين منتاجو » الوزير المختص بشئون الهند . وهؤلاء كان يزعمهم أن تتطور الصهيونية كنظرة روحية تجعل من فلسطين وطنا روحيا الى صهيونية سياسية تريد أن تجعل لليهود قومية وجنسية مرتبطة بأرض فلسطين ولا ترتبط بجنسيتهم الاصلية . وتكهنوا بأن مثل هذا الاجراء سيجعل كل من يستوطن فلسطين من اليهود تحت جنسية اسرائيلية يوصم فى بلده التى هاجر منها بأنه أصبح أجنبيا عنها ، وبذلك تهدم الجهود الطيبة التى يكون قد بذلها ذلك المواطن فى الحصول على مركزه فى بلده الاصلية . أما العارض الآخر فكان اصرار فرنسا على عدم التفريط فى فلسطين باعتبارها جزءا لا يتجزأ من سورية التى كانت تعدها من نصيبها فى اتفاقية «سايكس - بيكو» . وعارضتها بريطانيا فى ذلك بشدة ، وأصرت على وضع فلسطين تحت سيطرتها بأية وسيلة حتى تملك ميناءا فى خليج « يافا - عكا » يكون تحت سيطرتها ويكون مخرجا للعراق - الذى كان من نصيبها فى اتفاقية «سايكس - بيكو» - على البحر الابيض المتوسط .

وفى الوقت نفسه حتى لاتصبح أية دولة قوية على مسافة قريبة من قناة السويس وطريق الهند البحرى . وهو السبب الذى نتج عنه التقسيم المقترح فى اتفاقية « سايكس - بيكو » ، تمشيا مع العقيدة الاستعمارية البريطانية وعداء « بالمرستون » لفكرة وجود كتلة عربية متحررة ذات سيادة وكيان عبر الطريق البرى الى الهند . كما أن هذا التقسيم سيصبح حاجزا مصطنعا بين وحدة العرب .

وفى النهاية . . . نجح وايزمان فى الحصول على الكتاب السالف الذكر وجاء فيه : « أن بريطانيا تعد بالنظر بعين الرعاية والعطف الى أمل الصهيونية فى انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين . وأن بريطانيا ستستخدم كل ما بوسعها لتحقيق هذا الامل . على ألا ينتج عن ذلك أى اضرار أو تعويق للحقوق المدنية والدينية للهيئات غير اليهودية الموجودة فى فلسطين أو أن يؤثر ذلك على الحقوق أو الاوضاع السياسية لليهود فى البلاد الاخرى » . وطلب « بلفور » فى نهاية هذا الخطاب الموجه الى « اللورد ردتشيلد » أن يعلن هذا الوعد الى المنظمة الصهيونية .

وكان هذا الكتاب هو ما سمي بعد ذلك « وعد بلفور » ذلك الوعد الذى وصفه الرئيس جمال عبد الناصر أدق وأبلغ وصف حينما قال عنه (انه وعد من لا يملك لمن لا يستحق) .

وتضاربت الآراء وتعددت الاقوال فى الاسباب التى حصل بسببها هذا الوعد ، لان الاسباب الحقيقية أخفيت عمدا خلف ستار كثيف من الدعاية والاساطير . وقيل انه صدر لاكتساب العناصر الصهيونية القوية التى كانت فى ألمانيا والنمسا الى جانب الحلفاء وحتى لا يفقدوا عطفهم على قضيتهم اذا ما أصدرت ألمانيا وتركيا وعدا مماثلا ، أشيع يومئذ أنهما كانتا على وشك اصداره ، وفى الوقت نفسه للتقليل من عنف اليهود الموجودين فى دول الحلفاء تجاه روسيا واعطاء هؤلاء اليهود الذين كانوا يبذلون أقصى الجهود فى القضاء على الحكم القيصرى حافزا لابقاء روسيا فى الحرب . كما قيل ان السبب الثانى يرتبط بتكوين الامبراطورية البريطانية والرغبة فى جعل فلسطين تحت سيطرة بريطانيا كحلقة اتصال لتعزيز مواقع قواتها فى مصر وقناة السويس . وقيل ان السبب الثالث هو أن اليهود فى العالم قد اكتثبوا بمبالغ كبيرة فى سندات الحرب البريطانية وانهم كذلك ساعدوا على سرعة دخول الولايات المتحدة الامريكية الحرب الى جانب الحلفاء . كما قيل أيضا ان ذلك الوعد صدر مكافأة للدكتور وايزمان على اكتشافه نوعا جديدا من المفرقات قدمه الى الحكومة

البريطانية في الوقت المناسب . ومهما كانت حقيقة الاسباب التي دعت الى اصدار هذا الوعد فانه من المؤكد انه لم يصدر الا بعد أن اطمأن «لويدي جورج» الى أن قادة الصهيونية العالمية - وكانوا لا يعلمون بحقيقة اتفاقية «سايكس - بيكو» حتى ذلك الوقت - قد وافقوا على ابعاد فرنسا عن حكم فلسطين لا بمفردها ولا بالاشتراك مع بريطانيا . وانه ما دامت بريطانيا تعد بمساعدتهم على الحصول على آمالهم فانهم سيبدلون امكانياتهم لتصبح بريطانيا المسيطرة الوحيدة على فلسطين .

أذيع « وعد بلفور » رسميا بعد بضعة أيام من صدور خطاب وزارة الخارجية السالف الاشارة اليه ، أي بعد ثمانية عشر شهرا تقريبا من بدء ثورة العرب التي قادها « الشريف حسين » اعتمادا على وعد بريطانيا له باحترام استقلال البلاد العربية بما فيها فلسطين التي هي جزء لا يتجزأ منها .

وكان لاعلان « وعد بلفور » وقع سييء في جميع أنحاء العالم العربي ، وكان كله تقريبا على صلة بالحلفاء وبمجهودهم الحربي . وحتى الذين كانوا لا يدركون تماما مدى وعود الانجليز « للشريف حسين » بالنسبة لاستقلال البلاد العربية فقد ساءهم أن تصيب فلسطين بكارثة على هذا النحو القاسي . بل انهم اعتبروا أن ذلك الوعد - على الأقل - هو حرمان لعرب فلسطين من الحرية الكاملة في وطنهم .

وكانت الاخبار قد وصلت أول ما وصلت الى مصر ، وكان بعض من قادة العرب مجتمعين بها ، فاثارت موجة عارمة من السخط بينهم ، وتتابعت احتجاجاتهم . ووصلت أصوات تلك الاحتجاجات الى كل مكان من العالم العربي . وبالرغم من أن السلطات البريطانية كان لديها في ذلك الوقت رقابة قوية على الاخبار بحكم الموقف العسكري ، وبرغم انتظام وشدة الدعاية البريطانية ، فقد عانت تلك السلطات الكثير حتى لا تنهار ثورة العرب .

وفي الجزء المحتل - حين ذاك - من فلسطين اجتهدت السلطات البريطانية كثيرا وعملت القيادة العسكرية بكل قوتها على اخفاء هذا الخبر . أما « الملك حسين » - كما أصبح يسمى - فقد نزل عليه الخبر نزول الصاعقة ، وطلب أن يعرف القصد بهذا الوعد ومداه . فأرسل اليه «دافيد جورج هوجارت» أحد رؤساء المكتب الغربي بالقاهرة ، حيث قابله في « جده » في الاسبوع الاول من يناير عام ١٩١٨ . واستطاع «هوجارت» طمأنة الملك حسين في المقابلة التي عقدتها معه ، وبالرسالة

التي حملها اليه شفويا باسم الحكومة البريطانية اذ أكد له تأكيدا صريحا أن اقامة أو استيطان اليهود في فلسطين لن يسمح به الا تمشيا مع مبادئ الاستقلال السياسى والاقتصاى للسكان العرب . وقد اقتنع «الملك حسين» بهذا التأكيد حتى انه عمل في الايام التالية على تهدئة الجو العربى ، وأرسل لأعوانه البارزين في مصر وفي قوات الثورة يبلغهم انه أعطى التأكيدات القاطعة من الحكومة البريطانية على أن استيطان اليهود لفلسطين لن يتعارض مع استقلال العرب في هذه المنطقة ، وحثهم على استمرار التمسك بوعود بريطانيا عاملين جهدهم على انجاح الثورة للحصول على خريتهم . كما أمر أولاده أن يعملوا جهدهم على ازالة التأثير السيئ الذى أوجده اعلان وعد بلفور في نفوس أتباعهم ، كما أرسل رسولا خاصا الى «فيصل» في العقبة بتعليمات مشابهة .

ثم صدر مقال في جريدة « القبلة » في مكة في ٢٣ من مارس عام ١٩١٨ - ومن المعتقد أن الملك حسين كتبه بنفسه - واعتبر هذا المقال بالاضافة الى أهميته التاريخية . مرآة للشعور العام للعالم العربى تجاه اليهود قبل ظهور الصهيونية العالمية على حقيقتها السياسية على مسرح الحوادث .

أما في مصر ، فقد لاقت الجهود التي بذلتها السلطات البريطانية لتخفيف وقع «وعد بلفور» ولتفسيره تفسيراً مرضياً مهدداً بعض النجاح ، وفي مارس وصلت القاهرة لجنة صهيونية برئاسة وايزمان نفسه في طريقها الى فلسطين ، وبذلت اللجنة مجهودات جبارة لازالة قلق العرب وتصفية الجو بينهم وبين من استطاعوا مقابلتهم . وتقابل وايزمان وبرفقتة « الماجور أو رمزباى جور » مبعوث وزارة الخارجية البريطانية ، والذي كان يعمل مع اللجنة كمندوب سياسى ، ببعض القادة العرب في محاولة لتسكين خواطرهم وابعداد القلق عن نفوسهم ، وقد نجحوا في مساعدتهم الى حد ما .

(د) اتفاقية سايكس - بيكو :

في ربيع عام ١٩١٨ افتضحت اتفاقية «سايكس - بيكو» ، وانكشف الستار عن محتوياتها ، فثار شعور العالم العربى ثانية ثورة عارمة جامعة . فقد كان افتضاحها مما يلقي شكاً كبيراً على نوايا الحلفاء نحو العرب ونحو وعد بلفور . وتعرضت العلاقات العربية - الانجليزية الى هزة عنيفة كادت تقتلعها من جذورها وخصوصا في القاهرة حيث كان

يقيم سبعة من زعماء العرب كانوا على علم تام بمدى وعود وتأكيدات بريطانيا للعرب ، فأيقنوا أن وراء هذه المناورات ما يزعزع الثقة في وعود الحكومة البريطانية للعالم العربي . ولذلك ، أصدروا بيانا الى الحكومة البريطانية في شكل مذكرة رفعوها اليها وشرحوا فيها بكل جلاء الموقف كما يرونه في محيطيه الداخلي والخارجي ، وطلبوا فيه من الحكومة البريطانية تفسيرها واضحا ومسهبا عن سياسة «حكومة بريطانيا العظمى» بخصوص مستقبل البلاد العربية جمعا ، وطلبوا بالتخصيص أن تبين الحكومة البريطانية وجهة نظرها في نوع وطبيعة الحكومات العربية التي ستقوم في سورية وفلسطين والعراق بعد الحرب . كما أدلى بعض العاملين تحت امرة «الملك حسين» بتصريحات منسوبة اليه يفهم منها أنه قرر ، عند الانتصار على الاتراك ، أن يقيم اداراته الخاصة في تلك البلاد بحيث تكون مسئولة أمامه في «مكة» . أما مذكرة الزعماء السبعة فقد سلمت الى «المكتب العربي» في القاهرة رسميا لارسالها الى لندن . وطلب الزعماء أن تظل شخصياتهم على الكتمان الى أن يعود رد الحكومة البريطانية ويمكن نشر المذكرة والرد عليها معا في وقت واحد .

وفي ١٦ من يونيو عام ١٩١٨ ، ورد رد وزارة الخارجية البريطانية، وعملت بعض المراسيم الرسمية عند تسليم الرد في اجتماع عقد خصيصا لذلك في مركز قيادة الجيش ، وقدم الرد أحد كبار المسئولين من قلم المخابرات . وأخطر زعماء العرب الحاضرين (١) أن صورة من الرد الذي سلم اليهم والذي سمي «الوعد الى السبعة» قد أرسلت فعلا الى الملك حسين . ويعتبر هذا الرد أو الوعد أهم بيان أصدرته بريطانيا بخصوص ثورة العرب ، ويتمثل أهميته في أنه يؤكد جميع وعود بريطانيا السابقة للعرب بأجل بيان ، بل والأهم من ذلك أنه اعتبر تأكيدا رسميا للمبادئ التي قامت على أساسها تلك الوعود . ولقد عالج رد وزارة الخارجية البريطانية المنطقة كلها التي اعتبرها الملك حسين «منطقة استقلال العرب الشرعية» وحدد سياسة الحكومة البريطانية المستقبلية تجاهها على أساس أربع حالات كانت تصور الموقف العسكري وقت ذاك .

أما الحالتان الأوليان ، فتشملان الاراضي العربية التي كانت حرة ومستقلة قبل الحرب ، ثم الاراضي التي حررت من الحكم التركي نتيجة

(١) كان السبعة الموقعون على المذكرة هم : رفيق العظم ، والشيخ كامل القصاب ، مختار الصلح ، عبد الرحمن شهيندر ، خالد الحكيم ، فوزي البكري ، حسن حمادة .

لعمليات قام بها العرب أنفسهم . وتشمل هاتان الحالتان شبه الجزيرة العربية فيما بين «عدن» باعتبارها خارجة الى «العقبة» باعتبارها داخلية في المنطقة . وكانت الاخيرة قد تم للعرب تحريرها أخيرا . وقد اعترفت الحكومة البريطانية « بحق سكانها في الاستقلال التام والسيادة على أرضها » .

أما الحالة الثالثة ، وتتكون من الاراضي العربية التي حررت من الحكم التركي نتيجة للعمليات الحربية التي قامت بها جيوش الحلفاء ، وتشمل العراق من الخليج (الفارسي) العربي الى خط شمال « بغداد » بقليل ، وفلسطين من الحدود المصرية الى خط شمال القدس ويافا بقليل ، فقد قررت الحكومة البريطانية أن سياستها حيال سكانها هي « أن حكوماتهم المستقبلية ستكون على حسب رغبة أهالي المنطقة » .

أما الحالة الرابعة ، وتتكون من الاراضي التي كانت لا تزال تحت الحكم التركي وقتئذ ، وتشمل الجزء الأكبر من سورية ولواء الموصل في العراق . فقد قرر الرد « ان الحكومة البريطانية ترغب في تحرير سكان تلك المنطقة لينالوا حريتهم واستقلالهم ، وأن سياسة الحكومة ستكون مواصلة العمل للوصول الى هذا الغرض » .

وبذلك تكون خلاصة الرد أو الوعد الذي سلم الى الزعماء السبعة فيما يختص بسوريا والعراق وفلسطين أن أكدت الحكومة البريطانية للعرب حقيقتين ، أو أن هذا الرد قد حقق تأكيدين هامين ، أولهما أن الحكومة البريطانية تعمل وستظل تعمل لا لتحرير هذه البلاد من الحكم التركي فحسب ، بل أيضا على انالتها حريتها واستقلالها ، أما التأكيد الثاني ، فانها أخذت على نفسها عهدا بعدم قيام حكم في أي من هذه البلاد دون رضا ورغبة أهلها .

وكان اعلان هذا البيان وهذه قوته ، حتى بعد اذاعة «وعد بلفور» وافتتاح اتفاقية «سايكس بيكو» ، عاملا لازالة مخاوف كثيرين من قادة العرب ، بل انه زاد من هممتهم ورغبتهم في الاشتراك في الهجوم النهائي على العدو . وعده كثيرون منهم ردا طبيعيا على سياسة حق تقرير المصير التي كان قد نادى بها الرئيس الامريكى « ويلسون » قبل ذلك ببضعة شهور . ولهذا ، قوبل ذلك الرد بترحاب شديد وقال عنه البعض أنه دليل قاطع مانع على أن بريطانيا مصممة على تطبيق هذه السياسة عند تقرير مصير الاراضي العربية التي كانت تحت سلطان تركيا .

وعم الفرخ والاستبشار أرجاء العالم العربى عندما أذيعت محتويات المذكرة والرد وأسماء الموقعين عليها ، وأرسلت نسخ من كل ذلك فى طول البلاد وعرضها ، كما أرسلت نسخة خاصة « للأمير فيصل » فى معسكره فى العقبة . وزال ما كان مخيما على قوات الثورة العربية من غيوم القلق وعاودتها حماستها واقدامها فى موجة من العزم والاقدام . وحقا فان هذا الرد كان أقوى من الاتفاق الذى عقد بين « حسين ومكماهون » ، فقد كان أكثر وضوحا وتحديدا ، خاليا من أية تحفظات اقليمية أو سياسية ، كما امتاز بعلانيته فقد عرفه العالم العربى كله من قاصيه الى دانيه .

وفى الشهر التالى ، وبعد بضعة أسابيع من اعلان الرد أو « الوعد الى السبعة » ، وصلت أخبار وتفصيلات خطاب الرئيس الأمريكى « ويلسون » ، والذى كان قد ألقاه فى الرابع من شهر يوليو عام ١٩١٨ ، والذى تضمن المبادئ الشهيرة التى نادى بها هذا الرئيس فى خطابه . وكان المبدأ الثانى من تلك المبادئ يتفق تماما مع ما جاء بالرد من أن ترتيبات ما بعد الحرب ستبنى على الرغبات الحرة للشعوب وأهالى المناطق . وبذلك أصبح مبدأ « حق تقرير المصير » موافقا عليه من الحكومتين الأمريكية والبريطانية بحيث يصبح كل من « وعد بلفور » واتفاقية « سايكس - بيكو » أو كلاهما معا لا قيمة لهما أمام هذا الاتفاق على السياسة المستقبلية لشعوب العالم العربى .

وأخيرا ، وقبل اعلان الهدنة ببضعة أيام ، صدر وعد آخر مشترك انجليزى - فرنسى حافلا بعهود بذلت للعرب عن مستقبل المناطق الشمالية للبلاد العربية .

فى السابع من نوفمبر ١٩١٨ ، صدر بلاغ رسمى الى صحافة البلاد فى فلسطين وسورية والعراق موجه من القيادات العسكرية البريطانية فى هذه المناطق ، قيل فيه ان أهداف الحكومتين البريطانية والفرنسية من هذه الحرب فى الشرق هو تحرير الاهالى تحريرا كاملا ونهائيا من نير الحكم التركى واقامة حكومات وطنية يختارها السكان اختيارا حرا . واستطرد البيان فى توضيح أن الدولتين البريطانية والفرنسية متفقتان فى رغبتهما أن ترىا اقامة هذه الحكومات وأن تساعدا على استقرارها وأن تعترفا بها بمجرد أن تستقر . وينتهى البيان بأن تؤكد الدولتان نبل وصفاء نواياهما ، وتصفان نفسيهما بأنهما راغبتان فى أن تكونا شاهدين فقط على مستقبل البلاد العربية التى تحكم نفسها بنفسها بحزم وعزم .

وكان هذا البيان ، الذى سمي فيما بعد « البيان الانجليزى - الفرنسى المشترك » ، والذى أعطى كل التسهيلات الممكنة للذيوغ والانتشار،

وليد ما حدث فجأة في الاراضى العربية التى كانت نحتلها قوات الحلفاء العسكرية ، وقد بدأت بحادث انزال العلم العربى في بيروت . ففي الثالث من اكتوبر وقبل دخول اول قوات انجليزية أو فرنسية ببضعة أيام ، أعلن العرب استقلالهم وسيادتهم بأن رفع « شكري باشا الأيوبي » باسم الامير فيصل العلم العربى في بيروت . ولكن ذلك العمل ساء الفرنسيين واحتجوا لدى « الجنرال اللنبي » الذى أمر ازاء ذلك بانزال العلم العربى ، وكان انزاله سببا في هياج شديد في دمشق . ووجد فيصل نفسه في موقف حرج لا يكاد يقوى على إخماد ثورة وشيكة في صفوف جيشه ، وزاد الهياج اشتعالا عندما عرف أن بيروت والموانئ الأخرى في الاراضى السورية قد وضعت تحت الاحتلال الفرنسى . كذلك وفي الوقت نفسه افتضح في دمشق نشاط الصهيونية في فلسطين مما راد الموقف اضطرابا . وكان احتلال الحلفاء لدمشق وحلب قد مكن القادة من السوريين واخوانهم العراقيين الذين كانوا يحاربون في صفوف الثورة من الالتقاء باخوانهم في الجهاد الذين كانوا مرغمين على البقاء في الوطن أو في المنفى تحت الارهاب التركى . وقد أتاح لهم هذا اللقاء فرصة تبادل الأحاديث والمشاعر ووجهات النظر ، وكان لدى المتخلفين في الوطن كثير من المعلومات حصلوا عليها من المصادر التركية . وحين نقلوا هذه المعلومات الى اخوانهم المحاربين جعلتهم يفكرون كثيرا في مغزاها وأصبحوا يشكون في صدق نوايا الحلفاء نحوهم . وانتشرت موجة من الشك والقلق عمت جميع البقاع مما اضطر « فيصل » الى الاحتجاج لدى « اللنبي » معلنا له أنه لن يستطيع كبح جماح قواته العربية ما لم يصدر تحديد رسمى مطلق لنوايا الحلفاء نحو العرب فورا . وكان من الواضح ان زمام الامور قد يفلت وتقع اصطدامات عسكرية بين قوات الحلفاء وقوات الثورة العربية ، فصدر البيان « الانجليزى - الفرنسى المشترك » على وجه السرعة ، وكان له أثر عاجل في تهدئة الاحوال ، وخمد الهياج تماما في هدى بضعة أيام . فكان لهذا البيان النتيجة نفسها التى كانت « للوعد الى السبعة » السابق اعلانه ووقف الخطر من احتمال وقوع اشتباكات مسلحة بين بريطانيا وبين حلفائها العرب .

(هـ) مؤتمر الصلح :

وضعت الحرب العالمية الاولى أوزارها وحركة التحرير العربية تنتظر جنى ثمار مجهوداتها وثمر دماء شهدائها الابرار ، وتطلب الوفاء بالوعود والتعهدات التى بذلت لها بسخاء طوال سنين الحرب الشاقة . وكان من

الواضح أن الثورة العربية قد أدت واجبهما الأكمل في احراز النصر النهائي في ميادين الشرق الاوسط مما ساعد على الوصول الى النصر النهائي للحلفاء .

ولكن حينما بدأت اجراءات مؤتمر الصلح . اتضح أن هناك بونا شاسعا بين ما وعد به العرب وبين ما تنوى كل من بريطانيا وحققتها فرنسا أن تقدماه لهم . فقد اتفقتا كلتاهما على تسوية الموقف في البلاد العربية على أسس تختلف تماما عن الوعود السابقة ، بل انه خالف تماما المبادئ الأساسية التي أعلنتها أنها ستكون ديدنهما عند وضع أسس السلام المستقبل . ولو كانت هاتان الدولتان قد استمسكتا بشرف اتفاقهما ووعودهما للعرب لما اجتاحت العالم العربي تلك الموجة الجارفة من السخط والهيّاج التي ضاع خلالها آلاف من أرواح الأبرياء والملايين من الجنّيات سواء ابان ثورة العراق عام ١٩٢٠ أو الثورة السورية عام ١٩٢٥ أو الحوادث المتكررة المتلاحقة التي حدثت في فلسطين .

أما في مصر فكانت الثورة الكبيرة التي بدأت عام ١٩١٩ ، هذه الثورة التي لم تقف منذ بدأت في ذلك التاريخ وان حجبته لفترة طويلة العناصر التي كانت تسعى لمصالحها الشخصية وأحداث الحرب العالمية الثانية . . . احتجاجت في أيدي الباشوات والبيكوات الذين تلقفوها من جهاد الشعب ، وألقوا أحزابا باسم مصر وباسم شعب مصر في البداية ، ثم تطورت هذه الأحزاب فسخروها لخدمة مصالحهم ومصالح عائلاتهم ، ولعب بهما وبهم دخیلان اتفقت مصالحهما ضد مصالح مصر وهما الاستعمار البريطاني وحاشية الملك الدخیل . وهكذا ظلت هذه الثورة كامنة في الأعماق تشع من أحداثها وتطوراتها دروسا غالية فجرت النهاية بثورة الجيش والشعب معا بقيادة الضباط الأحرار وعلى رأسهم القائد الملهم والزعيم المخلص الرئيس جمال عبد الناصر في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

وعندما توجه الأمير فيصل في يناير ١٩١٩ الى باريس على رأس وفد الحجاز لمؤتمر الصلح كانت تواجهه عقبات ثلاث . أولاهما ، طمع الاستعمار البريطاني وأحلامه الامبراطورية في امتلاك العراق وفلسطين الى جانب احتفاظه بقواته في مصر وقناة السويس . وثانيهما ، طمع الاستعمار الفرنسي في سورية كلها بما فيها لبنان لتكون امتدادا للامبراطورية الفرنسية في شرق البحر الأبيض المتوسط . وثالثهما ، طمع الاستعمار الصهيوني في فلسطين ليجعل منها وطنا قوميا لليهود .

ولتكون نقطة ارتكاز له فى البلاد العربية وللتسلسل الى افريقية . وكانت البلاد العربية تكاد تكون جميعها غاصّة بقوات الحلفاء باعتبارها أرضا مغتصبة من العدو (تركيا) ولذا ، كانت تسيطر عليها الأحكام العسكرية وينظم اداراتها حكام عسكريون ، فيما عدا جزء صغير من سورية بين « العقبة » و « حلب » كان تحت الادارة العربية ، و « الحجاز » حيث بقى حسين ملكا عليه ، و « نجد » وابن سعود سلطانا لها وعاصمته فى « الرياض » ، و « شمر » وابن رشيد حاكما عليها – وان كان نفوذه قد تأثر بهزيمة الأتراك – ، ثم الادريسي وقد بسط نفوذه فى منطقة « عسير » ، وأخيرا « الامام يحيى » مطالباً « باليمن » .

وكان الأمير فيصل قد ذهب فى أول زيارة له لأوربا فى ٢٦ من نوفمبر ١٩١٨ بعد الهدنة ، فمر بفرنسا حيث دعى لمشاهدة ميادين القتال فى الجبهة الغربية بصفته الشخصية كزائر كبير المقام دون أن يعترف له بأية صفة كممثل رسمى للعرب ، ثم توجه منها الى لندن فوصلها فى العاشر من ديسمبر ١٩١٨ . وهناك تكشفت له بوضوح حقيقة اتفاقية « سايكس – بيكو » التى كانت حين ذاك محور الحديث والجدل بين « لويد جورج » ممثلا لوجهة النظر البريطانية وبين « كليمنصو » ممثلا لوجهة النظر الفرنسية . وأفهم فيصل أن الحكومة الفرنسية تعارض بشدة فى وضعه على رأس الادارة العربية فى القطاع بين « العقبة وحلب » ، كما أنها تعارض فى اعتباره ممثلا للحجاز فى مؤتمر الصلح . كما علم بملخص مايدور بين الحكومتين البريطانية والفرنسية من آراء واقتراحات بخصوص ولاية « الموصل » وبخصوص « فلسطين » ، كما أحيط علما بمحاولات بريطانيا لابعاد فرنسا عن فلسطين . ووقع تحت ضغط شديد من السياسة البريطانيين ليعترف نيابة عن العرب الذين يمثلهم بأمال الصهيونية فى فلسطين كاجراء يساعد بريطانيا على التخلص من الحاح فرنسا فى الحصول على حقها فى فلسطين . وفى الوقت نفسه ، وتحت هذه الظروف ، نشطت الصهيونية فى بريطانيا ، وبذل « وايزمان » كل مجهوداته نيابة عن المنظمة الصهيونية فى الحصول منه على هذا الاعتراف ، حتى يمسك بالطرف الآخر من العصا ، فقد ملكته بريطانيا من قبيل أحد الطرفين باهدائها اياه « وعد بلفور » .

وفى غمار الموقف الذى وجسد فيصل نفسه غارقا فيه ، وتحت ضغط بريطانيا والاحاح المحيطين به من ذئاب الاستعمار ، ولجهله التام بالسياسة الغربية وأساليبها ، ولشعوره بضعفه وعزلته الى جانب عداء

فرنسا السافر له ، ظن أن في الاستجابة لطلب الانجليز ما قد يقلب ضعفه الى قوة ، بالرغم من أنه لم يعط من العرب أى تفويض أو تصريح ليتصرف فى مقدرات قطعة عزيزة مقدسة من الوطن العربى .

ولما كانت وزارة الخارجية البريطانية تحت ضغط الصهيونية واستجابة للعقلية الاستعمارية الامبراطورية تريد أن تنتهى من مشكلة فلسطين قبل دخولها مؤتمر الصلح ، وأن تواجه المؤتمر بحل متفق عليه بين العرب واليهود ، فقد كان الحاحهم على فيصل فى هذا الشأن متواصلا شديدا . وقيل ان فيصل لثقته فى « لورانس » وفى حسن ادراكه لقضية العرب وايمانه المطلق بحقوقهم فى مطالبهم فقد استشاره فيما يفعل . وقيل ان « لورانس » أشار عليه بأن يوقع الاتفاق بشرط أن يصبح الاتفاق نافذا بعد أن يحصل العرب على الاستقلال الذى وعدوا به .

وبالرغم من أنه من وجهة نظر العرب يجب أن تكون فلسطين بما تحويه من الأماكن المقدسة والمزارات الدينية التى تخص الأديان السماوية الثلاثة بعيدة عن أى تعصب دينى أو عنصري ، وأن فى بقاء فلسطين عربية ما يضمن احترام هذه الأماكن جميعا ومعاملة زائريها وقاصديها بروح الايمان والسماحة ، الا أن « فيصل » سمح لنفسه أن ينقاد الى آراء « وايزمان » وادعاءاته التى سبق أن ادعاها أمامه فى معسكر فيصل فى العقبة فى الاسبوع الأول من يونية ١٩١٨ . وهى أن اليهود لا ينوون اقامة حكومة مستقلة بهم فى فلسطين ، وانما يريدون فى نظير مساهمتهم فى انماء ثروة فلسطين الزراعية والصناعية أن يشتركوا مع العرب فى خيراتها دون اضرار بهم أو اعتداء على حقوقهم ، وأن هذه الادعاءات جاءت واضحة فى « وعد بلفور » نفسه الذى تضمنه الحكومة البريطانية .

وفى الثالث من شهر يناير عام ١٩١٩ (كما هو واضح فى تاريخ الاتفاقية) وقع فيصل فى لندن باعتباره ممثلا لحكومة الحجاز العربية اتفاقا بينه وبين « وايزمان » باعتباره ممثلا للمنظمة الصهيونية للتعاون بينهما فى فلسطين وأدارته ، وتشجيع هجرة اليهود الى فلسطين على نطاق واسع مع احتفاظ السكان العرب بحقوقهم فى الأرض على أن يساعدهم اليهود على زيادة غلة أراضيهم . كذلك اتفق على أن المنظمة اليهودية ستضع اخصائين اقتصاديين فى خدمة العرب لانهاش وتنمية الموارد الاقتصادية لفلسطين ، واتفق أيضا على أن تكون الأماكن المقدسة الاسلامية تحت سيطرة المسلمين وألا يكون للدين أى دخل فى تمييز

السكان أو أن توضع أى قيود على حرية العبادة وممارستها . وانتهت الاتفاقية على أن الطرفين سيعملان بتعاون تام بكل ما جاء بالاتفاقية أمام مؤتمر الصلح وأن أى نزاع قد ينشأ بينهما يعرض على الحكومة البريطانية للتحكيم .

ومن المضحك أن ديباجة الاتفاقية جاء فيها « أنه بالنسبة للتقارب العنصرى والروابط التاريخية القديمة التى تربط بين العرب واليهود . . ورغبة فى تأكيد التفاهم المتبادل بينهما » وهذا القول لا يمكن أن يسلم به منطق سليم ولا يمكن أخذه أساسا حقيقيا لاتفاق بين العرب والصهيونية . وقد كتب « فيصل » بخطه على أصل الاتفاقية التى وقعها وباللغة العربية (اذا حصل العرب على استقلالهم الذى طلبته فى مذكرتى المرفوعة الى وزارة خارجية حكومة بريطانيا العظمى بتاريخ الرابع من شهر يناير ١٩١٩ » ؟ « فانى سأعمل وفق المواد الملونة بعاليه . أما اذا حصل أى تعديل أو تغيير بالنسبة للطلبات الواردة بالمذكرة المذكورة . فانى حين ذاك لا أصبح مرتبطا بكلمة واحدة من هذا الاتفاق الذى يصبح لا غيا ولا قيمة له وغير سار . وأصبح غير مسئول بأى حال من الأحوال عنه *) . وواضح أن الشرط الذى اشترطه « فيصل » لتصبح لهذه الاتفاقية قوتها لم ينفذ بأى شكل من الأشكال ، مما لا يجعل لهذه الوثيقة أية صلاحية أو دلالة كاتفاق يقيد « فيصل » نفسه . وطبعاً فهو لا يقيد العرب بأى حال . الا أن هذه الوثيقة مرآة تعكس ما كان يمكن أن يكون عليه سلوك العرب نحو اليهود لو أن العرب نالوا حقهم الطبيعى فى الاستقلال فى بلادهم ووطنهم ، وطالما لن يتعارض وجود اليهود فى تلك الارض مع ما يقتضيه هذا الحق فى حكم العرب لبلادهم وادارتها بالطريقة التى تناسبهم .

وعندما تمكن « فيصل » من الحصول على حق « وفد الحجاز » فى الاشتراك فى مؤتمر الصلح ، وفى الاجتماع الذى عقد فى السادس من فبراير سنة ١٩١٩ ، بين « فيصل » الأسباب التى تدعو الشعوب الناطقة بالضاد فى آسيا الى الاتحاد معا والى الاستقلال مدعما ذلك بالأسباب الجغرافية والتاريخية والثقافية والاقتصادية التى تربط بينهم جميعا ، كما أبرز الدور الكبير الذى لعبه العرب فى الحرب ، وأوضح التضحيات التى بذلوها ، وأعرب فى أصدق لهجة وأبلغ مقال عن عدم شرعية

* - ان الاتفاقية « فيصل - وايزمان » محررة فى الثالث من يناير ١٩١٩ كما سبق الإشارة اليه .

اتفاقية « سايكس - بيكو » . تم ختم كلمته بشكر كل من بريطانيا وفرنسا على المساعدات التي قدمتها للعرب في نضالهم من أجل حريتهم وطالب الحكومتين البريطانية والفرنسية بالوفاء بوعودهما للعرب والتزاماتهما نحوهم .

وعند المناقشة ، أصر فيصل على حق العرب في تقرير مصيرهم عملا بالوعد البريطاني الفرنسي المشترك ، وعملا بخطاب الرئيس الأمريكي « ويلسون » ، والمبدأ الثاني من المبادئ التي ذكرها في ذلك الخطاب . وطالب بتعيين لجنة تحقيق لمؤتمر الصلح ، تتبين مطالب الشعب العربي بزيارتها لسورية وفلسطين . وقد وافق هذا الاقتراح هوى في نفس الرئيس « ويلسون » وأيده ، على أن تكون لجنة التحقيق من عضوين يمثلان كل من أمريكا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا .

ولقد ساء هذا الاقتراح فرنسا ، وأثار بعض المخاوف في نفس « لويد جورج » ، ولكنه أقلق الصهيونية قلقا بالغا . بل إنها رأت عند ذاك أن آمالها في تحقيق حلمها قد لا يتحقق دون اللجوء الى العنف والقوة في فلسطين . وكانت الصهيونية قد عملت على ايجساد قوة عسكرية يهودية اشتركت في الحرب مع الحلفاء واستقرت في فلسطين .

وكان السير « مارك سايكس » قد عاد حديثا الى باريس بعد جولة في سورية وفلسطين ، وقد فتح ما رآه في أثناء زيارته هذه من أعمال وتصرفات اليهود في فلسطين عينيه على حقيقة الصهيونية وأغراضها ، وتجلت له بوضوح الهوة العميقة بين ما كان يظن من أهداف لليهود في فلسطين وبين الحقيقة التي طالعتة سافرة في أثناء الزيارة ، بل ووضع له تأثير تلك الأعمال والتصرفات على عقول العرب وسلوكهم . وبالاختصار فإن مستر « مارك سايكس » بعد أن كان من كبار المتحمسين للصهيونيين في أثناء الحرب ، أصبح يرى - بعد تلك الزيارة - أنها غلطة جسيمة يجب اصلاحها بأي ثمن . كما أصبح يرى أيضا أن اتفاقيته التي رسمها مع « مسيو بيكو » أيضا غير ممكنة التطبيق طبقا للظروف الفعلية ، بل اعتبر أن محاولة تطبيقها عبث لا طائل من ورائه . وراح المستر « سايكس » بمجرد عودته من تلك الزيارة يعمل في نشاط كبير ، وبدأ حملة شديدة واسعة لارجاع العقول الى صوابها ، وقابل في أثناء ذلك « لويد جورج » و « بلفور » وكثيرا من أصدقائه من الانجليز والفرنسيين والصهيونيين . ولكنه - وقد كان يبذل هذا الجهد الكبير وهو مجهود من آثار رحلته - قد وقع بعد أيام قلائل فريسة مرض عضال أودى بحياته . ولعل موته

المبكر هذا كان سببا في كثير من الأحداث الهامة المؤلمة التي وقعت فيما بعد .

أما لجنة التحقيق المقترحة فلم يكتب لها أن تخرج الى حيز الوجود ، وقادت فرنسا الحركة ضدها . ولما رأت بريطانيا أن تحقيق اللجنة سيتشمل العراق أيضا انضمت الى فرنسا بحجة عدم رضاها فرنسا والصهيونية عن اللجنة . أما إيطاليا فكانت بالطبيعة لا صالح لها في الأمر كله ولا تود أن تغضب طرفا من الأطراف الثلاثة ، بريطانيا ، فرنسا ، الصهيونية العالمية سعيا وراء مصالحها في مؤتمر الصلح .

أما الرئيس « ويلسون » فقد أمر مندوبيه - برغم أنهما كانا يريان إمكان الحصول على المعلومات المطلوبة في باريس دون الطواف في تلك البلاد - باصطحاب من يلزمهما من المستشارين والفنيين وهيئة المكاتب وأن يقوموا باتمام المهمة التي أمرا بها . وفعلا وصلت اللجنة الأمريكية الى « يافا » في العاشر من يونيو وأمضت ستة أسابيع في زيارة فلسطين وسورية وبذلت ما وسعها من وقت وجهد في استجلاء الحقائق . وفي نهاية المدة عادت اللجنة وكتب عضواها « دكتور كنج ومستر كرين » تقريراً رفع للرئيس « ويلسون » ، وعرف هذا التقرير فيما بعد باسم تقرير « كنج - كرين » . ولم يظهر ذلك التقرير الا في أواخر عام ١٩٢٢ حين سمح بنشر التقرير بأكمله فنشر كاملا في إحدى الصحف الأمريكية على الأقل على حين تناولته بعض الصحف الأخرى مختصرا (١) .

ويمكن أن يلخص هذا التقرير الهام الذي بنى على أساس صحيح من عدم التحيز والأمانة ومن الواقع وحوى الكثير من رجاحة العقل وصحة الحكم في الموضوعات الآتية :

١ - أي انتداب يجب أن يكون لأقصر مدة ممكنة وبقصد تمكين البلاد التي ستوضع تحت الانتداب من الوصول الى مرحلة الاستقلال بأسرع ما تسمح به الظروف .

٢ - اقتراح معاملة « العراق » على أساس أنها دولة واحدة دون استثناء جزء منها .

(١) ظهر التقرير بأكمله في جريدة Editor & Publisher الصادرة في نيويورك بتاريخ ٢ من ديسمبر عام ١٩٢٢ .

٣ - حفظ وحدة سورية وفلسطين معا كدولة واحدة على أن يكون للبنان حق الحكم الذاتي في إطار الوحدة السورية .

٤ - وضع العراق كله تحت انتداب دولة واحدة ، ووضع سورية وفلسطين معا تحت انتداب واحد .

٥ - أن يكون نظام الحكم ملكي ، ويكون الأمير فيصل ملكا على سورية واختيار ملك عربي آخر بالانتخاب العلني الشامل ملكا على العراق .

أما عن موضوع الدولة صاحبة الانتداب فقد بين التقرير أن الرأي في سورية كان لا يريد انتدابا كاملا بل في شكل مساعدات تقدمها أمريكا أو بريطانيا ولكن ليس فرنسا على أي حال ، واقترحا لذلك أن تقوم أمريكا بالانتداب على سورية مجتمعة كما تقوم بريطانيا بالانتداب على العراق ، أما إذا لم يمكن لأمريكا أن تقوم بالانتداب على سورية فيوكل أيضا الى بريطانيا . ورأيا أن أية محاولة لانتداب فرنسا على سورية قد تؤدي الى اشتباكات بين العرب والفرنسيين مما قد يسبب خطرا على بريطانيا أيضا .

أما عن الصهيونية ، فقد أفردا لها جانبا مطولا من التقرير ، قالا فيه : انه بالرغم من أنهما حاولا أن يكونا في صف الآمال الصهيونية ، فإن ماشاهداه في فلسطين قد أرغهما على التوصية بالحد من الأطماع الصهيونية . وان ما وصل الى علمهما عن لسان مندوبي اليهود ، قد أقنعهما بأن الصهيونية ترمي الى التخلص نهائيا من سكان فلسطين غير اليهود بطرق الشراء المختلفة (شراء الاراضي والممتلكات) . وان من رأيهما أن مثل هذا العمل وان كان مباحا طبقا للقانون . الا أن فيه اضرارا واجحافا كبيرين بحقوق شعب فلسطين وبالمبادئ التي أقرها الحلفاء والرئيس « ويلسون » ، وأن جميع من استشاراهم من الرسميين البريطانيين يعتقدون أن هذا البرنامج الصهيوني لن يمكن تنفيذه الا بقوة السلاح . وأنهما ازاء ذلك يجدان لزاما عليهما أن يوصيا بتخفيض البرنامج الصهيوني الى أقصى حد ، وأن تخفض الهجرة اليهودية وأن تحدد . كذلك يريان أن يفض النظر عن فكرة تحويل فلسطين الى دولة يهودية ضمن نطاق الممتلكات البريطانية (الكومنولث) .

(و) الانتداب :

مما لا شك فيه أن هذا التقرير لم يوافق هوى « صانعي السلام في فرساي » وكذلك لم يرض الصهيونية ، وعلى ذلك فقد حفظ التقرير ولم يلتفت اليه حتى في « واشنطن » نفسها . وفي خلال السنوات الثلاث التي مضت قبل أن تصبح حقيقة التقرير معروفة علنا ، كانت بريطانيا وفرنسا قد ابتكرتا ونفذتا « الاستقرار » الذي ارتأياه ، دون أن يكون لتقرير « كنج - كرين وما حواه من أفكار جديدة بالاتباع أي تأثيره . بل بكل غطرسة وغباء ولأسباب استعمارية خالصة أغفل أمره .

وأخيرا في « سان ريمو » في ٢٥ من ابريل ١٩٢٠ ، استقر الرأي على أن توضع سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ، وأن توضع كل من العراق وفلسطين تحت الانتداب البريطاني كل على حدة . وقيل في الانتداب على فلسطين ان ذلك يتضمن واجب تنفيذ « وعد بلفور » . وأعلن ذلك القرار في ٥ من مايو عام ١٩٢٠ .

وكان للمقررات التي صدرت في « سان ريمو » ولاحتلال الفرنسيين لكل « سورية ولبنان » ، ولتعزيز السلطات البريطانية في العراق بشكل لم يدع مجالا للحكم الذاتي ، ولظهور خطة في فلسطين تستهدف زيادة نشاط وقوة الصهيونية ، كان لكل ذلك ما أعطى عام ١٩٢٠ اسما بشعا في العالم العربي فسمى « عام النكبة » وشاهد هذا العام قيام أول الثورات المسلحة احتجاجا على هذا « الاستقرار » في العالم العربي ؛ وحدثت في هذا العام اضطرابات خطيرة في سورية والعراق وفلسطين ، أما في مصر فكانت ثورة ١٩١٩ في أوج شدتها وعنفها . وبالاختصار فإن العالم العربي كله كان يموج بالثورة وأعمال العنف ومن أظهرها ما حدث في فلسطين في « عيد الفصح » من ذلك العام حينما قام سكان القدس مدفوعين بأعمال الاستفزاز والاشاعات الصهيونية واعملوا أسلحتهم في اليهود * » .

ولم تنشر نتيجة لجنة التحقيق التي ألفها الحاكم العسكري للبحث في أسباب تلك الثورة وأن كانت الأسباب لا تحتاج الى شرح ولا الى اعلان ، فانها لا تخرج عن خوف السكان العرب مما كان يبيته لهم قادة

* - كان اليهود في فلسطين وفي القدس يرددون قول « وايزمان » الذي أعلنه مرارا وفي أكثر من مناسبة من أن غرض الصهيونية أن تجعل فلسطين دولة يهودية تماما كما أن إنجلترا انجليزية وأمريكا أمريكية .

الصهيونية في فلسطين عامة وفي القدس على وجه الخصوص . كذلك حدث صدام مسلح في سورية في قطاعي « حلب » و « أنطاكية » بين المتطوعين السوريين والقوات الفرنسية . وفي العراق لما أحس الناس أن الحكم أصبح للإنجليز وحدهم ، ونتيجة لتعسف «الكولونيل ويلسن» الحاكم الإداري فيهم ، حدث انفجار مروع قام به الشعب . وكان لكل هذه الأحداث مجتمعة أثر اقتصادي سيء على إنجلترا نفسها مما دعا مستر « ونستون تشرشل » وزير المستعمرات وقتئذ إلى عقد مؤتمر في القاهرة في الثاني عشر من مارس عام ١٩٢١ ، وانتهى هذا الاجتماع بتولية « فيصل » عرش العراق . ثم اجتمع مستر تشرشل « بالامير عبد الله » الذي كان يطالب بضم فلسطين إلى شرق الأردن في دولة عربية موحدة ، ولما كان مثل هذا الاجراء يتعارض مع التزام بريطانيا بإنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين ، فقد أمكن مستر تشرشل أن يقنع الامير عبد الله بالبقاء في شرق الأردن منفصلة عن فلسطين على أن يمنح مساعدة مالية بريطانية يستطيع بها أن يجند قوة كافية تقرر السلام في شرق الأردن . وبذلك احتسب شرق الأردن وكأنه وضع أيضا تحت الانتداب البريطاني .

وفي صيف عام ١٩٢١ ، بدأت الحكومة البريطانية محادثات مع « الملك حسين » ملك الحجاز لعقد معاهدة معه ، على أن تتضمن تلك المعاهدة اعترافا منه بأن لبريطانيا « وضعاً خاصاً » في العراق وفي فلسطين وبذلك يعترف بحق بريطانيا في الانتداب على هذين الاقليمين ، وذلك في مقابل أن تضمن له «سلامة الحجاز» من أي اعتداء مع استمراره في الحصول على المعونة المالية التي كانت تصرف إليه من الخزانة البريطانية . ولما كان «الملك حسين» يعتقد أن هذه ليست الطريقة المثلى التي يمكن لبريطانيا أن تجمع بها العالم العربي حولها ، بل يعتقد أن بريطانيا يجب أولاً أن تربط أجزاء العالم العربي المستقل بعضه ببعض ثم ترتبط بهذا الكل مرة واحدة ، فإنه تخوف من عقد هذه المعاهدة ودخله الشك والقلق الذي سبق أن عاينه عام ١٩١٧ عندما علم باتفاساقية « سايكس - بيكو » وعندما سمع « بوعد بلفور » ، وأعادت إليه تلك المحادثات ذكرى ما أصابه من خيبة أمل في حلفائه وما أصابه من عناء من عشيرته من العرب . وفي عام ١٩٢٣ لما أعيدت عليه الكرة لعقد محالفة «انجليزية - حجازية» تردد ، وبالرغم من أن المساعي المبذولة لعقد تلك المحالفة امتدت حتى صيف عام ١٩٢٤ فإنها لم تثمر الثمرة المرجوة .

وكانت العقبة التي تعثرت عليها هذه المساعي هذه المرة أيضا هي نفسها العقبة السابقة وهي مستقبل فلسطين .

وبالرغم من طول الوقت الذي استغرقته هذه المحادثات والذي أمكن خلاله تصفية بعض الخلافات بين الملك حسين وبين الانجليز فان الخلاف الرئيسي بينهما ظل قائما على وجهة نظر كل من الطرفين نحو المشكلة اليهودية . واقترح الملك حسين أن تصبح فلسطين دولة مستقلة تحكمها حكومة وطنية تمثل كل سكانها بما فيهم اليهود كل على حسب تعدادهم ، وأن يسمح لهذه الدولة أن تنضم الى اتحاد الدول العربية الاخرى المستقلة ، وبذلك يحصل عرب فلسطين على أمان لحقوقهم السياسية والاقتصادية أيضا الى جانب حقوقهم المدنية والدينية التي جاء ذكرها في « وعد بلفور » . ولكن هذا الاقتراح لم يلق قبولا ، اذ كان اليهود لا يزالون أقلية في فلسطين ولا يمكنهم تبعا لهذا النظام أن يحققوا أغراضهم المرسومة في فلسطين . وكان هذا الخلاف بالطبع نقطة جوهرية ، فان عدم الوصول الى اتفاق حول هذا الخلاف يعنى عدم تعاون العرب بل ومقاومتهم . وبمعنى آخر كان الاتفاق يعنى استسلام العرب ، وكان الخلاف يعنى الخصام واستمرار الهياج في الأراضي المقدسة وما يتبع ذلك من ألا يكون في فلسطين راحة لا للانجليز ولا لليهود . ومهما يكن الامر فان الانجليز لم ينتهوا مع الملك حسين الى حل فوجعت الواقعة ، فقبل أن يصله رد على خطاب أخير كان قد أرسله في الرابع من أغسطس ١٩٢٤ الى « رامزي ماكدونالد » رئيس الوزراء البريطاني شخصيا يلح فيه على ضرورة تنفيذ بريطانيا للوعود التي قطعتها معه شخصيا في أثناء الحرب ، هاجمته حشود الوهابيين المتقدمة على الحجاز وأنهت حكمه كملك ، للحجاز في أوائل اكتوبر عام ١٩٢٤ .

الباب الثاني

ما بين الحربين العالميتين

(١) الاستعمار الغربي يمالئ الصهيونية :

لا شك أن بريطانيا مالات اليهود على حساب عرب فلسطين في الوقت الذي كانت فيه الدعايات الصهيونية يمالها من قوة المال ، وامتلاك وسائل الاعلام العالمية على اختلاف انواعها ، وتنظيمها يغطي جميع أرجاء العالم وخصوصا دول الغرب والمتكلمة منها بالانجليزية على الأخص . وفي الوقت الذي كانت الدعاية الصهيونية توضح للعالم الموقف في فلسطين خلال وجهة نظرها الخاصة وفي ضوء آمالها وأمانيتها ، كان عرب فلسطين ، بل كان العالم العربي كله - حتى الى وقت قريب - لا يكاد يسمع صوته الا بين جدرانهم . فقد كانت تقف دون صوته حوائل كثيرة ، أهمها الايمان الكامل بالقضية الكبرى وخطورتها ، ثم السخاء في بذل المال في مواضعه الصحيحة ، ثم حوائل حسن الترجمة الى اللغات الأجنبية ، وأخيرا سعة النشر والاعلام وقوته . كذلك كانت أخبار اليهود ودعاية الصهيونية تسير في قنوات الادارة البريطانية للانتداب في فلسطين ، وكان الاداريون الانجليز أنفسهم اقرب في صلاتهم واتصالاتهم وعاداتهم وتقاليدهم الى مهاجري اليهود الذين يفدون الى فلسطين من دول العالم غير العربية . كذلك كان بعض أعضاء مجلس البرلمان البريطاني في كل الأوقات يهودا ، وبالطبع كانوا قادرين على تسميم افكار زملائهم في المجلسين بالدعايات المتكررة او بالاكاذيب المنمقة او باختلاطات ينسبونونها الى العرب . ولهذا لم يكن يبين من

القضية الفلسطينية وخصوصا لدى جمهرة الناس في بريطانيا وفرنسا ودول العالم القريب الا الوجه الصهيوني . أما الوجه العربي الذي يمثل الحقيقة والحق فلم يكن من الممكن رؤيته بوضوح حتى للذين ذهبوا الى فلسطين خصيصا لذلك الا بعد جهد وجهاد .

كذلك نشطت المنظمة الصهيونية العالمية في جمع المال بمختلف الطرق على مدى عالمي وحتى من البلاد العربية نفسها ، كما عملت على تنظيم مراكز الهجرة ووسائلها . وأخيرا على شراء الأراضي أو استئجارها في فلسطين . ولم تماثلها في كل ذلك بريطانيا وحدها فحسب ، بل الغرب بأسره ، فضلا عن أمريكا أيضا . وليس أدل على ذلك مما جاء بصك انتداب بريطانيا على فلسطين الصادر عن عصبة الأمم في الرابع والعشرين من يولييه ١٩٢٢ وفيه تحريض سافر لبريطانيا ، بل الزام لها على العمل جهدها لانالة الصهيونية مطامعها وتحقيق آمالها في استعمار فلسطين ، فقد جاء في مقدمة هذا الصك « حيث أن دول الحلفاء الكبرى قد اتفقت على أن المنتدب مسئول عن تنفيذ الوعد الذي صدر أول ما صدر في الثاني من نوفمبر ١٩١٧ عن حكومة صاحب الجلالة البريطانية والذي وافقت عليه واعترفت به دول الحلفاء المذكورة بشأن انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين . . . وحيث أن هذا الاعتراف اعطى بناء على الصلات التاريخية للشعب اليهودي بفلسطين وعلى اساس انشاء وطنهم القومي في ذلك القطر . وحيث أن دول الحلفاء الكبرى قد انتخبت حكومة صاحب الجلالة البريطانية كمنتدب على فلسطين . . فان مجلس عصبة الأمم بتصديقه على الانتداب المذكور يحدد شروطه . . . الخ ثم جاء في مواده ما يأتي :

المادة ٢ - يكون المنتدب مسئولا عن جعل البلاد في ظروف سياسية وإدارية واقتصادية بحيث يضمن انشاء الوطن القومي لليهود وفقا لما جاء في الديباجة ، وتنمية مؤسسات الحكم الذاتي ، وأيضا لتأمين الحقوق المدنية والدينية لكل سكان فلسطين دون تمييز لأي عنصر أو دين .

المادة ٤ - ستكون الوكالة اليهودية هي الهيئة التي تقدم المشورة والتعاون مع سلطات الإدارة في فلسطين في المسائل الاقتصادية والاجتماعية والمسائل الأخرى التي قد يكون لها تأثير على انشاء الوطن القومي أو مصالح السكان اليهود في فلسطين . . . وستتخذ الخطوات

اللازمة بموافقة حكومة صاحب الجلالة البريطانية للحصول على تعاون اليهود الراغبين في المساعدة على انشاء الوطن القومي لليهود .

وفي عام ١٩٢٢ وافقت الحكومة الامريكية في كلا مجلسي البرلمان وباتفاق جميع الآراء على ما جاء بصك الانتداب على فلسطين بخصوص انشاء وطن قومي لليهود فيها . وبذلك أصبح الغرب كله ممثلاً في عصبة الأمم واصبحت أمريكا متواطئين جميعاً مع الصهيونية على ابتلاع فلسطين . ولقد أحدث ذلك الاتفاق أثراً كبيراً في نفوس العالم العربي الذي خدع في مصيره واستقلاله ، وعم العرب في الشرق الأوسط شعور جارف بقوميتهم وثاروا لكرامتهم ثورات كبيرة تطورت الى كثير من اعمال العنف وازاقة الدماء ، وقصدوا بذلك معارضة ادخال اليهود الى فلسطين . وكان من نتيجة ذلك كله أن أصدرت الحكومة البريطانية التي وقع عليها عبء هذه الفوضى كتاباً أبيض في السابع عشر من مايو ١٩٣٩ ، حددت فيه عدد اليهود الذين يسمح لهم بالهجرة الى فلسطين خلال السنوات الخمس التالية بخمسة وسبعين ألفاً ، وعلى ألا يسمح بعد هذه الفترة بأية هجرة لليهود الى فلسطين مالم يأذن العرب في ذلك (١) . ولكن ظروف العالم كلها في ذلك الوقت كانت قد بدأت تدخل في طور جديد .

(ب) الهجرة اليهودية الى فلسطين :

مما يدل دلالة واضحة على أن انشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين هي فكرة استعمارية عنصرية تحركها أصابع الصهيونية العالمية ويؤازرها الاستعمار لأغراضه السياسية ، أنه بالرغم من صدور « وعد بلفور » ، وبالرغم من انتداب بريطانيا على فلسطين والزامها بتنفيذ ذلك الوعد ، وبالرغم من نشوء « حكومة يهودية » الى جانب سلطات الانتداب في شخص الوكالة اليهودية والمنظمات اليهودية الاخرى ، فإن هجرة اليهود الى فلسطين من عام ١٩١٩ الى عام ١٩٤٢ (وكان هتلر

(١) في عام ١٩٣٧ عرف قرار لجنة التحقيق الملكية في فلسطين بنقسيمه بين العرب واليهود وباختصاص اليهود بالجزء الأكبر مع اجلاء العرب عن المنطقة اليهودية ، وضم المنطقة العربية الى شرق الأردن واستقلال كل من المنطقتين على أن يعقد بين كل منهما وبين بريطانيا معاهدة بدلا من الانتداب الذي سيقصر على منطقة تشمل القدس وبيت لحم والناصرة .

قد بدأ اضطهاده لليهود في ألمانيا ووسط أوروبا (لم تبلغ سوى ٣٥٨٩٠٠ مهاجر . وكانت الهجرة في بعض الأعوام ولفترات تمتد أربعة أو خمسة أعوام متتالية ضئيلة جدا . ففي السنوات من ١٩٢٠ - ١٩٢٤ كان عدد اليهود الذين هاجروا الى فلسطين ٢٩٩٢٨ مهاجرا ثم اشتدت الدعاية الصهيونية ووسائل الترغيب في عام ١٩٢٥ دون ما سبب عالمي آخر فدخل فلسطين في هذا العام وحده ٣٣٨٠١ مهاجرا (أى ما يزيد على عدد المهاجرين في السنوات الأربع السابقة) . ثم تحول الموقف الى فترة أخرى من الإحجام شملت السنوات السبع التالية ، ففي سنوات ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ لم يزد عدد المهاجرين كل سنة عن الألفين الا قليلا . ثم عاودت الصهيونية نشاطها لتملأ الأرض التي كانت تشتريها أو تستولى عليها فدفعت الى فلسطين عام ١٩٣٥ ٦١٨٥٤ مهاجرا وكان قد سبقهم في عام ١٩٣٣ ٣٠٣٢٧ مهاجرا ، وفي عام ١٩٣٤ ، ٤٢٣٥٩ ، ثم دخل فلسطين عام ١٩٣٦ ، ٢٩٧٢٧ مهاجرا . اما في المدة من عام ١٩٣٧ الى عام ١٩٤٧ فدخل فلسطين ١٤٤٣٣٧ مهاجرا كما دخلها في الفترة الحرجة بين أول يناير ١٩٤٨ و ١٤ مايو من السنة نفسها ١٧٠٨٤ مهاجرا أغلبهم ممن يمكن استخدامهم للقتال (١) .

ولكن الطرف الآخر والأكثر أهمية في انتظام عملية الهجرة والذي كان في استطاعة الصهيونية العالمية معالجته بكفاية تامة وسرية مطلقة فهو شراء وامتلاك الاراضي في فلسطين . فحتى نهاية عام ١٩١٩ كانت الممتلكات والاراضي المملوكة لليهود في فلسطين قليلة ومبعثرة حول « يافا » و « بحيرة طبرية » ، وكان جملة ما يملكه اليهود عند انتداب بريطانيا حوالي ٦٥٠٠٠٠٠ دونم لم تكن كلها مستغلة تماما . أما في عام ١٩٣٩ فقد أصبحت تلك الممتلكات تشمل الساحل الفلسطيني كله تقريبا وتمتد بعمق الى الداخل في حين اتصلت الاراضي حول بحيرة طبرية بالاراضي اليهودية في حيفا ويافا بل وامتدت حتى قاربت حدود سورية ولبنان . كما أصبح النقب يعج بالمستعمرات اليهودية ، وأصبحت الاراضي التي يمتلكها اليهود في فلسطين في مايو ١٩٤٨ حوالي ٢٠٠٠٠٠٠ دونم ، أى حوالي أربعة امثال ما كانوا يملكونه قبل الانتداب .

وكانت الاراضي التي لا يمكن لليهود امتلاكها لرفض أصحابها

(١) كانت نسبة السكان في فلسطين عام ١٩٣٦ : ٨٥٠٠٠٠ من العرب ، ٢٨٠٠٠٠ من اليهود وأصبحت عام ١٩٤٦ ١٢٠٠٠٠٠ من العرب و ٦٠٠٠٠٠ من اليهود .

العرب بيعها مهما قدموا ثمننا لها تدخل ضمن ما يتقرر نزع ملكيته من أجل المرافق العامة وتقدم العمران عن طريق سلطات الانتداب . وكانت هذه السلطات تتآمر مع اليهود في رسم التخطيطات الخاصة بالمرافق العامة بحيث تدخل فيها هذه الاراضى . كذلك كان لتصفية البنك الزراعى العثمانى ، وفرض الضرائب الباهظة على أصحاب الاراضى المقيمين خارج أرض فلسطين ، ما أوقع الكثيرين من أصحاب الأراضى من العرب فى يد المرابين اليهود الذين سلبوهم أرضهم بسهولة وبأرخص الأثمان . أما الأراضى التى كانت مسجلة باسم السلطان العثمانى فقد انتقلت الى الحكومة البريطانية وسجلت باسم المندوب السامى البريطانى ، وكان من السهل حصول المنظمة اليهودية على ما تشاؤه منها .

ولم يكن امتلاك اليهود لبعض الأراضى التى بذلوا فيها أسعارا عالية ما ساعد على تقدم الاقتصاد الفلسطينى ، بل على عكس ذلك ، فإن الاراضى التى كانوا يبتاعونها وإن كانت تدر على مالكةا الأصلى مبلغا كبيرا ، إلا أن الفلاحين الذين كانوا يعملون فيها أو المقيمين عليها كانوا يشردون توا . فقد كانت الوكالة اليهودية تشترط عند دفع الثمن أن تخليها من فلاحيهها والعاملين العرب فيها حتى توطن اللاجئين اليهود بها . وكان عدد هؤلاء قد أصبح عبئا ثقيلا على الأفواه المستهلكة لأقوات فلسطين وغلة أرضها التى لم يكن من المستطاع مهما بذل فيها أن يزيد انتاجها بنسبة زيادة المهاجرين . بل إن هؤلاء المهاجرين وأغلبهم (بالنسبة الى ثقافتهم وتمرسهم) استطاعوا الحصول على وظائف فى الادارة المحلية أو المنظمات الصهيونية ونافسوا السكان الاصليين فى استهلاك المحصولات الزراعية فارتفعت أسعارها ، ثم نافسوهم أيضا فى مياادين التجارة الخارجية والاسواق العالمية فاحتكروا الاستيراد والتصدير ومنعوا عن التجار أرزاقهم .

وهكذا اضطرب حبل الاقتصاد الفلسطينى وبدأ العرب يشعرون بوطأة المهاجرين على أرزاقهم ، وكان هذا ما اعترفت به الحكومة البريطانية فى كتابها الأبيض عام ١٩٣٩ ، وإن كانت نسبت المتسبب الى السبب بعكس الحال ، فقالت « أن خوف العرب من الهجرة اليهودية المطلقة انتشر بين السكان العرب وأدى الى اضطرابات عنيفة أخرت الاقتصاد القومى للبلاد » . وكان الأحرى بها أن تقول : أن تأخر الاقتصاد القومى بسبب الهجرة المطلقة لليهود أدى الى خوف العرب من الهجرة اليهودية ثم الى الاضطراب . والا لو أن الخير والتقدم كانا قد عما البلاد ونشرا ظلهم على سكانها من العرب لما كان هناك ثمة سبب لخوفهم ولا لقيامهم بالاضطرابات .

وكانت لجنة « شو » التي شكلت للتحقيق في أسباب الاضطرابات العنيفة التي حدثت في ١٩٣٠ قد أوصت في مارس من تلك السنة بالآتي :

١ - أن يوضع حد لوقف اجلاء الزارعين والفلاحين عن الاراضى التي كانوا يزرعونها .

٢ - أن ينظر في إعادة البنك الزراعى أو ايجاد وسيلة أو وسائل اخرى لاقرض الزارعين .

كذلك وصلت من انجلترا لجنة في ٢٠ من مايو من نفس السنة برئاسة القاضى « سمبسون » الى فلسطين لنفس السبب وقد سجل في تقريره امرين خطيرين :

١ - أن الوكالة اليهودية هي المسئولة عن جميع حوادث مخالفات الهجرة .

٢ - أن البطالة بين العرب أصبحت من المظاهر الخطيرة في حياة البلاد الاقتصادية وأن هذه البطالة كانت نتيجة حتمية لازدياد الهجرة اليهودية .

وقد تحمل الاقتصاد القومى لتلك البلاد نتيجة للهجرة اليهودية وللانتداب ولمحاولتهما معا تحويل فلسطين الى وطن قومى لليهود أعباء كثيرة غالية . أولها : ضرورة انشاء أجهزة جديدة معقدة لحفظ الأمن بين العرب واليهود . والثانى : عبء ادخال اللغة العبرية كلغة رسمية فى المكاتب والأعمال الحكومية علاوة على اللغتين الانجليزية والعربية . والثالث : زيادة الأعمال الاصلاحية وأعمال المنفعة العامة يقصد اعطاء أكبر فرص عمل ممكنة لبعض العمال اليهود المهاجرين . وأخيرا ، فرض ضرائب جمركية على بعض الواردات التى بدأت بعض الصناعات اليهودية الناشئة انتاجها محليا لحمايتها من المنافسة ولضمان بيعها بأسعار مرتفعة برغم عدم جودة صنعها .

(ج) مقدمات الحرب العالمية الثانية :

بصدور الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩ أصيبت آمال الصهيونية فى سرعة الاستحواز على فلسطين بنكسة . وكانت الاحوال العالمية وخصوصا فى أوروبا قد بدأت تنذر بعواصف شديدة . أما بالنسبة لليهود عامة ويهود ألمانيا خاصة ، فإن « هتلر » جعل منهم هدفا للانتقامه على اعتبار

أنهم هم الذين تسببوا في هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى . ولما كان « هتلر » يزعم أن يقوم بمخاطرته الكبرى ، فقد صمم على القضاء عليهم نهائيا في ألمانيا وفي كل مكان يستطيع أن يصل اليهم فيه ، وبدأ « هتلر » يتعقب اليهود في ألمانيا وفي كل الاراضي التي ضمها اليه وأصبح حوالي ٦٠٠٠٠٠ يهودي في أوروبا بين يدي « هتلر » يصنع بهم ما يشاء ، كما أصبح باقي اليهود في غرب أوروبا معرضين لمثل ما أصاب اخوانهم ، وأصبح موقفهم يدعو الى سرعة البت . وكان « وايزمان » في اجتماع المنظمة الصهيونية العالمية الواحد والعشرين الذي عقد في «جنيف» في أغسطس ١٩٣٩ ، قد هاجم بريطانيا هجوما شديدا ووجه اليها انتقادا لاذعا فيما أسماه « تراجع بريطانيا في وعودها » .

ولكن الشرق الأوسط كان أيضا بقعة حساسة ومنطقة شديدة الخطر على سياسة بريطانيا الحربية اذا أرغمت على الدخول في حرب مع دول المحور ألمانيا وإيطاليا ثم اليابان . وحتى لو أن بريطانيا استطاعت أن تحصر الحرب في أوروبا ضد ألمانيا وحدها ، ولو أنها استطاعت أن تحتفظ بإيطاليا واليابان خارج نطاق الحرب ، فإنها لا يمكن أن تسمح بوجود اضطرابات وقلق في الشرق الأوسط وفيه طرقاها البري والبحري الى الهند وأستراليا وباقي أجزاء امبراطوريتها التي لا بد أنها ستعتمد عليها في خوض غمار الحرب حتى لو انحصرت تلك الحرب في أوروبا . هذا علاوة على حقول البترول العراقية التي تعتمد عليها بريطانيا في البحر الابيض المتوسط .

وعلى هذا فلم يكن أمام بريطانيا مئاص من أن تتبع سياستها المعروفة فتهمل مطالب الصهيونية في هذه المرحلة من تاريخها . ولحين - وأن تحفظ على الشرق الأوسط هدوءه واستقراره بأي ثمن وبالوعود الكاذبة التي يمكن أن تلجأ اليها في هذه المرة أيضا . على أن عامل الوقت نفسه لم يتسع لغير ذلك .

الباب الثالث

الحرب العالمية الثانية

(١) تحرك الصهيونية واستعدادها :

فى سبتمبر سنة ١٩٣٩ شبت نار الحرب العالمية الثانية . ولقد استطاعت بريطانيا بما قدمته لها مصر من مساعدات غالية ، وما وضعته تحت تصرف قواتها من موانى ومطارات وطرق مواصلات حديدية وبرية ، وما قدمته من قوات للدفاع عن قناة السويس والصحراء الغربية ، والحراسة المنشآت العامة ومعسكرات الأسرى وخطوط القتال الخلفية وخطوط المواصلات ، وما بذلته من أقوات أهليها وأمنهم وأرواحهم ، وكذلك بما قدمه العالم العربى بأجمعه من ضبط للنفس ، ومن هدوء ، ومن مساعدات أدبية ومادية أن تكسب معارك كبيرة فى جنوب افريقية أولا (تحرير الحبشة بمساعدة قوات الدفاع السودانية ، ثم القضاء على باقى القوات الايطالية فى المستعمرات الافريقية) مما مكن المساعدات الامريكية أن تصل الى ميادين شمال افريقية بسرعة وسهولة . كما ظل البحر الأحمر بموانيه ، وقناة السويس بمنشآتها وامكانياتها ، مفتوحين يعملان على امداد جيوشها بكل الاحتياجات التى ترسل اليها عن هذا الطريق ، كما مكن قواتها فى مصر وفلسطين من أن تصمد لأحداث العراق وسورية التى سببها عملاء المحور وحكومة « فيشى » . ثم أخيرا ، أن تحرز النصر الأخير فى شمال افريقية وأن تخرج القوات الألمانية من افريقية فى النهاية . ولقد كان العرب يأملون أن تقدر بريطانيا تلك المساعدات الكثيرة التى قدموها لها فتوفى بوعودها الكثيرة التى قطعتها على نفسها لهم مرارا وتكرارا .

أما اليهود فقد استطاعوا تحت قيادة المنظمة الصهيونية العالمية وسعياً وراء تحقيق مصالحهم ، وتحت ستار من كراهيتهم لهتلر ، أن يجندوا كل امكانياتهم في العالم وفي الولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص في بذل كل المساعدات الممكنة لبريطانيا . وفي أثناء ذلك وتبعاً لخطّة مرسومة ، ألفوا لواء يهودياً في فلسطين عمل ضمن القوات البريطانية بها . وفي الوقت نفسه ، وتحت ستار من حالة الحرب القائمة ، جلبوا الى فلسطين كثيراً من الأسلحة والذخيرة خبأوها في مستعمراتهم . كما أعدوا بعض الآلات والماكينات في المستعمرات النائية لانتاج بعض الأسلحة الخفيفة كالرشاشات القصيرة « ستن » وبعض القذائف اليدوية وقنابل الهاون . وكان غيرهم من يهود أوروبا يعملون ضمن منظمات التحرير السرية في بولندا وفرنسا وبلجيكا ، واستفادوا خبرة عملية كبيرة في أعمال النسف والتدمير وحرب العصابات . كذلك اندمجت النساء اليهوديات في أوروبا وفي فلسطين ضمن منظمات التحرير أو منظمات جيوش الحلفاء للمجندات ، وعملن كسائقات أو عاملات لاسلكي أو لأعمال الدفاع الخفيفة وما تبع ذلك من تمرينهن على أسلحة القتال الخفيفة وأعمال النقل والمواصلات واستخدام واصلاح الأجهزة السلكية واللاسلكية .

وأعدت المنظمة الصهيونية مراكز في فرنسا وإيطاليا وكثير من بلدان البحر الأبيض المتوسط التي كان يتم تحريرها من قوات المحور لتجميع المهاجرين وتدريبهم وحشد الأسلحة والمعدات من مخلفات الحرب استعداداً لاعتداء مسلح داخل فلسطين التي استطاعوا تحت ظروف الحرب وبسببها أن يدخلوا إليها أعداداً كبيرة من اليهود بعيداً عن أنظار العرب ودون علمهم .

(ب) نفوذ الصهيونية في أمريكا :

في الواحد والعشرين من مارس سنة ١٩٤٤ كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد تحققت من نهاية الحرب لمصلحتها (بدأت أمريكا مرحلة النصر في نوفمبر عام ١٩٤٣ حين بدأت تتحول الى الهجوم الشامل بعد أن تكاملت لديها قوات برية وبحرية وجوية ساحقة واحتياطي زاهر من أسلحة الحرب والذخائر الحديثة) ، أعلن مستر « كوردل هل » وزير الخارجية سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية التي استقر عليها رأى الرئيس الأمريكى « روزفلت » ، وتضمنت هذه السياسة سبع عشرة نقطة نستخلص منها القواعد الآتية حسب ترتيبها في نقاطه :

٤ - أى نزاع سياسى يجب أن يفض عن طريق المناقشات والمفاوضات .

٥ - المنازعات القانونية التى قد تهدد السلام يجب أن تحال للجنة عدل دولية لتحكم فيها طبقا لقواعد القانون .

١٢ - ان ميثاق الاطلنطى وسيلة تهيبء لكل أمة كبيرة كانت أو صغيرة تأكيدا أكبر لسلام دائم وفرصة أعظم لتحقيق آمالها فى الحرية وتسهيلات أكبر للتقدم المادى .

١٣ - ان كل دولة كبرت أو صغرت فى حكم القانون تساوى أية دولة أخرى .

١٤ - ان أية أمة حرة فى أن تختار لنفسها شكل وتفصيلات الحكم الذى ترغب فيه طالما كان ذلك لا يهدد سلام أو أمن الدول الأخرى .

أما أهم ما جاء فى هذه النقاط فهو القاعدة الآتية :

١٥ - ان جميع شعوب العالم كبيرها وصغيرها التى تحترم حقوق الآخرين يجب أن تتمتع بحريتها فى عدم تدخل الآخرين فى شئونها الداخلية .

وبرغم صدور هذه النقاط التى تحدد السياسة الخارجية الأمريكية فان الحزبين الأمريكيين الرئيسيين فى معركة انتخابات الرئاسة التى كانت ستجرى فى نوفمبر عام ١٩٤٤ أعلن كلاهما تأييده لسياسة السماح بهجرة غير محدودة لليهود الى فلسطين . فقال الرئيس روزفلت : « اننا نوافق على فتح أبواب فلسطين لهجرة يهودية غير محدودة » . فى حين قال الحاكم « ديوى » (اننى أوافق على فتح أبواب فلسطين لهجرتهم غير المحدودة ولتملكهم الأرض) .

وليس هناك دليل أقوى من هذين التصريحين على أن هن يرشح نفسه لرياسة الولايات المتحدة لابد أن يسترضى الصهيونية ، وأن يبذل لها الوعود لحل مشاكلها ولو بالاعتداء على حقوق بآدرت حكومته نفسها بتقريرها كحق ثابت لكل الأمم والشعوب يستقر عليها السلام فى العالم . ومن الغريب أن الحاكم « ديوى » ، وكان هو أضعف المرشحين ، يزيد فى تصريحه لهم بموافقته على تملكهم الأراضى كما لو كانت الصهيونية ستشتري هذه الأراضى فى احدى الولايات الأمريكية وليس فى بلد له أهله وسكانه تلتزم شعوب الأرض قاطبة أن تحترم حقوقه ، ويتمتع بحقه فى عدم تدخل الآخرين فى شئونه الداخلية .

(ج) وفي بريطانيا أيضا :

وفي ديسمبر سنة ١٩٤٤ . أعلن مستر « اتلي » في المؤتمر السنوي لحزب العمال القرار التالي الذي صودق عليه من الحزب : « أرى أننا وقفنا في منتصف الطريق مزعزين بين سياستين متضاربتين ، ولكن ليس هناك أمل أو معنى في « وطن قومي لليهود » ما لم نكن مستعدين أن نسمح لهم - إذا أرادوا - أن يدخلوا تلك البلاد الصغيرة في أعداد تجعل منهم أكثرية . لقد لقي هذا الرأي تعصيذا كبيرا قبل الحرب ، أما الآن ، وبالنسبة للخطة الجهنمية التي لا يمكن وصفها التي اتبعتها النازيون الألمان لقتل كل يهود أوروبا ، فقد أصبحت المسألة لا يمكن السكوت عليها . ولكن هناك أيضا في فلسطين توجد قضية أخرى بالتأكيد ، فعلى أساس من الدواعي الانسانية ولتحقيق استقرار دائم يلزم نقل السكان . يجب تشجيع العرب على الخروج كلما دخل اليهود وليعوضوا بسخاء عن أراضيهم وليخطط استقرارهم في أماكن أخرى بعناية ويمول على نطاق واسع . ان للعرب مناطق أخرى كبيرة خاصة بهم ، ولا يجب أن يعطوا الحق في منع اليهود من دخول هذه البقعة الصغيرة التي تقل في مساحتها عن « ويلز » التي هي فلسطين . في الحقيقة اننا يجب أن نعيد النظر في امكان توسيع نطاق حدود فلسطين الحالية بالاتفاق مع مصر وسورية وشرق الأردن . وعلاوة على ذلك يجب أن نحصل على رضا ومساعدة كل من الحكومتين الامريكية والروسية الكاملين من أجل تنفيذ هذه السياسة في فلسطين » .

ولا جدال أن هذا البيان يبدو واضحا ولا يحتاج الى تعقيب ، ولكن أقل ما يمكن قوله هو أنه لا شك أن الصهيونية نفسها هي التي صاغته لتحقيق أبعد أحلامها ومشتياتها . بل ان مستر « اتلي » فاق الصهيونيين في خدمته للصهيونية بأن قدم لها ما يمكن أن تعتبره منتهى آمالها في مرحلة واحدة ، مع أن منتهى آمال الصهيونية كان أن توطد أقدامها في فلسطين أولا . وما كان أجدر بالمستر « اتلي » وقد وجد فلسطين أصغر قليلا من « ويلز » بحيث يحتاج اسكان اليهود فيها الى تعديل حدودها لزيادة رقعتها ، أن يطلب الى أهالي « ويلز » وسكانها أن يخرجوا منها ليدخلها اليهود ، ولا لزم عليه في هذا الطلب فان « ويلز » مقاطعة بريطانية وسكانها من الانجليز له عليهم الأمر وعليهم له - لدواعي الانسانية التي ذكرها - الطاعة ولاشك .

بل ويريد مستر « اتلي » مشكورا أن يعرض العرب النازحين من

ديارهم وأوطانهم بسخاء عن أراضيهم ، ومهما كان السخاء الذي يراه مستر « اتلي » فهو لن يتعدى دراهم معدودات لا يمكن أن تعوض نفسا عن وطنها ومنازل الآباء والأجداد ، فالمرء يبذل فداء الوطن المال والدم والنفس . ثم أخيرا ، هل يملك مستر « اتلي » ، وحتى لو حاز رضا الحكومتين الأمريكية والروسية تنفيذ هذه السياسة ان لم يرض أصحاب الأرض الشرعيون بتركها الا عن طريق القسر والاجبار ؟ اذن فنية العدوان كانت مبيتة والغدر واضح لا لبس فيه .

وان أبلغ تعقيب يمكن أن يكون ردا على هذا البيان ما ورد في « الميثاق » وكأنه الحق يدفع الباطل اذ يقول : « ان اصرار شعبنا على تصفية العدوان الاسرائيلي على جزء من الوطن الفلسطيني هو تصميم على تصفية جيب من اخطر جيوب المقاومة الاستعمارية ضد نضال الشعوب . وليس تعقب سياستنا للتسلل الاسرائيلي في افريقية غير محاولة لحصر انتشار سرطان استعماري مدمر » .

وفي عام ١٩٤٥ ، في الانتخابات العامة البريطانية ، حاز حزب مستر « اتلي » على أغلبية ساحقة ، وتولى العمال حكم بريطانيا . وكانت الصهيونية العالمية ، وقد اكتملت ترتيباتها من أجل احتلال فلسطين ، تملأ الدنيا نواحا على ما أصاب اليهود في أوروبا وما صارت اليه حالهم ، وادعوا أن مليوننا ونصف المليون يلزم تدبير اسكانهم وايوائهم فورا . وكانت هذه الأعداد هي ما حشدته المنظمة الصهيونية في معسكرات خاصة في فرنسا وإيطاليا . وقد قال أحد الكتاب الأمريكيين عنهم « إن اللاجئين لا يزيدون على أن يكونوا كرات سياسية يلعب بها قادة الصهيونيين اليهود في العالم » ، وكان أكثر هؤلاء المهاجرين من البلاد التي دخلت تحت النطاق الشيوعي .

وبالرغم من أن اليهود الذين كانوا في فلسطين ممثلين في منظمة « أرجون زفاي ليومي » كانوا يقومون بأعمال ارهاب ضد سلطات الادارة الانجليزية ، موقعين الخراب والدمار في كثير من الأماكن والمنشآت ، بل انهم اعتدوا بالضرب والقتل على بعض رجال البوليس الانجليز ، كما حاولوا اغتيال المندوب السامي البريطاني نفسه ، فان حزب العمال

الانجليزى الذى نال الاغلبية الساحقة فى الانتخابات العامة بفضل مؤازرة الصهيونية له ، وثمانى لوعوده لهم بحل مشكلة فلسطين فى الصالح اليهودى ، لم يتخذ من الاجراءات أو التدابير ما يمكن اعتباره ردا حاسما على هذا العدوان . بل انه فى مجلس العموم البريطانى ، وفى صدد هذه الحوادث طلب « ايرل ونتيرتون » من مستر « جورج هل » تأكيداً ينفى أن البوليس البريطانى لديه تعليمات من كبار المسئولين بعدم استخدام الأسلحة ضد هؤلاء القتلة برغم ما قد يتعرض له رجال البوليس أنفسهم من أخطار .

الباب الرابع

ما بعد الحرب العالمية الثانية

(أ) جموح الاستعمار :

لاشك أن خروج أمريكا وبريطانيا منتصرتين فى نهاية الحرب العالمية الثانية قد أوحى اليهما أنهما أصبحتا قادرتين - ولهما تلك القوات العسكرية الهائلة - على فرض الحلول التى تعن لهما لمشاكل العالم . وتبعاً لذلك المنطق الأهوج ، وتحت ضغط الصهيونية العالمية التى اشترت الحكم فيهما ، وخدمة لأغراضهما الاستعمارية فى العالم العربى ، سارت السياسة فى الدولتين على أساس انهاء مشكلة فلسطين لمصلحة الصهيونية .

فتقدمت الحكومة الامريكية باقتراح الرئيس « ترومان » بأن يفتح باب الهجرة لعدد ١٠٠ر٠٠٠ يهودى الى فلسطين فوراً ، ولاقى هذا الاقتراح قبولا من الحكومة البريطانية ، واتفقت الحكومتان على التعاون معا لبحث وحل قضية اليهود فى فلسطين .

فى هذا الوقت تكونت فى العالم العربى « جامعة الدول العربية » ، وضمت اليها جميع البلاد العربية فى الشرق الأوسط . وكان الشعور عند ذاك أن أية محاولة لحل مشكلة فلسطين على حساب سكانها العرب ستقابن من العالم العربى كله بحرب شاملة من « الجهاد المقدس » ، فان فلسطين مقدسة لا يرضى مسيحيو الشرق أن يضع اليهود أيديهم على مقدساتها ، وهى فى نظر المسلمين جامعة المزارات ومطاف الرسالات للأديان السماوية الثلاثة ، وبالنسبة للفريقين فهى وطن اخوانهم عرب

فلسطين من مسيحيين ومسلمين عاشوا معا جنباً لجنب من فجر التاريخ ،
بل ووسعوا معهم فيها أقلية يهودية كان لها فيه كما كان لها في الاقطار
العربية الاخرى مقام موفور وعيش قرير وحرية دينية كاملة .

وتمثل اشتراك الحكومتين الامريكية والبريطانية لبحث هذه القضية
في تكوين اللجنة الانجلو - أمريكية من ستة أعضاء بريطانيين ومثلهم من
الأمريكيين كما جاء بيانه في هذا البحث .

وتقدمت اللجنة بالتوصيات الآتية :

أولا - هجرة اللاجئين الى فلسطين :

١ - أن يصدر فوراً إذن يخول اليهود الذين كانوا ضحية اضطهاد
النازية وعسف الفاشية دخول فلسطين .

٢ - أن تمنح اجازات دخولهم فلسطين هذا العام ان أمكن ، وأن
تتم هجرتهم بأسرع وقت تسمح به الظروف .

وكان من رأى اللجنة : أن الأحياء الباقين من الاضطهاد النازي
والفاشي الذين أمكن للجنة الاتصال بهم يزيد عددهم على ١٠٠٠٠٠ نسمة ،
بل ان عددهم في المانيا والنمسا وايطاليا وحدهم يفوق هذا العدد . كذلك
كان من رأى اللجنة أنه لا توجد بلاد أخرى يمكن للأكثرية الساحقة من
هؤلاء اليهود أن يهاجروا اليها سريعا سوى فلسطين ، وأن هذه كانت
رغبة أكثريتهم ، لثقتهم أنهم سيستقبلون هناك بالترحاب الذي لا يطمعون
في الحصول عليه في بلد آخر ، فضلا عن أن زعماء الوكالة اليهودية قد
أكدوا للجنة أن المهاجرين سيجدون كل عناية ومساعدة وعطف .

وبناء على ذلك أوصت اللجنة في هذا الصدد « بإعطاء مائة ألف
ترخيص لدخول فلسطين » . على أن « التنفيذ العاجل لهذا الامر يكون
له تأثير عظيم على الموقف برمته » .

وبالرغم من أن اللجنة أدركت أن هذا العدد الوافر من المهاجرين
سيكون عبئا ثقيلا على فلسطين فانها قالت « ولكننا على ثقة من أن السلطات
المختصة ستتحمل ذلك على عاتقها وأنها ستحصل على معاونه الوكالة
اليهودية التامة في حمل هذا العبء ، وأن حكومة الولايات المتحدة الامريكية
التي أبدت اهتماما كبيرا بهذا الامر ستساهم بقوة وبسخاء مع حكومة
بريطانيا العظمى في العمل على تحقيقه » .

ثانيا - لا دولة عربية ولا دولة يهودية :

بالنسبة للبنت نهائيا (بصفة قاطعة) في مطالب كل من العرب واليهود بشأن استئثار أحدهما بفلسطين نرى توضيح المبادئ الآتية :

١ - لا سيادة للعرب على اليهود ، ولا سيادة لليهود على العرب في فلسطين .

٢ - ألا تصبح فلسطين دولة عربية ، ولا دولة يهودية .

٣ - يجب أن يضمن الشكل النهائي للحكم الذي ينشأ في فلسطين بضمانات دولية وذلك لحماية مصالح الأديان الثلاثة ، اليهودية والمسيحية والاسلامية في الأراضي المقدسة على حد المساواة .

وعلى هذا الأساس تصبح فلسطين دولة ترعى وتحمي مصالح وحقوق اليهود والمسيحيين والمسلمين على السواء ، وتمنح السكان جميعا أكبر نصيب من الحكم الذاتي بالشكل الذي يتفق مع المبادئ الثلاثة السابقة ذكرها .

ثالثا - الانتداب أو وصاية الأمم المتحدة :

ترى اللجنة بوضوح أن العداء المستحكم بين العرب واليهود وإصرار كل فريق منهما على السيطرة ولو عن طريق العنف ، يجعل كل محاولة لتأسيس دولة أو دول مستقلة في فلسطين في الوقت الحاضر ، أو بعد فترة من الزمن ، يؤدي الى نزاع داخلي قد يهدد السلام العالمي .

لذلك أوصت اللجنة أنه ، وإلى أن يزول هذا العداء ، يستمر الحكم في فلسطين على ما هو عليه تحت الانتداب إلى أن يتفق على تنفيذ وصاية الأمم المتحدة عليها .

رابعا - سياسة الهجرة المستقبلية :

ترى اللجنة أنه إلى أن تحال فلسطين - في وقت قريب - إلى منظمة الأمم المتحدة ، وينفذ فيها نظام الوصاية ، تدار فلسطين من قبل الدولة المنتدبة حاليا (بريطانيا) بموجب أحكام نظام الانتداب الذي ينص بشأن الهجرة على « أن إدارة فلسطين مكلفة بتسهيل الهجرة اليهودية في أحوال ملائمة مع ملاحظة عدم الإضرار بحقوق الطوائف الأخرى ومركزها » .

على أن اللجنة أوصت بقبول ١٠٠٠ و ١٠٠ مهاجر، من ضحايا الاضطهاد

النازى والفاشى بأكبر سرعة ممكنة • أما الموقف بعد دخول هذا العدد ، فلم تستطع اللجنة أن تقدره أو أن تضع قياسا لمعدل الهجرة السنوية بعد ذلك •

خامسا - امتلاك الأراضي :

ترى اللجنة إلغاء القوانين المتعلقة بانتقال ملكية الاراضى والصادرة فى عام ١٩٤٠ ، واصدار قوانين تستند الى سياسة حرة فى بيع واستئجار الاراضى أو استغلالها ، دون تفرقة بالنسبة للجنس أو الدين ، مع حماية صغار الملاك والزراع المستأجرين •

(ب) مشروع موريسون لتقسيم فلسطين :

وعلى أساس المبادئ والتوصيات التى برزت فى لجنة التحقيق الانجلو - أمريكية ، وعلى أساس عدم امكان التوفيق بين المطامع الصهيونية وبين حقوق السكان الاصليين من العرب ، مما لا يترك أملا فى التعاون بينهم يضمن قيام حكومة موحدة ، ظهر فى يوليو ١٩٤٦ «مشروع موريسون» الذى وضع على أساس تقسيم فلسطين الى أربع مناطق : منطقة عربية ، ومنطقة يهودية ، مقاطعة للقدس ، مقاطعة للنقب •

أما المنطقة اليهودية : فتشمل الجزء الاعظم من مساحة الاراضى التى استقر فيها اليهود ، علاوة على مساحات أخرى بين وحول مستعمراتهم •
مقاطعة القدس : وتشمل مدينة اورشليم (القدس) وبيت لحم وضواحيهما المباشرة •

مقاطعة النقب : تتكون من المثلث الواقع جنوبى فلسطين عبر حدود الارض المزروعة ، وهى أرض فضاء غير مسكونة •

أما المنطقة العربية : فتشمل باقى فلسطين عدا المنطقة اليهودية ومناطق القدس والنقب •

وتكون الحدود بين هذه المناطق والمقاطعات حدودا ادارية بحتة ، وتعين الجهة التى يقع فيها المجلس النيابى المحلى للمنطقة أو المقاطعة ، وهو مجلس تخول له سلطة سن القوانين فى أمور معينة • وتعين كذلك هيئة تنفيذية تكون مسئولة عن تطبيق هذه القوانين •

أما هذه الحدود فلن يكون لها صفة أو شكل لا من الناحية العسكرية

أو الجمركية أو المواصلات ، وبعد تعيينها تصبح نهائية غير قابلة للتغيير
إلا باتفاق بين المنطقتين أو المناطق المختصة .

وتخول الحكومات الإقليمية سلطات التشريع والإدارة داخل مقاطعاتها
فيما تختص بالمسائل ذات الصبغة الإقليمية فقط ، كما تعطى الحق في
تحديد عدد الأشخاص ومؤهلاتهم التي يسمح لهم بالإقامة الدائمة في
أراضي المنطقة ، مع ضمان الحقوق المدنية والمساواة لجميع السكان أمام
القانون ، كذلك ضمان حرية الانتقال والتجارة بين المناطق . ويكون لهذه
الحكومات السلطة في جمع الأموال اللازمة لقيامها بوظائفها .

أما الحكومة المركزية فتتفرد بالسلطة في وسائل الدفاع والعلاقات
الخارجية والرسوم الجمركية والضرائب العامة ، كما يكون لها الحق في
الاحتفاظ بالسلطة في تطبيق القوانين والمحافظة على النظام بما في ذلك
رجال البوليس والمحاكم وأي أمور أخرى تهم فلسطين بأجمعها .

كذلك تستأثر الحكومة المركزية بالسلطات التي لم تمنح للمناطق،
ويعين المندوب السامي هيئة تنفيذية من رئيس وزراء ووزراء من بين
أعضاء المجالس النيابية بعد استشارة الزعماء .

والقوانين التي تقرها المجالس النيابية تستلزم مصادقة المندوب
السامي ، ولا تمنع هذه المصادقة إلا إذا تعارض القانون المختص مع أداة
الحكم المركزي ، حتى يمكن ضمان حفظ حقوق الجميع والمساواة بينهم
واقرار السلام في فلسطين .

أما في حالة الطوارئ أو إذا عجزت حكومة إقليمية عن القيام بتأدية
وظائفها الأصلية ، فللمندوب السامي حق التدخل . وكذلك إذا تجاوزت
الحكومة الإقليمية حدود وظائفها .

ويقوم المندوب السامي في البداية بمعاونة مجلس تنفيذي يعين
أفراده ، بممارسة الوظائف التشريعية والتنفيذية للحكومة المركزية .
وكلما اعتبر المندوب السامي أن ذلك أصبح في حيز الامكان فيرأس
الفلسطينيون بعض أقسام الحكومة المركزية .

واقترن هذا المشروع بخطة مرتبة لنقل ١٠٠.٠٠٠ مهاجر يهودي
من أوروبا الى فلسطين على أن يتم نقلهم جميعاً في مدى اثني عشر شهراً
من بدء عملية الانتقال ، على أن تتولى الهيئات الصهيونية مصروفات نقل
واسكان هذا العدد الكبير من المهاجرين الى فلسطين .

(ج) مشروع تقسيم ١٩٤٧ :

فى أوائل سنة ١٩٤٧ تأكدت الصهيونية العالمية أن الولايات المتحدة الأمريكية ستؤيد قيام دولة يهودية فى فلسطين ، وأيقنت قرب تحقيق أملها وحلمها ، فنشط عملاؤها فى كل البلاد وعلى الأخص فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى بريطانيا حيث كان النفوذ الصهيونى فى الدوائر الحاكمة فى هذين البلدين قد أصبح مهيمنًا بل أصبح مسيرًا للأمور على حسب رغباته وأهوائه .

أما بريطانيا ، فقد رأت نية الولايات المتحدة الأمريكية واضحة ، كذلك أيقنت الحكومة البريطانية خلال عملائها الصهيونيين أن الأحوال الدولية ستكون فى صالح اليهود اذا ما عرضت القضية على الأمم المتحدة . كذلك كان واضحًا أن اليهود فى فلسطين قد أصبح لهم جهاز متمرس بأعمال الحكومة وهو الوكالة اليهودية ، كما أصبح لديهم قوات عسكرية ذات تنظيم ودراية ممثلة فى تشكيلات « الهاجاناه » و « الارجون زفاى ليويمى » . وعلى ذلك وتحت ضغط والحاح الصهيونيين فى بريطانيا ، فقد طلب الوفد الدائم لبريطانيا فى الأمم المتحدة فى فبراير ١٩٤٧ من السكرتير العام أن يضع مشكلة فلسطين فى جدول أعمال الدورة القادمة للجمعية العامة والتى كانت ستعقد فى خريف ذلك العام .

ولكن فى إبريل ١٩٤٧ ، كان الموقف فى فلسطين قد أصبح خطيرًا جدًا ، وتبادل كل من اليهود والعرب الاشتباكات الدامية والغارات المفاجئة ، كما أصبحت القوات البريطانية نفسها - برغم انحيازها لليهود - عرضة لكثير من أعمال الخطف والاعتداء . لذلك فقد طلبت الحكومة البريطانية دعوة الجمعية العامة الى عقد دورة خاصة لتعيين وتوجيه لجنة من الأمم المتحدة لتعد تقريرًا عن فلسطين وعن حكومة المستقبل التى تتولى الأمور فيه .

وفى الاجتماع الخاص الذى عقد لذلك ، رفضت الجمعية الطلب الذى تقدمت به الدول العربية الخمس أعضاء الأمم المتحدة بإنهاء الانتداب فى فلسطين وإعلان استقلاله ، وعينت الجمعية لجنة من أحد عشر عضوا يمثلون الدول الحيادية الصغرى لاجراء البحث الذى طلبته الحكومة البريطانية .

وإن الأحداث التى جرت فى هذه اللجنة أو فى الاجتماعات التى عقدتها الجمعية العامة للنظر فى قرار اللجنة ومناقشته ، وكذلك الطريقة التى أمكن بها الوصول الى قرار التقسيم ، أحداث كثيرة حافلة بالغرابة

والمفاجآت ، ولسكنها كلها وليدة ما بذلته المنظمات الصهيونية العالمية في أروقة الأمم المتحدة في أثناء انعقاد جلساتها أو لدى ممثلي الأمم المختلفة ولدى حكوماتهم كبيزها وصغيرها . بل انهم استخدموا الضغط من الحكومة الأمريكية نفسها على بعض الدول الأعضاء ليحولوها الى طريقهم . . طريق الغدر والخيانة .

أما عن اللجنة ، فيكفى أن نقول : انها انقسمت على نفسها بخصوص تقسيم فلسطين أو جعلها دولة اتحادية . وكان رأى الاكثرية تقسيم فلسطين الى دولتين ، عربية ويهودية ، مع وضع مدينتي القدس وبيت لحم تحت نظام وصاية دول ، وعلى أن تظل المملكة المتحدة (بريطانيا) وحدها أو بالاشتراك مع أعضاء من الأمم المتحدة تدير فلسطين تحت اشراف الأمم المتحدة .

وكان رأى الاقلية تكوين دولة اتحادية ، تكون القدس عاصمتها ، وأن تكون المقاطعتان العربية واليهودية كل على حدة متمتعة بحكم ذاتي داخلي .

أما عن اجتماعات الجمعية ومناقشاتها ، فيكفى أن نذكر أن مناقشة التوصيات استمرت طوال شهرى أكتوبر ونوفمبر عام ١٩٤٧ . وكان هذا الوقت الطويل مهلة كافية لتقوم الصهيونية وأتباعها بتحويل مجرى الحوادث الى الغايات التي تقصدها . وما أن بدأ التصويت في نوفمبر حتى بذل الصهليون آخر ما فى جعبتهم مستخدمين الوعد تارة والوعيد أخرى ، بل ان وفد « سايام » الذى صوت ضد التقسيم ألغيت أوراق اعتماده . ولا شك أن قوة الصهيونية ونفوذها ظهرا على حقيقتهما فى تلك الحقبة ، على حين كان ممثلو العرب وان تضاضفروا قلة أمام أطماع دول العالم المختلفة .

وفى النهاية، عميت ابصار وفود الدول عن الحق والعدالة الواضحين، وأقرت الأمم المتحدة تقسيم فلسطين بأكثرية ٢٣ صوتا ومعارضة ١٣ صوتا وامتنع ١٠ مندوبين عن التصويت .

(د) الفرصة الأخيرة :

كانت الفترة التى مرت بين نهاية شهر نوفمبر عام ١٩٤٧ ويوم ١٤ من مايو عام ١٩٤٨ من أقسى الفترات التى مرت بالعالم العربى عامة وبشعب فلسطين خاصة .

فما كان اعلان قرار التقسيم واعلان انسحاب القوات البريطانية يوم ١٥ من مايو عام ١٩٤٨ الا انذارا بتسليم فلسطين ومن عليها وما بها من مقدسات وأقوات وأرزاق ، مقدسات العالم وأرزاق شعب فلسطين بل وأجدات آبائهم وأجدادهم الى العصابات الصهيونية لتحقيق حلما لا أساس له ولا سند من تاريخ أو دين أو منطق .

بل هو اهدار لحق شعب مكافح سلبته عصابات من اللصوص وطنه وماله وأعراضه وأرواح بنيه أمام سمع وبصر العالم بل وبمساعده الغاشمة .

وكان من الممكن نتيجة ما قام به عرب فلسطين من أعمال البطولة والتضحية ، أن ينحسر المد وأن تخسر الصهيونية قضية الاثم والغدر في اللحظة الأخيرة ، لو أن العالم العربى وقتذاك كان قد أعد العدة لمثل هذا اليوم المشئوم . ولكن الاستعمار وأذنا به والأعيب الصهيونية ودسائسها تمكنت من طمس أبصار عقول وقلوب القائمين بالأمر فى تلك البلاد ، فى الوقت الذى استمرت المؤسسات والمنظمات الصهيونية فى العالم أجمع تبذل الجهود الجبارة فى جلب السلاح والعتاد والجنود والضباط المرتزقة من شتى البلاد وأن تدخلهم الى فلسطين تحت سمع وبصر الانجليز .

أما القائمون على أمور البلاد العربية ، فأضاعوا الفرصة والوقت الثمين فى كلام لا طائل تحته دون أن يعيخوا مقدراتهم ويهيئوا قواتهم لملاقاة هذا اليوم العصيب وذلك العدو الجبار .

أما الانجليز ، فقد أتاحوا لليهود فى فلسطين فرصة ذهبية بقرارهم وقف الادارة المدنية وتصفيته اعتبارا من أول مارس ١٩٤٨ وتحويلهم المندوب السامى البريطانى الى حاكم عسكري ، وبدأت قواتهم تنكمش من المناطق اليهودية ليصبح للأخيرين فيها حرية العمل والتنظيم والمبادأة ، وليمكنهم وضع أيديهم على المرافق العامة والموانى والمطارات والمنشآت ، وأن يفتحوا الطريق للسفن القادمة اليهم بالرجال والعتاد . وفى الوقت نفسه ظل الانجليز يحتلون المناطق العربية قابضين على زمام ادارتها معوقين من فيها عن الاستعداد لليوم الكبير ، يحرمونهم فرصة الحصول على السلاح أو اجراء التحركات الا ما ندر تحت اسم الاحكام العسكرية .

وبالرغم من كل ذلك ، فقد وصلت أخبار المقاومة العربية وأخبار الثورة فى فلسطين الى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، حتى ان المندوب الأمريكى تقدم فى ١٩ من مارس ١٩٤٨ باعلان سحب حكومته لتأييد

التقسيم لاقتناعها أنه أمر لا يمكن تنفيذه إلا بقوة السلاح مما لا توافق عليه الحكومة الأمريكية . واقتراح وضع فلسطين تحت الوصاية وإعادة القضية برمتها ثانية الى هيئة الأمم لاعادة النظر فيها ، على أن يدعى العرب واليهود الى عقد هدنة سياسية وعسكرية انتظارا للنتيجة . وقد وافق المجلس على ذلك . ولكن سرعان ما انقلب ميزان القوى الى جانب اليهود الذين تمكنوا من نشر الذعر والفرع بين السكان العرب العزل بمذابحهم الوحشية وهجماتهم الغادرة على القرى الآمنة ، كما حدث في قرية «دير ياسين» التي تقع على مشارف القدس في القطاع الذي كان مزعما تدويله ، مما فت في عضد الأهالي ونشر موجة من الذعر عمت فلسطين كلها ونتج عنها أن ترك الكثيرون قراهم وديارهم ولجأوا الى المناطق التي كانت تحميها قوات المناضلين العرب تاركين الكثير من الأرض والخيرات دون أن تطلق في سبيل الدفاع عنها طلقة واحدة أو يصد المعتدي عليها مقاتل .

وكان « الملك عبد الله » ملك شرق الاردن قد اتفق في « لندن » أن تدخل قواته لاحتلال المناطق المخصصة للعرب في خطة التقسيم لتوسيع ملكه باعتبار « أن فلسطين والاردن بلد واحد فلسطين هي الساحل والاردن هي الاراضي الداخلية لنفس البلد » كما جاء على لسان وفد الملك عبد الله في اجتماع العرب في القاهرة في أبريل ١٩٤٨ . وبذلك يكون « الملك عبد الله » قد رضى بالتقسيم وأقره ، بل وأخذ نصيبه من فلسطين حذوه في ذلك حذو اسرائيل .

وفي صباح ١٥ من مايو ١٩٤٨ ، دخلت الجيوش العربية فلسطين بعد أن كانت قوات المقاومة العربية فيها قد أصبحت على وشك الانهيار لقلة عددها وعدتها . ويمكن أن تلخص هذه المأساة الكبيرة الدامية في كلمات قليلة . فان الحقيقة أن ما دخل فلسطين في صباح ذلك اليوم من الجيوش العربية لم يتعد قوات صغيرة من الجيش المصري غير مكتملة العدة أو التسليح أو الحملات ، دخلت عن الطريق الساحلي الى رفح وخان يونس ومن ثم الى غزة دون أن يكون لديها المعلومات الوافية الواجبة عن مستعمرات العدو أو قواته التي اعتبرت عصابات ضئيلة لا خطر منها ولا حول لها .

وبالرغم مما أبدته تلك القوات ، ومن انضم اليها بعد ذلك من متطوعي السودانيين ومن المجاهدين من عرب شمال افريقية وبعض القوات السعودية ، إلا أن كل تلك القوات كانت ضئيلة ، ناقصة التسليح والتدريب . وبرغم ذلك كله فقد بذلك تلك القوات أشرف البذل واطر

الرجال ضباطا وجنودا آيات رائعة من البطولة والتضحية . ولكن ..
كان الاستعمار حريصا على النهاية كما رسمها وكانت الخيانة مبيتة
للعرب . ولا يمكن أن يكتب تعليق أو ترسم نهاية لتلك الأحداث الدامية
أعمق ولا أجلى مما وصفها به « الميثاق » بقوله : « ان سخرية القدر من
الأمة العربية وصلت الى حد ان جيوشها التي دخلت فلسطين لتحافظ
على الحق العربي فيها كانت تحت القيادة العليا لأحد العملاء الذين اشتراهم
الاستعمار بالثمن البخس . بل ان العمليات العسكرية تحت هذه القيادة
العليا كانت في يد ضابط انجليزى يتلقى اوامره من السياسة الذين
اعطوا للحكومة الصهيونية وعد بلفور الذى قامت على أساسه الدولة
اليهودية فى فلسطين » .

الباب الخامس

الدولة اليهودية

(١) اعتداء الصهيونية :

فى القرن الأول الميلادى ، وفدت قبائل من أصل تترى من آسيا الى مناطق شرق أوربا عن الطريق البرى المار شمالى بحر قزوين واستقرت غرب جبال الأورال وشمال البحر الأسود وامتدت أراضيها الى الغرب فى أوربا فى منطقة واسعة ، وعرفت تلك القبائل يومئذ « بمملكة الخزر » ، وكانوا فى بداية عهدهم واستقرارهم قبائل وثنية صناعتها الغزو والفتح . واستطاعت هذه الدولة بشدة بأسها ووسطوتها أن تسيطر على أكثر من عشرين شعبا ممن غزتهم .

وفى نهاية القرن السابع الميلادى تقريبا ، اعتنق أهلوها الدين اليهودى وتكونت دولة يهودية عاشت منتعشة قوية الجانب مدى خمسة قرون تقريبا فى تحالف مع جارتين القويتين الامبراطورية الفارسية والامبراطورية البيزنطية الشرقية ، الى أن بدأت فى نهاية القرن العاشر الميلادى قبائل « الفارنجة » مهاجمتها قادمة اليها من الشمال (روسيا) . وتحت توالى هذه الهجمات بدأت مملكة « الخزر » فى الاضمحلال وضاعت أخيرا وضاع شعبها فى خضم الدولة الروسية ، ولعل ذلك سببا فى أن عددا كبيرا من أهالى جنوب روسيا لا يزالون يدينون باليهودية .

وفى القرون التالية أصبح جزء كبير من هذا الشعب ضمن أهالى الدول التى تكونت بالاقتطاع من الامبراطورية الروسية كبولندا، ولتوانيا،

ورومانيا ، وعاليسيا (التى عاد الاتحاد السوفيتى أخيرا الى إعادة ضمها اليه) .

ومنذ ذلك الوقت وحتى القرن العشرين تقريبا ظلت منطقة جنوب الروسية جامدة بالرغم من الصراع العنيف الذى دار بين الامبراطوريتين الروسية والعثمانية فى تلك المناطق وظلت مقرا لكل الذين كان أسلافهم أصلا من مملكة الحزر اليهودية . وقد أشار « دزرائيلى » مرة الى ذلك بقوله : ان اليهود شعب قوقازى حسن الاعداد والتنظيم . وأخيرا ، لعب الاستعمار بكل أشكاله وصوره بما فى ذلك الاستعمار الصهيونى على مساعدة هؤلاء التتار على غزو فلسطين وإنشاء « الدولة اليهودية » الجديدة به منتحلا لوجودها فيه حقا يستند الى أساطير دينية وارتباط تاريخى تارة وباسم الانسانية تارة أخرى .

أما عن الأسانيد الدينية والتاريخية ، فمطعون فيها ولا تستند على أساس ثابت صريح ، ولم يوجد فى فلسطين كله نقش واحد أو أثر أو حجر (عدا حائط المبكى الذى يقول عنه اليهود انه جدار المعبد الذى بناه سليمان) (١) يمكن أن يعتبر دليلا على مثال الأدلة التى توجد عادة وتنسب عن ارتباط الشعوب بالأراضى التى سكنوها قديما . فى حين أنه ثابت فى التاريخ وبآثار ناطقة ، أن العرب قد أجلوا الرومان عن هذه المنطقة وضموها اليهم وعاشوا فيها منذ أكثر من ألف عام مع اخوانهم الذين كانوا يسكنونها اذ ذاك والذين كانوا يمتون لهم بصلات من القرابة والجوار .

أما عن الانسانية فانها لا ترضى تحت ستار من اسمها الكريم أن يسمح لشراذم متفرقة تضم مختلف الجنسيات والحضارات واللغات أن تطرد شعبا منظما موحدًا من الأرض التى أقام فيها منذ فجر التاريخ .

وليس أدل على خطأ هذا الحق بشطريه ما حدث فى أول مؤتمر صهيونى تم عقده فى « بازل » بسويسرا لوضع أسس الحركة الصهيونية

(١) بنى سليمان بيت الرب فى السنة الاربعمئة والثمانين لخروج بنى اسرائيل من مصر وفى السنة الرابعة للملكه نحو ١١٠٢ ق م . (الملوك الأول ٦ : ١) وبناء فى سبع سنين (الملوك الأول ٦ : ٢٨) وأحرق بالنار فى السنة التاسعة عشرة للملك نبوخذناصر ملك بابل الذى سبى يهوذا ، وكذلك حرقت بالنار جميع أسوار اورشليم (الملوك الثانى ٢٥ : ١٠) نحو ٥٨٨ ق م .

اذ دعا « ثيودور هرتزل » (الى استعادة الأرض التي لا سكان لها للسكان الذين لا أرض لهم) . بل ونكرر هنا أن « هرتزل » هذا نفسه كاد أن يوافق عام ١٩٠٣ على الاقتراح الذي كانت قد تقدمت به الحكومة البريطانية بجعل « اوغندا » وطناً قومياً لليهود . ولكن كان موقع فلسطين الجغرافي والاستراتيجي قبلة أنظار اخوانه في الحركة الصهيونية ممن يحلمون بالسيطرة على العالم في يوم من الأيام فأرغموه على رفض « اوغندا » والاصرار على اختيار فلسطين .

والصهيونية العالمية برغم قلة عدد اليهود في العالم (لا يزيد تعدادهم عن ٢٠.٠٠٠.٠٠٠ نسمة) ، وبالرغم من أن بعض اليهود يناهضون أهداف الصهيونية السياسية ، تمتد شباكها في كل أنحاء العالم مرتكزة على ما يملكه اليهود من ثروات موزعة في مختلف الاقطار . كذلك فهي تربط بين الأقليات اليهودية في دول العالم كله برباط سرى من التآمر والتواطؤ يجعلها قادرة أن تحرك خيوط مؤامراتها في كل الدول بما يتفق مع مصالحها مهما اختلفت سياسات وأغراض تلك الدول . ومن الغريب أن معظم الحركات الكبرى التي غيرت وجه التاريخ في دول كثيرة، بل وأثرت على سير الحضارة والمدنية والاتجاهات الاقتصادية في العالم أجمع . كانت دائماً من تدير ورسم الصهيونية ، بل انه يعزى اليها العمل على اشعال نار الحربين العالميتين اللتين اصطلى العالم كله نيرانهما، كما يعزى اليها النتيجة النهائية لهاتين الحربين .

ومما لا شك فيه أن دول العالم كله على مر العصور والأزمان كانت تحس بهذه التدبيرات وتلك المؤامرة ، ومن ثم كانت الاضطهادات تلاحقهم دائماً في كل مكان وزمان ، في مصر الفرعونية ، وفي شبه الجزيرة العربية أيام ظهور الاسلام ، وفي البرتغال واسبانيا في عصر محاكم التفتيش المسيحية ، وفي روسيا وبولندا ابان الحكم القيصري ، وفي النمسا والمجر ودول وسط أوروبا في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، وفي انجلترا نفسها في عهد ادوارد الأول ، ثم أخيراً في المانيا وايطاليا تحت الحكيم النازي والفاشي . وبرغم كل ذلك ، فان الصهيونية كانت تنقل مراكز قوتها من دولة الى أخرى لتتفادى تلك الضربات ولتدبر خططها متابعة سياستها العدوانية كما تنتقل أوجاع الروماتيزم المفصل الحاد من مكان الى آخر في الجسم المريض به .

(ب) دور الكتلة الشيوعية :

ان الشيوعية ليست غريبة على اتصهيوئية « فلينين » جرت فى عروقه الدماء المغولية «وكارل ماركس» أبوه يهودى فى الأصل كان اسمه « مردوخ » هجر اليهودية الى المسيحية لأسباب سياسية عندما كان كارل صغيرا . كذلك ستالين فهو قوقازى من ولاية جورجيا .

ولعله ليس من المصادفة أن يصدر « وعد بلفور » الى اللورد «روتشيلد» أحد كبار زعماء المال اليهود فى الشهر الذى وقعت فيه الثورة فى روسيا ضد الحكم القيصرى . وقد قيل فى ذلك الصدد أن وعد بلفور صدر لاعطاء اليهود أملا يدفعهم الى ابقاء روسيا القيصرية فى الحرب الى جانب الحلفاء ، ولعل الوعد المشئوم صدر لابقاء (روسيا ما بعد الثورة) فى الحرب الى جانب الحلفاء طبعاً .

ولهذا قامت الكتلة الشيوعية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى بمساعدات كبيرة فى خلق وإيجاد الدولة اليهودية فى فلسطين عند بدء قيامها .

عندما عرض مشروع تقسيم فلسطين فى الامم المتحدة عام ١٩٤٧ أيدته الكتلة الشيوعية ، وكان الاتحاد السوفيتى يساعد على أن يحوز المشروع الاغلبية المطلقة .

وفى ديسمبر عام ١٩٤٨ عندما تقدمت « اسرائيل » بأول طلب لها للانضمام الى عضوية الأمم المتحدة وليعترف بها وبحقها كدولة مستقلة ذات سيادة ، أيد الاتحاد السوفيتى هذا الطلب . ولولا أن بريطانيا امتنعت عن التصويت (لسبب غير معروف) لفازت «اسرائيل» بالعضوية فى ذلك الوقت .

وفى ربيع عام ١٩٤٩ عندما تقدمت « اسرائيل » بطلبها مرة ثانية لنفس الغرض أيدها الاتحاد السوفيتى فى هذه المرة أيضا وتمكنت اسرائيل من الحصول على عضوية الامم المتحدة .

أما فى مشكلة « تدويل القدس » فقد كان للاتحاد السوفيتى موقف غير ثابت وغير مفهوم . ففي البداية أيد الاتحاد السوفيتى تدويل القدس، ولكن عند اجتماع الجمعية العامة عام ١٩٥٠ ، غير الاتحاد السوفيتى موقفه الأول وعارض التدويل مما جعل هذه المشكلة معلقة حتى الآن .

وفى عام ١٩٤٨ وفى أثناء القتال الذى دار بين الدول العربية وبين

القوات الصهيونية سمحت روسيا للمصانع التشيكية بإمداد القوات اليهودية بكثير من احتياجاتها الحربية من أسلحة وذخائر وطائرات .

وبالرغم من أن الاتحاد السوفيتي يقف موقفا طيبا من العرب في الفترة الأخيرة ويرفض التعامل مع « إسرائيل » وهجرة اليهود منه ، فإنه والكتلة الشيوعية الدائرة في فلكه لا يزال يعتبر امدادا بشريا قريب المنال لليهود فلسطين . فمجموع اليهود في مجموعة الاتحاد السوفيتي ودول الكتلة الشيوعية الآن يبلغ قرابة ثلاثة ملايين وربع المليون ، منهم ثلاثة ملايين تقريبا في الاتحاد السوفيتي وحده .

(ج) دور الاستعمار الغربي :

حوى هذا البحث تطورات مملأة الاستعمار الغربي للدولة اليهودية منذ بداية التفكير في احلالها في فلسطين الى أن أمكنها اعلان وجودها ، برغم ما بذله العالم العربي لدول الغرب ولبريطانيا خصوصا خلال الحربين العالميتين . ولكن دول الغرب (وخصوصا بريطانيا) ما كادت تخرج منتصرة من الحرب الأخيرة حتى كانت تقدم فلسطين الى مخالف الاطماع الصهيونية . ولايعوزنا دليل على أن السبب في ذلك هو أن النفوذ الصهيوني في العالم الغربي استطاع أن يضع حكومات بل وبعض حكام تلك الدول تحت كامل سيطرته ، كما استطاع أن يسير السياسة الخارجية لدول الغرب في هذه المشكلة الوجهة التي تحقق المطامع الصهيونية .

وما أن نبتت « الدولة اليهودية » في فلسطين ، حتى عمل الغرب على مساندتها والمحافظة عليها بكل المساعي والوسائل ، كما حارب الحصار الاقتصادي الذي فرضه العالم العربي عليها بما سهله لها من تعويضات فرضت على ألمانيا ، وبما سمح لليهود ومنظماتهم بجمعه من تبرعات أخذت من الشعوب الغربية ، وبما قدمته حكومات تلك الدول الأخيرة من قروض ومساعدات الى « الدولة اليهودية » بلغ أضعاف ما نالته الدول العربية جميعها ، مع الفارق الشاسع بين تعداد سكان الفريقين وبين مساحة أرضيهما .

أما في السياسة الدولية ، فقد تذرع الغرب بكل الحيل الاستعمارية وبالترغيب والارهاب والخداع ليبقى على « الدولة اليهودية » ويثبت أقدامها في فلسطين كما سيأتى شرحه .

فدفع « بالملك عبد الله » ، ومعركة فلسطين لما تبدأ ، الى الإكتفاء

من الحرب بضم المنطقة الشرقية من فلسطين الى شرق الأردن لتختفى بذلك معالم فلسطين ولا يبقى منه الا أراضى « الدولة اليهودية » .

ثم أوقع الشقاق مرارا بين الدول العربية وبين بعضها - برغم انتظامها فى جامعة الدول العربية - بما أغرى به بعض الحكام من سراب كاذب ليفرق كلمتهم ويوهن عزيمة الباقين .

وخرض « نورى السعيد » عميل الاستعمار الغربى فى العراق بالتلويح « للأردن » بما أسماه مشروع الهلال الحبيب لينضم اليه كبداية لمشروع « سورية الكبرى » ، واستطاعت مصر أن تفوت على الاستعمار وعلى « نورى السعيد » هذه الحيلة فقدمت الى جامعة الدول العربية « مشروع الدفاع العربى المشترك » الذى وقع فى ابريل ١٩٥٠ .

وفى مايو ١٩٥٠ عقب اعلان توقيع معاهدة الدفاع العربى المشترك سارعت الولايات المتحدة الأمريكية ، وبريطانيا ، وفرنسا باصدار بيانهم المعروف « بالبيان الثلاثى » ليضمنوا سلامة « اسرائيل » ، ولكن هذا البيان فتح بابا فى مشكلة فلسطين ، اذ لم يجعل من « الأمر الواقع » حلا نهائيا للمشكلة .

وفى اكتوبر ١٩٥١ تقدمت الولايات المتحدة الامريكية بمشروع « منظمة الدفاع المشترك عن الشرق الأوسط » مشتركة بريطانيا وفرنسا وتركيا (وثلاثتهم بينهم وبين « اسرائيل » اتفاقيات أخرى) فى واجب الدفاع عن المنظمة ، وجعلته مرتكزا على قوات تلك الدول فى الأراضى المصرية . ولكن الرئيس جمال عبد الناصر الذى كان يرى فى بقاء قوات بريطانيا فى الاراضى المصرية عارا وعبئا وحاجزا صناعيا رفض هذا المشروع رفضا باتا . بل ووقع فى اكتوبر ١٩٥٤ معاهدة جلاء القوات البريطانية عن قناة السويس وأزال عار الاحتلال البريطانى لمصر وأزاح الحاجز بين القوات المصرية وبين « الدولة اليهودية » .

وفى أوائل ١٩٥٥ أعلن اعتزام نورى السعيد ربط العراق بتركيا فى معاهدة دفاع مشتركة سميت « حلف بغداد » ودعيت الدول العربية التى ترغب الاشتراك فى هذا الحلف للانضمام اليه . فأحدث المشروع فى تكوين هذا الحلف بلبلة وانقساماً بين الدول العربية ولما أحسست مصر بخطورة هذا الحلف على القضايا العربية ، دعت الى عقد اجتماع طارئ لجامعة الدول العربية لمنع تنفيذ هذه المعاهدة ، ولكن نورى السعيد انفصل بالعراق عن معاهدة الأمن التابعة لجامعة الدول العربية مما نتج عنه أن

أصبحت في فبراير عام ١٩٥٥ معاهدة الدفاع العربية غير قائمة ، فعقدت معاهدة جديدة بين مصر وسورية وانضمت اليها كل من المملكة العربية السعودية واليمن .

وبرغم انضمام بريطانيا لحلف بغداد بعقد المعاهدة الانجليزية - العراقية في ابريل عام ١٩٥٥ فقد تجدد « حلف بغداد » . وحاول الانجليز ربط الأردن بحلف بغداد بما سمي « مشروع تمبلر » ولكن يقظة الشعب الأردني ومقاومته « مشروع تمبلر » قضت على هذه المحاولة . وأخيرا وبقيام ثورة العراق في يولييه عام ١٩٥٨ انتهى الحلف نهائيا .

وبالرغم من الاعتداءات المتكررة التي قامت بها قوات « الدولة اليهودية » غدرا على بعض المواقع المصرية ، وأخصها ما وقع في قطاع « غزة » في ٢٨ من فبراير عام ١٩٥٥ لارغام مصر على الدخول في محالفات عسكرية ، فان الرئيس جمال عبد الناصر أصر اصرارا قاطعا على عدم الدخول في أحلاف عسكرية ، وأصر على أن الدفاع عن المنطقة ينبع من داخلها في نطاق الدول العربية وحدها .

في أغسطس عام ١٩٥٥ ألقى مستر « دالاس » وزير خارجية أمريكا خطابا أمام مجلس الشئون الخارجية تناول فيه مسألة تسوية مشاكل اللاجئين العرب والحدود بين الدول العربية و « الدولة اليهودية » ومياه نهر الاردن . وقد رأت الدول العربية أنه بهذا الخطاب يحاول الانضمام الى « الدولة اليهودية » في التخلص من قرارات الأمم المتحدة وتجاهل قرار مؤتمر باندونج المطالب بتنفيذ هذه القرارات ، ولإعادة قضية فلسطين الى أيدي الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومن يشايعهما بعد أن خرجت الى النطاق العالمي الواسع . وأخيرا فهو يسعى الى تقرير نوع من السيطرة للغرب على منطقة الشرق الأوسط .

عادت « الدولة اليهودية » الى اعتداءاتها باجتياز خطوط الهدنة واحتلت في ٢٢ أغسطس موقعا داخل القطاع المصري . وفي أواخر أغسطس ، قامت باعتداء آخر على « خان يونس » ، وطبعا كان الغرض من هذه الاعتداءات وخصوصا الأخير منها أن تدخل « الدولة اليهودية » في محادثات مع الحكومة المصرية بغية الانتقال بالهدنة وحالة الحرب الى حالة سلم واستقرار .

وعقدت « الدولة اليهودية » صفقة أسلحة في فرنسا تضمنت

الدبابات وطائرات « مستير » ، وطلب الرئيس جمال عبد الناصر السلاح من الولايات المتحدة الأمريكية لتعزيز القوات المصرية ومواجهة العدوان اليهودي وللدفاع عن المنطقة بوساطة القوات العربية ، ولكن الولايات المتحدة الأمريكية رفضت الطلب ، ولما أبدى لبريطانيا رغبته فى شراء بعض الأسلحة لنفس الغرض رفضت كذلك ، فاتجه الى الكتلة الشرقية وعقد صفقة أسلحة تشيكية فى أواخر أكتوبر وأوائل نوفمبر ١٩٥٥ ، وأسمى سيادته هذه الصفقة « كسر احتكار السلاح » .

فى ٩ من نوفمبر ١٩٥٥ القى مستر « انتونى ايدن » وزير خارجية بريطانيا بيانا فى دار البلدية فى لندن ملوحا بمشروعات الرى التى يعدها « جونستون » الأمريكى لمصلحة العرب واسرائيل وباستعداد بريطانيا وأمريكا لبذل مساعييهما فى انهاء مشكلة الحدود بين الدول العربية « والدولة اليهودية » على أساس التوفيق بين قرارات الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ وبين « الامر الواقع » على حسب الموقف فى الهدنة عام ١٩٤٩ ، وقال فى هذا البيان « أطلب من أصدقائنا من العرب والاسرائيليين أن يولونا ثقتهم » . وطبعا كان طلب ثقة العرب فى الاستعمار الغربى وخصوصا فى بريطانيا بعد كل ما حصل مطلباً عسير المنال . بل مناوره لا يمكن لعربى أن يطمئن اليها وخصوصا بعد الاعتداء على المواقع العربية فى « خان يونس » . ولعل هذه الكلمات سبقت كمحاولة لجس النبض أو لتهدة موقف العرب أو لعلها محاولة جديدة لتغطية موقف « الدولة اليهودية » بعد اعتدائها الأخير .

ولما لم يجد بيان « ايدن » قبولا من العالم العربى قامت « الدولة اليهودية » باعتداء كبير فى ١١ ، ١٢ من ديسمبر عام ١٩٥٥ على الأراضى السورية على طول المنطقة الشرقية « لبحيرة طبرية » ، فأعلن الرئيس جمال عبد الناصر أن مصر تعتبر أن الاعتداء على الأراضى السورية وكأنه واقع على الأراضى المصرية . وعند نظر شكوى سورية من هذا الاعتداء فى مجلس الأمن ، بات واضحا رغبة الدولة اليهودية فى جر سورية الى الاعتراف بحقوق « اسرائيل » فى بحيرة طبرية ولتحديد الحدود بينهما لتصبح حدودا دولية وليست خطوطا للهدنة ولتضطر سورية الى طلب تصاريح لصياديتها بصفة رسمية من « الدولة اليهودية » يباشرون بمقتضاها الصيد فى البحيرة ، وتبتعد سورية عن فكرة حالة الحرب القائمة بينها وبين « الدولة اليهودية » مما يطمئن الاخيرة على أحد قطاعات حدودها مع العرب .

وفي فبراير عام ١٩٥٦ صدر بيان في « واشنطن » من الرئيس « ايزنهاور » والمستر « ايدن » عن الشرق الأوسط أشير فيه الى البيان الثلاثي عام ١٩٥٠ . وأعلنا في بيانهما هذا أن حكومتيهما مستعدتان للمساهمة في حل مشكلة اللاجئين بتقديم المساعدات المالية وباعطاء الضمانات اللازمة بشأن الحدود التي يتفق عليها بين الدول العربية والدولة اليهودية » .

وفي مارس عام ١٩٥٦ صرح الرئيس « ايزنهاور » في مؤتمر صحفي أن أمريكا وانجلترا تعتقدان أنه من الممكن كفالة السلام في الشرق الأوسط عن طريق تزويد « اسرائيل » بالأسلحة لأن سكانها أقل بكثير من العرب . بكل هذا ، وحتى ذلك الوقت يكون الغرب قد حاول مرارا انهاء مشكلة فلسطين وقرار الدولة اليهودية وتأمين حدودها وتثبيتها واستقرار الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط بما يتفق وسياساتهم الاستعمارية نحو المنطقة ، ولكنه منى بفشل متكرر في الحصول على غاية واحدة من غاياته هذه ، فقد فشل البيان الثلاثي ، وفشلت محاولة انشاء منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط ، وفشل حلف بغداد ، كما لم تأت الرحلة التي قام بها « سلوين لويدي » الى الشرق الأوسط والبحرين بفائدة بل انعكست فيها صورة لمشاعر غضب العرب على كل من يمثل الاستعمار الغربي ، وأخيرا فشل وزير خارجية فرنسا في منع مصر من مساندة ثورة الجزائر التي كانت تحارب من أجل استقلالها وتكلف فرنسا خسائر فادحة برغم أعمال الوحشية التي كانت تباشرها القوات الفرنسية في تلك البلاد . أما الاعتداءات المتكررة التي قامت بها « الدولة اليهودية » على حدود الدول العربية المحيطة بها في مصر وسورية والأردن فلم يكن لها ثمرة الا أن أظهرتها أمام دول العالم في مجلس الأمن بمظهر المعتدى الاثيم .

وفي الوقت نفسه ، نجح العرب ، ليس في تحطيم مناورات الاستعمار الغربي ومحاولاته ، بل أمكنهم أيضا الحصول على السلاح من الكتلة الشرقية وبدءوا يتدربون على استخدامه (كان الجيش الانجليزي قد جلا نهائيا عن قاعدة القناة في ١٨ من يونية ١٩٥٦) ، كما أمكن ابعاد «جلوب» عن الجيش العربي الأردني . كذلك كان اعتراف حكومة مصر بالصين الشعبية ، وفوز العرب في اقرار مبدأ الحياد الايجابي في « مؤتمر بانديونج » للدول الآسيوية الافريقية وأخيرا ، عندما سحبت أمريكا وانجلترا معا اتفاقهما باقراض الحكومة المصرية لتنفيذ مشروع « السد

العالى « ، أعلن الرئيس جمال عبد الناصر فى ٢٦ من يولية عام ١٩٥٦ تأميم قناة السويس ليتمكن لمصر أن تبنى سدها من فائض عوائد قناتها .

كان الفشل الذريع المتكرر يجثم على قلوب المستعمرين وكان نجاح العرب يزيد من قوتهم وتصميمهم ويقصر الطريق أمامهم لبلوغ أهدافهم الشريفة ، ولكن ضربة تأميم القناة كان لها وقع هائل ودوى ، ليس فى العالم العربى الذى قابلها بالدهشة والاستبشار ، بل فى العالم أجمع الذى رأى هيبة الغرب ممثلة فى « بريطانيا العظمى » و « فرنسا » تهوى الى الحضيض ، وخصوصا فى منطقة الشرق الأوسط وفى قارة افريقية . كما أصبحت الدولة اليهودية تشعر بقلق كبير بلا حام أو نصير .

وركبت بريطانيا وفرنسا رأسسهما وسحبتا « اسرائيل » فى أذيالهما وبدأ ثلاثتهم يعدون العدة للخلاص من القوات المسلحة المصرية قبل أن تبلغ مداها ، ومن الحكم القائم فى مصر الذى وقف عن حق عقبة كأداء فى سبيل تحقيق أطماعهم الاستعمارية فى المنطقة ، والذى وضعهم فى النهاية موضع الامتحان العسير . وبالرغم من أن قضية القناة كانت تنظر فى مجلس الأمن وتتبادل بشأنها مذكرات قانونية حتى جلسة ١٣ من اكتوبر ١٩٥٦ ، فقد تحركت فى ٢٩ من اكتوبر « قوات الدولة اليهودية » عبر حدود مصر الشرقية ، فهبت لها القوات المسلحة المصرية ، ولقنتها درسا فى فنون الحرب والقتال جعلها تقف متخبطة فى أحوال المعركة التى بدأتها . واذا بأبواب الخديعة تفتح بانذار توجهه كل من بريطانيا وفرنسا لسحب القوات المصرية ١٠ أميال وراء القنال فى ظرف ١٢ ساعة من وقت الانذار . وكان هذا الانذار عجيبا من الوجهة الاستراتيجية ولا يمكن تنفيذه تبعا للأوضاع الحربية ، ولكنه كان العذر الذى تذرعت به « الدولتان العظيمتان » لتطلقا قواتهما العسكرية المجهزة للانقضاض على مصر . ووقف الرئيس جمال عبد الناصر كالطود الراسخ ووقف من ورائه شعب مصر الخالد ، واصطفت تحت رايتها شعوب العالم العربى ، بل وجميع شعوب العالم المحبة للحق والحرية والسلام . وبالرغم من عدم تكافؤ القوات المتقاتلة وخصوصا فى الجو والبحر ، فلم يمكن القوات المعتدية أن تحرز تقدما حيويا ، وسارع الرئيس جمال عبد الناصر باصدار أوامره للقوات المصرية الرئيسية بالانسحاب الى الدلتا وتغطية مداخل القاهرة حيث أعد عدته للمعركة الكبرى . وتدخلت الولايات المتحدة الأمريكية لوقف القتال ، كما قدم الاتحاد السوفيتى تحذيرا شديدا

ووصل حد الانذار الى بريطانيا بالتدخل ضد الجزر البريطانية اذا لم يوقف الهجوم على مصر ، فوقف ثم انحسر . واتضح للانجليز والفرنسيين في فترة المعركة أن ماكانوا يتوهمونه عن الأحوال في الوطن العربي الذي مارسوه في الماضي قد تغير ، فقد قوبلوا بأعمال عدائية في كل منطقة الشرق الأوسط العربية بما له من تأثير مباشر على مجهودهم الحربي والاقتصادي . أما في مصر ، فبالرغم من النداءات الوضيعة التي أذيعت من قبرص على المصريين ، فانهم كانوا قد انصهروا في بوتقة ثورة ٢٣ يولييه ١٩٥٢ ، ولم يبق في مصر ملك يعمل بوحى الاستعمار أو شعب تائه . بل كانت مصر قيادة وجيشا وشعبا تربطهم جميعا غاية واحدة ورباط مقدس هو حماية الوطن وافتدائه . وثبتت مصر بشعبها وبقواتها المسلحة وراء قائدها العظيم الى أن انجابت الغاشية وخرج المستعمر الغاشم يجر أذيال الخزي والعار ، وخرجت « اسرائيل » في عقبه تحمى ظهرها قوات الطوارئ الدولية حتى لاتأخذها ثورة المصريين لكرامتهم وعز بلادهم بما أذنبت . وفي أثناء انسحاب القوات اليهودية أرادت الدبلوماسية الاسرائيلية أن تستغل وجود قواتها في قطاع غزة وفي شرم الشيخ لتحصل نظير سحب هذه القوات من هاتين المنطقتين على مساعدة الغرب لها في حق المرور في قناة السويس وخليج العقبة وممرات تيران ، أو أن تضمن لها خطوط هدنة عام ١٩٤٩ كحدود ثابتة ، ولكن العالم الغربي كله كان يصلي حماقة الاعتداء الغاشم ، بل كان العالم كله يندفع بسرعة نحو ويلات حرب شاملة مدمرة قد تستخدم فيها الأسلحة الذرية . وبالرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية وقفت الى جانب بريطانيا وفرنسا أمام التهديد السوفيتي ، فانها لامتهما أشد اللوم على ما أسمته سياسة التهور والحمق التي ارتكبتها ضد مصر . كذلك لقيت الحكومتان البريطانية والفرنسية من العالم أجمع ، بل ومن شعوبهما (وخصوصا في انجلترا) الانتقاد اللاذع واللوم الشديد في الصحافة وفي دوائر الحكم . وتوارى « انتوني ايدن » و « جى موليه » اللذان دبوا هذه المهزلة الشريرة عن مسرح السياسة الى الأبد ، ولم يتحقق غرض واحد من أغراض الاعتداء الغاشم ، فلا القناة عادت الى سيطرة الاستعمار ، ولا « اسرائيل » وقعت صلحا مع العرب أو حتى تحددت حدودها نهائيا أو أمنت على نفسها كز العملاق في جولة تالية .

أما قطع أنابيب بترول الشرق في سورية والعراق ، واعلان المملكة العربية السعودية عن ايقاف تقديم بترولها الى بريطانيا ، وكذلك سد قناة السويس ، فقد جعل أوروبا - وبريطانيا على وجه الخصوص - في

مركز اقتصادى بالغ الخطورة ووضع أوروبا بأكملها تحت رحمة الولايات المتحدة الأمريكية اقتصاديا . وقد أصرت الأخيرة على إيقاف المساعدات الاقتصادية الى انجلترا الى أن توافق الحكومة البريطانية على قبول قرارات الأمم المتحدة وتسحب قواتها من مصر بسرعة بالغة . ولم يكن لانجلترا فى ذلك خيار .

وكان من نتيجة فشل العدوان الثلاثى على مصر تقارب فى الشعور بين الدول العربية ، وبرزت القومية العربية كسلاح ماض ومقدرة هائلة، وأصبح الشرق الأوسط واثقا من نفسه ومن امكانه الوقوف فى وجه الاستعمار اذا دعا الأمر بصلابة وعزم يلين .

ولما أدى فشل العدوان الثلاثى كما سبق أن أوضحت الى انخفاض هيبة بريطانيا وفرنسا وتقلص نفوذهما السياسى فى الشرق الأوسط ، فقد رأى الرئيس الأمريكى « ايزنهاور » أن تقلص القوى هذا (الذى عبر عنه فيما بعد بالفراغ) مدعاة لأن يضع مع وزير خارجيته « دالاس » مشروعا (عرف باسم مشروع ايزنهاور) تحل بمقتضاه الولايات المتحدة الأمريكية محل بريطانيا وفرنسا فى الشرق الأوسط حتى لا تنتهز الشيوعية (على حد قوله) هذه الفرصة لتحل فى هذا الفراغ . ويقوم المشروع أساسا على النقاط الأربع التالية :

١ - تخويل الولايات المتحدة الأمريكية السلطة فى أن تتعاون مع وتساعد أية أمة أو مجموعة من الأمم فى منطقة الشرق الأوسط فى تطوير اقتصادياتها وتدعيم استقلالها الوطنى .

٢ - تخويل السلطة التنفيذية التعهد بتنفيذ برامج المعونات العسكرية والتعاون مع الأمة التى ترغب فى ذلك .

٣ - تخويل الحكومة تقديم المساعدات وزيادة التعاون . بما فيه استخدام القوات المسلحة الأمريكية لحماية استقلال هذه الدول ووحدة أراضيها عند ما تطلب ذلك . ولصد العدوان المسلح من جانب الشيوعية الدولية .

٤ - تخويل الرئيس سلطة استخدام الوسائل الاقتصادية والعسكرية ووضع المبالغ اللازمة لتنفيذ معاهدة الأمن المتبادل (عام ١٩٥٤) بدون أية حدود .

وفى ٥ من يناير ١٩٥٧ تلى الرئيس « ايزنهاور » رسالته عن هذا المشروع أمام الكونجرس .

وفي ٩ من مارس ١٩٥٧ وافق الكونغرس على المشروع (لدعم السلام وتوطيد الاستقرار في الشرق الأوسط) مع تخويل الرئيس سلطة اتفاق مبلغ ٢٠٠ مليون دولار ضمن ميزانية السنة الجديدة وذلك على تنفيذ نصوص معاهدة الأمن المشترك ، كما أقر استمراره في تقديم جميع التسهيلات والمساعدات العسكرية الى قوات الطوارئ الدولية في الشرق الأوسط للمحافظة على الهدنة في المنطقة ؛ وأن يكون للرئيس حق تقرير أن الأمن والسلام في دول الشرق الأوسط قد استقرا .

وفي هذه الأثناء ظهر تصريح سوفيتي (فبراير ١٩٥٧) من ست نقط لبرامج الشرق الأوسط يمكن بموجبها :

- ١ - حل جميع الخلافات بالوسائل السلمية .
- ٢ - عدم التدخل في الشؤون الداخلية لدول المنطقة .
- ٣ - عدم انشاء كتل عسكرية فيها .
- ٤ - تصفية القواعد الأجنبية .
- ٥ - وقف تدفق الأسلحة .
- ٦ - تقديم المعونة الاقتصادية بدون أي قيود سياسية أو عسكرية .

وكان أن زاد صدور هذين التصريحين معا من خلخلة في علاقات الدول العربية بعضها ببعض ، الا أن معظم الدول العربية لم تكن مستعدة لقبول « مبدأ ايزنهاور » أو « مشروع النقساط الست » على اعتبار أن كليهما غير نابعين من دول المنطقة نفسها ، ولا يؤيدان القضية المصرية بشأن قناة السويس . واقترح « دالاس » ايفاد « جيمس رتشاردز » الرئيس السابق للجنة الشؤون الخارجية بالكونجرس في جولة استطلاعية الى مختلف دول الشرق الأوسط ليرى مدى الاستجابة للمشروع . فقام بزيارة ١٥ دولة ومنها « اسرائيل » . وجاء في المؤتمر الصحفي الذي عقد خاصا بالمباحثات معها في مايو عام ١٩٥٧ ، « تقدر حكومة اسرائيل الاهتمام الذي أبدته الولايات المتحدة وشعبها حيال اسرائيل والمساعدات التي قدمها لها طيلة السنوات الماضية » ، أما في الدول العربية فقد حدثت أزميتان احدهما في الاردن والأخرى في لبنان .

وفي الأردن ، كان تيار القومية العربية قد بلغ ذراه ؛ وأسفرت انتخابات أكتوبر ١٩٥٦ عن حكومة النابلسي الوطنية التي بادرت في

يناير ١٩٥٧ الى عقد اتفاقية التضامن المشترك بين مصر وسورية والمملكة العربية السعودية والأردن ، وألغت المعاهدة الانجليزية - الأردنية ، وأنشأت علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي في نطاق سياسة الحياد الايجابي .

ولكن حكومة النابلسي أقيلت في ١٠ من ابريل عام ١٩٥٧ .

وتحرك الاسطول السادس الأمريكي الى شرقى البحر الأبيض المتوسط ، وأذاع بأن رجال المظلات التابعين له على قدم الاستعداد للهبوط في الأردن ، وأعلنت الحكومة الأمريكية تقديمها منحة غير مشروطة قيمتها ١٠ ملايين دولار للأردن ، وكان قد سبق أن تلقى ٣٠ مليون دولار كمساعدة اقتصادية وعسكرية بموجب مبدأ ايزنهاور .

وفي لبنان ، فقد قبل « كميل شمعون » مبدأ ايزنهاور ورجا أن يفيد منه شخصيا ، فأعلن في أول ابريل ١٩٥٨ أنه سيرشح نفسه لرياسة « لبنان » مرة أخرى (كانت أنباء الوحدة بين مصر وسورية قد أعلنت في أول فبراير ١٩٥٨) ، وكان ذلك يستوجب تعديلا لدستور لبنان . وأخذ شمعون يسلح أنصاره بالأسلحة الواردة طبقا لبرنامج المساعدات العسكرية مما أدى الى اشتباكات عنيفة بينهم وبين العناصر الأخرى التي كانت غير راضية عن محاولة تغيير الدستور ، فاندلعت نيران حرب أهلية قدم أثرها « كميل شمعون » شكوى الى مجلس الأمن ضد تدخل الجمهورية العربية المتحدة في شئون لبنان .

وفي ١٤ من يولييه ١٩٥٨ قامت ثورة العراق الأولى ، فأرسل شمعون نداء الى ايزنهاور يطلب فيه التدخل عسكريا لمساعدته في لبنان . فسارعت قوات أمريكية تابعة للأسطول السادس بالنزول الى بيروت .

وفي النهاية استسلم شمعون ، وانتخب الجنرال فؤاد شهاب رئيسا لجمهورية لبنان ، واختفى مبدأ ايزنهاور . وفي آخر المطاف فشل مبدأ ايزنهاور في العالم العربي وتلاشى النصر الذي ظن في البداية أنه حقيقه . وكان العالم العربي بعد شكوى الأردن ولبنان يبدو وقد تباعد برغم وجود الوحدة بين سورية ومصر . ولكن ، وفيما لا يزيد على شهرين من تلك الأحداث ، كان العرب يحلون مشاكلهم هذه فيما بينهم وحصلوا على موافقة هيئة الأمم على الاجراءات التي اتخذوها في هذا الشأن . وأصبح الرئيس جمال عبد الناصر وسيطا بين الدول العربية ينهي خصامها ، وتلاشت الاتهامات التي كان حكام الأردن والعراق ولبنان قد وجهوها

الى حكام الجمهورية العربية المتحدة . ثم توج ذلك كله قرار جامعة الدول العربية الذي جاء مؤيدا تأييدا مباشرا وكاملا لسياسة الرئيس جمال عبد الناصر الذي كان له الفضل الأوحد في حل مشكلة الأردن وانسحاب رجال المظلات البريطانية منها . وتم انسحابهم في أواخر أكتوبر ١٩٥٨ .

وعندما تولى الرئيس « كنيدي » رئاسة الولايات المتحدة الامريكية كان قد كتب كتابا عن الشرق الأوسط ومشاكل « اسرائيل » ووجهة نظره في هذه المسائل أسماه « استراتيجية السلام » ، ونشر كتابه هذا قبل أن يتولى الرئاسة . وهذا الكتاب - بلا شك - يعبر تعبيرا صحيحا عن الاتجاهات والنوايا التي كانت توجه سياسة الولايات المتحدة الامريكية مدة رئاسة كنيدي لها . وأهم ما يلاحظ على رأى « كنيدي » بالنسبة « للدولة اليهودية » أمرين :

الاول : والأهم ، انه قال عنها « ان اسرائيل وجدت لتبقى » .

الثاني : رأيه في ضرورة تشكيل لجنة لدراسة الحدود وتنسيقها ، وهذا الرأى وان لم يمكن تنفيذه الا أنه رسم خطوطه باقتراح تكوين لجنة دولية يشترك فيها خبراء محايدون في الجغرافيا والتاريخ والقانون الدولي والدبلوماسية .

أما ملاحظاته عن البلاد العربية ، فتدل على عمق في التفكير ووعى لأخطاء السياسة الامريكية السابقة في معاملة العالم العربى ، وقد دل على وجهة نظره هذه بقوله « لقد ارتكبنا أخطاء جسيمة أخرى في الشرق الأوسط ، لقد بالغنا في تقدير قوتنا وقللنا من أهمية القوة القومية فأيدنا الحكومات بدلا من الشعوب » . ثم استطرد « لكن جثة نوري السعيد الممزقة المعلقة على أحد أعمدة النور في بغداد رمز لسياستنا في العراق » الى أن قال « أو ليس من السخرية اليوم - بعد تلك التكاليف الكثيرة التي أنفقناها والعمل الشاق الذي بذلناه وبعد المكاسب التي حققها الشيوعيون والحسائر التي لحقت بالغرب - أن نحاول أن نحقق في الشرق الأوسط وضعاً حيادياً كثيراً ما أدركنا له ظهورنا في الماضي » ، ولكنه اذ يذكر « الدولة اليهودية » يقول « ولنذكر في الوقت نفسه أننا لن ندير ظهورنا الى اسرائيل » .

وسياسة الرئيس « كنيدي » لا تخرج في جوهرها أو في اطارها العمومى عن السياسات الامريكية السابقة من حيث تأييده لبقاء « الدولة اليهودية » بل واصراره على بقائها ، ولكنه أبدى كثيراً من الفهم لما أصبح

عليه المستوى الفكرى لشعوب العالم العربى من حيث الروح القومية والوطنية وطريقة خضوعهم للحكم وللحكام ، ويكفى أن نقدم فى هذا البحث النقط السبع الأساسية التى تدور حولها نظرة الرئيس « كنيدي » لقضية الشرق الأوسط الذى يرتكز أساسا على الصالح العربى والذى أوجدت فيه « اسرائيل » تلك النقط التى قال عنها فى كتابه انها حقائق :

١ - عامل دائم لأهمية الشرق الأوسط القصى الاستراتيجية فى المعارك العالمية السياسية والحربية والفكرية ، هو أنه ، فى منتصف الطريق بين عملاقى الشرق والغرب ويسكنه ملايين لم تنحز لأحد منهما .

٢ - عامل دائم فى الشرق الأوسط ، هو البترول ، ولقد أصبح واضحا اعتماد العالم على هذا البترول وعلى نقله عبر قناة السويس ، وسيستمر اعتماد أوربا عليه الى أمد بعيد جدا بغض النظر عن تطور الطاقة الذرية .

٣ - الحقيقة الثالثة ، هو نجاح التسلسل السوفيتى الى الشرق الأوسط ، ويبدو هذا واضحا فى تصريحات الزعماء العرب والشيوعيين ، وفى ارسال الشيوعيين السلاح الى تلك المنطقة ، وتبادل الاتفاقات التجارية والبعثات الفنية والثقافية . وهناك أيضا تسلسل شيوعى فى احتلال مناصب هامة فى حكومات الشرق الأوسط وفى الصحافة والنقابات العمالية وبعض المنظمات الأخرى مما يتزايد معه نفوذ الشيوعيين ، فى الوقت الذى فقد فيه الغرب نفوذه فى تلك المنطقة وقل امتيازه .

٤ - لا يجب بحث مشاكل أمم الشرق الأوسط منفصلة عن أحوالها الاقتصادية والاجتماعية ، فان الحياة فى الشرق صراع مستمر ضد الصحراء والفقر والجهل والمرض والتخلف ، وهى عوامل تسود المنطقة التى توجد بها قلة قليلة تتمتع بأرباح البترول والأرض . ولقد زاد تدفق رؤوس الأموال من تضمنم مشكلة التوزيع غير المتكافىء للثروات ، مما يتطلب البحث المستفيض والمساعدة اما من الغرب - الذى لا يتمتع حاليا بثقة تلك الدول - أو من الولايات المتحدة الأمريكية أو من الاتحاد السوفيتى .

٥ - بروز القومية الغربية وثورة الشرق الأوسط ضد الاستعمار الغربى ، فقد أصبحت الرغبة فى التحرر من إبتسلط الغربى سواء كان مباشرا أو غير مباشر قوية جدا حتى لقد اتخذت فى بعض الأحوال شكلا

عنيفا . ولم تسفر سياسات محاولة القمع بالشدة الا عن ازدياد اشتعال نيران الغضب والاستياء .

٦ - بروز الجمهورية العربية المتحدة كزعيمة للكتلة العربية ووحدة العرب وقيادتها لحركة معارضة الغرب ، وهى نابعة من خلافت الجمهورية العربية المتحدة الحرة مع بريطانيا ، وتأثير الثقافة المصرية وجامعاتها فى العالم الاسلامى . ولذلك فمن المشسكوك فيه أن أية محاولة لتغيير الحكومة أو الشخصيات يمكن أن تحسن علاقات الصداقة بين الجمهورية العربية المتحدة والغرب أو أن تقلل من تأثير الجمهورية العربية المتحدة على شتون الشرق الأوسط خلال الجيل القادم على الأقل .

٧ - ان طبيعة الشرق الأوسط فى الأجيال القادمة سيلعب فيها عامل لم يكن موجودا فى القرن الماضى ، هو وجود « اسرائيل » ، وينبغى أن تدرك دول العالم فى الشرق الأوسط وفى غيره من الأماكن أن « اسرائيل » قد وجدت لتبقى ، وأنها بالرغم من كونها محاطة من كل جانب بالكراهية والحقد وأنهىسا تعيش فى جو دائم من التوتر والخوف المستمرين ، فمن المؤكد أنها ستتغلب على هذه الأزمة الحالية ، بل وكل الأزمات المقبلة .

لذا يجب أن تشمل كل المفاوضات التى تدور بين الولايات المتحدة الأمريكية والعرب هذه الحقيقة :

ويعتمد مستقبل الشرق الأوسط على تداخل وتفاعل هذه العوامل أو الحقائق السبع معا .

(د) الفجر الجديد :

أحس الاستعمار الغربى فى النهاية وفى مقدمته الولايات المتحدة الأمريكية أن العالم العربى أصبح اليوم يختلف اختلافا جذريا عما كان عليه فى أوليات القرن الحالى . ولعل الغشاوة التى كانت على أعين شعوب تلك المناطق راجعة أصلا الى نظام الحسكم الذى كانوا تحته منذ ضمتهم الامبراطورية العثمانية تحت الاستعمار التركى وسلطان الخليفة . فلما اضمحل الحكم التركى ووضعت دول الاستعمار الغربية مخططاتها لبناء امبراطورياتها على انقاض الامبراطورية العثمانية ، أبقت شعوب المنطقة فى المستوى الذى كانت تعانيه تحت ظل الاستعمار التركى . بل ان بعض تلك الشعوب لقيت من الاستعمار الجديد استغلالا أكبر وأهمالا أكثر

لانعدام الصلات الروحية والثقافية بين الاثنين . بل وكان لاختلاف مقاصد الطرفين فى هذا الالتقاء الاجبارى ما وسع الهوة بينهما وزاد من روح التنافر والكراهية فى هذه الشعوب التى لم تلق من هؤلاء المستعمرين الا أبشع صور الاستغلال وأدناها . ولجأ المستعمرون الى ضم فئة احترفت الحكم فى تلك البلاد اما عن طريق الولاية عليها أو بخداع شعوبها واقتناص حق الملك عليهم .

ولما كان هؤلاء بطبيعة الحال لا يعملون الا على دوام ملكهم أو حكمهم ، فقد خلقوا فى تلك الشعوب روح الانتهازية الفردية وحب الذات ، وأصبحت مصالح الأوطان والشعوب ومقدراتهم لاتجد من يرعاها .

وتحالف الاستعمار والحكام معا ، وسارا فى طريق واحد لاستغلال الشعوب كل على حسب اغراضه وأهوائه ، وكلما رأى الاستعمار بوادر نهضة أو اشعاع من وطنية تومض فى أحد الأقطار أوقعه فى معركة داخلية باسم الحرية والديمقراطية ، وفرقه شيعا وأحزابا يعلو ببعضهم يوما ثم يستبدلهم بآخرين ، وبذلك يصرفهم عن القضية الكبرى والأمل الحقيقى والطريق الصحيح للعزة والكرامة .

كما نشأ فى ظل هذا الحكم وكنتيجة حتمية له ، نظام طبقى استغنى فيه البعض عن مساندة اخوانهم من عامة الشعب بالعمل فى خدمة الحكام . وسخر الاستعمار هذه الطبقة - لقربها من مقدرات الحكم والسلطان - فى ارهاب الحكام ، ليجعلهم دواما فى حاجة ماسة لحمايته والمحسافطة على استقرار أوضاعهم .

ان امكانيات ومقدرات الشعوب العربية طاقات هائلة يمكن أن تؤثر تأثيرا فعالا على الأحداث لا فى منطقة الشرق الأوسط فحسب ، بل فى جميع أجزاء العالم ، فى أوربا وآسيا وأفريقية . ولكن هذه الطاقات لا يمكن أن تكون لها فاعليتها الا لو سارت جميعها فى سياسة واحدة حسنة التخطيط والتوجيه نحو الأهداف الصحيحة ، وفى ترتيب وتناسق يمنع الجهود أن تبذل فى غير مواضعها أو فى غير أوقاتها .

ومنذ تفجرت الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، سارت القافلة العربية فى مصر أولا ثم فى العالم العربى كله بخطى واسعة نحو القوة والكرامة والعزة ، وتخلص معظم أجزاء العالم العربى من الاستعمار ، وأصبحت قوته وتضامن شعوبه ووحدة الهدف للجميع من مسببات بروز القومية العربية فى المحيط العالمى ، ودعامة قوية تركز عليها قضية فلسطين وعودة

الوطن السليب الى أصحابه . وليس أدل على ذلك مما أحدثه اجتماع القمة للملوك والرؤساء العرب من نتائج بعيدة الأثر في خدمة هذه القضية .

نعم . ان نجاح العالم العربى ، بل نجاته مما يبيته له الاستعمار هو فى وقوفه صفا واحدا ، مؤمنا بأهداف واحدة ، سالكا طريقا موحدا ضد الاستعمار وعميلته « الدولة اليهودية » ، دون تراخ أو هوادة .

ان موقف العالم العربى من « اسرائيل » يجب أن يظل على ما هو عليه من بذل المحاولات الصادقة واتباع كل الوسائل الفعالة لاقتلاعها من المنطقة ، لأنها بؤرة الشر فيها ، وخط الهجوم الأمامى للقوى المعادية للسلام العالمى ، والمرضى العضال الذى أصيب به جسم الشرق الأوسط بأكمله . ولأن التسامح مع « اسرائيل » انما هو تمكين لأعداء السلام العالمى ، وتسليم قضية السلام الى أيدي خصومه ، يعرضون الشعوب المحيطة بهم الى نفس مصير شعب فلسطين ، ويعرضون العالم كله لأخطار حرب مدمرة لا تبقى ولا تذر .

وعلاوة على كل ما وضح من الاعتبارات القومية والسياسية وما للحقوق التاريخية الثابتة لعرب فلسطين فى أرض وطنهم ، فاننا سنعرض فى الجزء الثانى من هذا الكتاب الأسانيد الدينية على بطلان ما يدعيه اليهود من أن لهم حقا موروثا وعهدا من الله سبحانه وتعالى فى أرض فلسطين الطاهرة ، يأخذونها قسرا وبقوة سلاح المستعمر حتى ولو شردوا أهلها الآمنين .

الجزء الثاني

من الكتاب المقدس

(كتب العهد القديم والعهد الجديد)

في هذا الجزء حيث يستدل المؤلف بآيات من الكتاب المقدس سواء من أسفار العهد القديم أم أسفار العهد الجديد *

تدل الكلمة الواردة بعد كل استدلال على اسم السفر *

أما الرقم الأول فيشير الى رقم الاصحاح *

والرقم أو الأرقام المتفرعة فهي أرقام الآيات المستدل بها على حسب ترتيب ورودها في الاصحاح فالمركز (تكوين ٢ : ١ - ٤) مثلا يعنى أن الآيات المستدل بها واردة في سفر التكوين *

الاصحاح الثانى

الآيات من ١ الى ٤ ... وهكذا

الباب الاول

ارض الميعاد ووعده الله

(أ) وعده الله لابراهيم :

تردد في أكثر من موضع من الكتاب المقدس (العهد القديم) أن الله سبحانه وتعالى قطع وعدا على ذاته نحو سيدنا ابراهيم (الخليل) أن يختصه ونسله من بعده ببقعة من الأرض اختارها سبحانه « لأنها تفيض لبنا وعسلا » لتكون مقاما طيبا ينعم فيها سيدنا ابراهيم ولتكون ميراثا لنسله من بعده .

وكان أبرام وزوجته ساراي قد نزلوا (نحو ١٩٣٣ ق م) في أرض حاران « فأتوا الى حاران وأقاموا هناك » (تكوين ١١ : ٣١) «وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك وعشيرتك ومن بيت أبيك الى الأرض التي أريك» (تكوين ١٢ : ١) . فسار ابراهيم في الأرض على حسب ما أمره الله سبحانه ومعه أهل بيته وكل مقتنياتهم والنفوس التي كانت لهم في حاران « فأتوا الى أرض كنعان » (تكوين ١٢ : ٥) « وظهر الرب لأبرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض . فبنى هناك مذبحا للرب الذي ظهر له » (تكوين ١٢ : ٧) ثم ظل ابراهيم ينتقل في هذه الأرض الى أن « وحدث جوع في الأرض . فانحدر أبرام الى مصر ليتغرب هناك لان الجوع في الأرض كان شديدا » (تكوين ١٢ : ١٠) . وفي مصر صار لابراهيم «غنم وبقر وحمير وعبيد وأماء وأتن وجمال » (تكوين ١٢ : ١٦) . ثم ان فرعون مصر طلب اليه أن يخرج منها « فأوصى عليه فرعون رجالا فشيعوه وامراته وكل ماكان له . فصعد أبرام من مصر هو وامراته وكل ماكان له . . الى

مكان المذبح الذي عمله هناك أولا . ودعا همنسك ابرام باسم الرب «
(تكوين ١١: ٢٠ ، ١٢: ٤-٤) وذلك (نحو ١٩١٨ ق م) «وقال الرب لابرام . .
ارفع عيثيك وانظر من الوضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا .
لأن جميع الارض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك الى الابد » (تكوين
١٣ : ١٤-١٥) .

ولما كان ابراهيم في ذلك الوقت شسيخا كبيرا « وكان ابرام ابن
خمسة وسبعين سنة لما خرج من حاران » (تكوين ١٢: ٤) «وكانت ساراي
عاقرا ليس لها ولد» (تكوين ١١ : ٣٠) . فقد تعجب ابراهيم لوعده الله
سبحانه له أن يعطي الارض لنسله « صار كلام الرب الى ابرام في الرؤيا
قائلا : لا تخف يا ابرام . أنا ترس لك . أجرك كثير جدا . فقال ابرام
أيها السيد الرب ماذا تعطيني وأنا ماض عقيم ومالك بيتي هو اليعساظر
الدمشقي . وقال ابرام أيضا انك لم تعطيني نسلا وهو ذا ابن بيتي وارث
لي . فاذا كلام الرب اليه قائلا لا يرثك هذا بل الذي يخرج من أحشائك
هو يرثك . ثم أخرجه الى خارج وقال : انظر الى السماء وعد النجوم ان
استطعت أن تعدها . وقال هكذا يكون نسلك . فأمن بالرب فحسبه له
برا » (تكوين ١٥: ٦-٦) . وبذلك كمل وعده الله سبحانه لخليله ابراهيم
بأن يعطيه الارض له ولنسله من بعده وأن يجعل نسله كثيرا جدا «واجعل
نسلك كتراب الارض . حتى اذا استطاع أحد أن يعد تراب الارض
فنسلك أيضا يعد » (تكوين ١٣: ٢٦) وبارك الله سبحانه على ابراهيم
« فاجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك . وتكون بركة . وأبارك
مباركيك ولاعنك العنه . وتبارك فيك جميع قبائل الارض » (تكوين
١٢ . ٣٢) .

ولتتم ارادة الله ومشيئته ويصدق وعده سبحانه « فاخذت ساراي
امراة ابرام هاجر جاريتها . . . وأعطاها لابرام رجلها زوجة له . فدخل
على هاجر فحبلت » (تكوين ١٥ : ٤٣) . فلما حبلت هاجر من ابراهيم
اختصها الله تعالى هي ونسلها بوعد آخر «وقال لها ملاك الرب . كثيرا
أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة . وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلت فتلدن
ابنًا وتدعين اسمه اسماعيل لان الرب قد سمع لمذلتك » (تكوين
١٦ : ١٠ و١١) « فولدت هاجر لابرام ابنا . ودعا ابرام اسم ابنه الذي
ولدته هاجر اسماعيل . وكان ابرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت
هاجر اسماعيل لابرام » (تكوين ١٦ : ١٥ و١٦) .

« ولما كان ابرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لابرام وقال له

انا الله القدير . سر أمامي وكن كاملا . فاجعل عهدي بيني وبينك وأكثر
كثيرا جدا . فسقط ابرام على وجهه . وتكلم الله معه قائلا : أما أنا فهو ذا
عهدي معك وتكون أبا جمهور من الأمم . فلا يدعى اسمك بعد ابرام
بل يكون اسمك ابراهيم . لأنني أجعلك أبا جمهور من الأمم . وأثمر
كثيرا جدا وأجعلك أمما . وملوك منك يخرجون . وأقيم عهدي بيني
وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدا ابديا . لاكون الها لك
ولنسلك من بعدك . وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض
كنعان ملكا ابديا . وأكون الههم » (تكوين ١٧ : ١ - ٨) . « وقال الله
لابراهيم ساراي امرأتك لاتدعو اسمها ساراي بل اسمها سارة . وأباها
وأعطيك منها ابنا ، أباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون »
(تكوين ١٧ : ١٥ و١٦) . ولما غير الله سبحانه اسم خليله الى ابراهيم واسم
زوجته الى سارة جدد وعده اليه أن يجعله أبا لجمهور من الأمم وأن يثمره
كثيرا ويجعله أمما ويخرج ملوك منه وأن يعطى أرض كنعان (الارض التي
تغرب فيها ابراهيم) ملكا ابديا لابراهيم ولنسله من بعده وأن يكون
سبحانه ربهم والههم . أما عن سارة فباركها الله ووعداها بابن من ابراهيم
وأن تكون أمما ويخرج ملوك منها أيضا .

ولما سمع ابراهيم كلام الله هذا ووعد « فسقط ابراهيم على وجهه
وضحك » . وقال في قلبه هل يولد لابن مئة سنة وهل تلد سارة وهي
بنت تسعين سنة . وقال ابراهيم لله ليت اسماعيل يعيش أمامك . فقال
الله بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه اسحق . وأقيم عهدي مع
عهدا ابديا لنسله من بعده . وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا
أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا . اثني عشر رئيسا يولد وأجداء أمه
كبيرة . ولكن عهدي أقيم مع اسحق الذي تلده لك سارة » (تكوين
١٧ : ١٧ - ٢١) وبذلك شملت بركة الله اسماعيل عليه السلام كما أكد
سبحانه وعده لهاجر بتكثير نسلها باسماعيل ويجعله أمة كبيرة . أما عهد
الله لابراهيم باعطائه الارض التي وعدت له ولنسله فقد رأى سبحانه أن
يقيم مع اسحق الذي تلده سارة من ابراهيم ومع نسله من بعده .

« وافتقد الرب سارة كما قال . وفعل الرب لسارة كما تكلم .
فحبلت سارة وولدت لابراهيم ابنا في شيخوخته في الوقت الذي تكلم الله
عنه . ودعا ابراهيم اسم الولد الذي ولدته له سارة اسحق » (تكوين
٢١ : ١ - ٣) « وكان ابراهيم ابن مئة سنة حين ولد له اسحق ابنه »
(تكوين ٢١ : ٥) .

« ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذى ولدته لابراهيم يعزح فقالت لابراهيم اطرده هذه الجارية وابنها لان ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحق . فقبح الكلام جدا فى عينى ابراهيم لسبب ابنه . فقال الله لابراهيم لا يقبح فى عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريته . فى كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها . لانه باسحق يدعى لك نسل . وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لانه نسلك . فبكر ابراهيم صباحا وأخذ خبزا وقربة ماء وأعطاها لهاجر واضعا ايها على كتفها والولد وصرها . فمضت وتاهت فى بركة بئر سبع . ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت احدى الاشجار ومضت وجلست مقابله بعيدا نحو رمية قوس لانها قالت لا أنظر موت الولد . فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت . فسمع الله صوت الغلام . ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك ياهاجر . لا تخافى لان الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومي واحملى الغلام وشدى يدك به لاني سأجعله أمة عظيمة . وفتح الله عينها فأبصرت بئر ماء . فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام . وكان الله مع الغلام فكبر . وسكن فى البرية وكان ينمو رامى قوس . وسكن فى بركة فاران . وأخذت له أمة زوجة من أرض مصر » (تكوين ١٦: ٢١-٢١) .

تركت هاجر وبصحبتها ولدها اسماعيل أرض كنعان (نحو ١٨٩٧ ق م) . وتزوج اسماعيل من مصر وولد له « اثنا عشر رئيسا على حسب قبائلهم » (تكوين ١٦: ٢٥) « وسكنوا من حويلة الى شحر التى أمام مصر حينما تجيء نحو أشور » (تكوين ١٨: ٢٥) وهى المنطقة شرقى مصر فى جنوب شبه جزيرة العرب وعاشوا فيها الى جوار أبناء عموماتهم ترعاهم بركة الله على اسماعيل ووعد ابراهيم ولهاجر « وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لانه نسلك » (تكوين ١٦: ٢١) .

وبقى ابراهيم وزوجته سارة وابنتهما اسحق وأهلوه فى أرض كنعان وكانت جزءا من الأرض التى اختارها الله سبحانه ووعد ابراهيم ونسله بها « فى ذلك اليوم قطع الرب مع ابراهيم ميثاقا قائلا : « لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات » (تكوين ١٥: ١٨) وبذلك تكون تلك الأرض قد تحددت بحدين . الشرقى منهما وهو نهر الفرات والغربى وهو نهر مصر أى نهر النيل . وهى منطقة بحديها هذين تكون حاليا أجزاء كبيرة من كل من العراق وسورية ثم لبنان وفلسطين والأردن وشمال الجزيرة العربية وصحراء سيناء . (أنظر أيضا الأسفار العدد ٣٤ : ٥ ، اشعيا ٢٧ : ١٢ ، الخروج ٢٣ : ٣١ ، انتثنية ٧: ١) وهى على ذلك النحو منطقة واسعة حرة أن تسكنها أمة

عظيمة وجمهور من الأمم ، وليس « فلسطين » بوضعه الجغرافى الحالى
الا قسم من أقسام هذه الأرض الكبيرة الطاهرة .

(ب) الوعد لاسحق :

ولما شاخ ابراهيم وتقدم فى الايام كثيرا استدعى عبده كبير بيته
واستحلفه بالرب اله السماء واله الارض ألا يأخذ زوجة لابنه اسحق من
بنات الكنعانيين بل يذهب الى عشيرة ابراهيم وأرضهم ويأخذ لاسحق
زوجة من أهل أبيه . « بل الى بيت أبى تذهب والى عشيرتى وتأخذ زوجة
لابنى » (تكوين ٢٤: ٣٨) ونفذ العبد عهده الى سيده ابراهيم وأتى بابنه
ناحور أخ ابراهيم زوجة لاسحق وكان اسمها رفقة وذلك (نحو
١٨٥٧ ق م) .

« فلما كملت أيامها لتلد . اذ فى بطنها توأمان فخرج الاول أحمر
كله كفروة شعر فدعوا اسمه عيسو وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة
بعقب عيسو فدعى اسمه يعقوب » (تكوين ٢٥ : ٢٤ - ٢٦) وذلك
(نحو ١٨٣٧ ق م) .

ولما كبرا ، حدث أن مرض عيسو يوما وتاقت نفسه الى طعام كان
يعقوب قد أعدّه ، وطلب أن يأكل منه . وطلب يعقوب الى عيسو أن يبيعه
بكوريته نظير أن يطعمه مما اشتاقت اليه نفسه فرضى عيسو وباع
بكوريته ليعقوب .

وحدث جوع فى الأرض غير الجوع الذى كان فى أيام
ابراهيم وظهر الرب لاسحق « وقال لا تنزل الى مصر اسكن فى الأرض التى
أقول لك . تغرب فى هذه الأرض فأكون معك وأباركك لأنى لك ولنسلك
أعطى جميع هذه البلاد وأنى بالقسمة الانى أقسمت لابراهيم أبىك وأكثر
نسلك كنجوم السماء واعطى نسلك جميع هذه البلاد وتبارك فى نسلك
جميع أمم الأرض » (تكوين ٢٦ : ٢ - ٤) فجدد الله سبحانه بذلك العهد
والوعد الذى سبق أن وعد به ابراهيم الى ابنه اسحق . وأصبح اسحق
بلسان الرب له نفسه مستحقا للعهد والوعد له ولنسله من بعده « فظهر
له الرب فى تلك الليلة وقال أنا اله ابراهيم أبىك . لا تخف لأنى معك
وأباركك وأكثر نسلك من أجل ابراهيم عبدى » (تكوين ٢٦: ٢٤) .

(ج) الوعد ليعقوب (اسرائيل) :

كانت رفقة زوجة اسحق تؤثر ابنها الاصغر يعقوب بحبها . وكان

عيسو قد نزل مختاراً عن بكوريته الى أخيه الاصغر يعقوب . ولما كبر اسحق وشاخ وكلت عيناه احتسالت رفقة فأخذت البركة من اسحق الى يعقوب (انظر سفر التكوين ص ٢٧) . ولم يعرف اسحق انه أعطى البركة ليعقوب « ليستعبد لك شعوب . وتسجد لك قبائل . كن سيداً لآخوتك . وليسجد لك بنو أمك . ليكن لاعنوك ملعونين . ومباركوك مباركين » (تكوين ٢٧ : ٢٩) .

فلما عرف اسحق أن بركته ذهبت الى يعقوب «فدعا اسحق يعقوب وباركه وأوصاه وقال له لا تأخذ زوجة من بنات كنعان» (تكوين ٢٨: ١) ثبت اسحق بركته الى يعقوب وأمره أن يأخذ له زوجة من بيت لابان أخى أمه . فانطلق يعقوب الى حاران وفى طريقه اليها بات ليلته « ورأى حلماً واذا سلم منصوبة على الارض ورأسها يمس السماء . وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها . وهو ذا الرب واقف عليها . فقال أنا الرب اله ابراهيم أبىك واله اسحق . الارض التى انت مضطجع عليها اعطيها لك ولنسلك . ويكون نسلك كثراب الأرض وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً . ويتبارك فيك وفى نسلك جميع قبائل الأرض » (تكوين ٢٨ : ١٢ - ١٤) .

ذهب يعقوب الى أرض أهل أمه وأقام عند لابان أخوها شهراً من الزمان يخدمه . وأحب يعقوب ابنة خاله الصغرى راحيل . فلما أراد خاله أن يعطيه أجر خدمته رضى أن يخدمه سبع سنين نظير أن يزوجه من راحيل . وفى نهاية السنين السبع «وكانت فى عينيه أيام قليلة بسبب محبته لها» (تكوين ٢٩: ٢٠) أدخل عليه خاله ليه كبرى البنيتين « وفى الصباح اذا هى ليه . فقال للابان ما هذا الذى صنعت بى . أليس براحيل خدمت عندك فلماذا خدعتنى . فقال لابان لا يفعل هكذا فى مكاننا أن تعطى الصغيرة قبل البكر . اكمل اسبوع هذه فنعطيك تلك أيضاً بالخدمة التى تخدمنى أيضاً سبع سنين آخر . ففعل يعقوب هكذا . فاكمل اسبوع هذه . فاعطاه راحيل ابنته زوجة له» (تكوين ٢٩: ٢٥-٢٨) .

وولدت ليه ليعقوب أربع بنين هم رأوبين وشمعون ولاوى ويهوذا . ولما كانت راحيل لم ترزق أبناء بعد فقط أعطت جاريتها بلهة زوجة ليعقوب فولدت له ولدين هما دان ونفتالى . كذلك لما رأت ليه أنها توقفت عن الولادة أعطت هى أيضاً جاريتها زلفة ليعقوب فولدت له ولدين هما جاد وأشير . ثم عادت ليه فولدت ولدين هما يساكر وزبولون وابنة دعت اسمها دينة . وأخيراً ذكر الله راحيل وسمع لها فحبلت وولدت ابناً دعت اسمه يوسف .

نم اختلف يعقوب مع خاله وتغيرت معاملة الخال لابن اخته « ونظر يعقوب وجه لابان واذا هو ليس معه كأمس وأول من أمس » وقال الرب ليعقوب ارجع الى أرض آبائك والى عشيرتك فأكون معك» (تكوين ٣١: ٣٢)

وعند عودة يعقوب ظهر الله له « وقال له الله اسمك يعقوب » لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك اسرائيل . فدعا اسمه اسرائيل . وقال له الله انا الله القدير . اثمر وأكثر . أمة وجماعة أم تكون منك وملوك سيخرجون من صلبك . والارض التى أعطيت ابراهيم واسحق لك أعطيها . ولنسلك من بعدك أعطى الارض» (تكوين ٣٥: ٩-١٣) .

وكما غير الله سبحانه وتعالى اسم ابرام الى ابراهيم غير اسم يعقوب الى اسرائيل وأصبح بنوه (الذين اكتمل عددهم اثنى عشر ولدا بمولد بنيامين من راحيل التى ماتت عقب ولادته فى طريق العودة الى أرض كنعان) والذين سموا أسباط اسرائيل (تكوين ٤٩ : ٢٨) هم الاساس الذى خرج منه « بنو اسرائيل » جميعا .

الباب الثاني

بنى اسرائيل

(أ) يوسف ويعقوب (اسرائيل) وبنوه فى أرض مصر :

« وسكن يعقوب فى أرض غربة أبيه فى أرض كنعان » (تكوين ٣٧ : ١) وذلك (نحو ١٧٢٩ ق م) . «وأما اسرائيل فاحب يوسف أكثر من سائر بنيه لانه ابن شيخوخته» (تكوين ٣٧:٣) ولما شعر اخوة يوسف بمحبة اسرائيل له وايثاره اياه أبغضوه « فلما رأى اخوته أن أباهم أحبه أكثر من جميع اخوته أبغضوه » (تكوين ٣٧ : ٤) ورأى يوسف أحلاما ساد فيها على اخوته ووالديه « فقال انى حلمت حلما أيضا واذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا ساجدة لى » (تكوين ٣٧ : ٩) وكانت هذه الأحلام سببا فى تأمر اخوته عليه ليخلصوا منه « وأخذوه وطرحوه فى البئر . أما البئر فكانت فارغة » (تكوين ٣٧ : ٢٤) وأخرجه قوم تجار فى طريقهم الى مصر وباعوه فيها « وأما المديانيون فباعوه فى مصر لفرطيفار خصى فرعون رئيس الشرط » (تكوين ٣٧ : ٣٦) .

وفى مصر «وكان الرب مع يوسف فكان رجلا ناجحا» (تكوين ٢:٣٩) وتحدثنا الاصحاحات ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ من سفر التكوين عما حدث ليوسف فى مصر وعن سجنه ظلما وعما آل اليه أمره مع فرعون «ثم قال فرعون ليوسف انظر . قد جعلتك على كل أرض مصر . واخلع فرعون خاتمه من يده وجعله فى يد يوسف . وجعله على كل أرض مصر » (تكوين ٤١ : ٤١ - ٤٣) وذلك (نحو ١٧١٥ ق م) .

« وولد ليوسف ابنان قبل أن تأتى سنة الجوع . . ودعا يوسف

البكر منسى . . ودعا الثانى افرايم، (تكوين ٤١ : ٥٠-٥٢) ولما حصلت
المجاعة الكبرى (نحو ١٧٠٨ ق م) استقدم يوسف ابيه واخوته وعائلاتهم
الى مصر «وسكن اسرائيل فى ارض مصر فى ارض جاسان . وتملكوا فيها
واثمروا وكثروا جدا » (تكوين ٤٧ : ٢٧) . وعاش يعقوب فى ارض
مصر سبع عشرة سنة (مات نحو ١٦٨٩ ق م) .

(ب) البركة ليوسف وافرأيم ابنة والوعد بارض الميعاد لبني اسرائيل:

عندما كبر يعقوب وأحسن بقرب نهايته جمع اليه كل اولاده وتكلم
وتنبأ لهم : أما عن يوسف فقال « يوسف غصن شجرة مثمرة غصن
شجرة مثمرة على عين . أغصان قد ارتفعت فوق حائط . فمررتة ورمته
واضطهدته أرباب السهام . ولكن ثبتت بمقانة قوسه وتشددت سواعده
يديه . من يدى عزيز يعقوب من هناك من الراعى صخر اسرائيل . من
اله ابيك الذى يعينك ومن القادر على كل شىء الذى يباركك تأتى بركات
السماء من فوق وبركات الغمر الرابض تحت . بركات الشديين والرحم .
بركات أبيك فاقت على بركات أبوى . الى منية الاكام الدهرية تكون على
رأس يوسف وعلى قمة نذير اخوته » (تكوين ٤٩: ٢٢-٢٦) فباركه واختصه
ببركته وبركة اله آبائه دون اخوته جميعا .

وحينما علم يوسف باشتداد مرض أبيه أخذ معه ابنيه منسى
وافرايم «وقال يعقوب ليوسف الله القادر على كل شىء ظهر لى فى لوز فى
أرض كنعان وباركنى وقال ها أنا اجعلك مثمرا وأكثر وأجعلك جمهورا
من الامم وأعطى تسلك هذه الارض من بعدك ملكا أبديا . والآن ابناك
المولودان لك فى أرض مصر قبلما أتيت اليك الى مصر هما لى . افرايم
ومنسى كراؤبين وشمعون يكونان لى . واما أولادك الذين تلد بعدهما
فيكونون لك » (تكوين ٤٨ : ٣ - ٦) ثم أن يعقوب (اسرائيل) رأى ابنى
يوسف فقربهما اليه فقبلهما واحتضنهما «فمد اسرائيل يمينه ووضعها على
رأس افرايم وهو الصغير ويساره على رأس منسى . ووضع يديه بفطنة
لان منسى كان البكر . وبارك يوسف وقال الله الذى سار أمامه أبوى
ابراهيم واسحق . الله الذى رعانى منذ وجودى الى هذا اليوم . الملاك
الذى خلصنى من كل شر . يبارك الغلامين وليدع عليهما اسمى واسم
أبوى ابراهيم واسحق . وليكثروا كثيرا على الارض . فلما رأى يوسف أن
أباه وضع يده اليمنى على رأس افرايم ساء ذلك فى عينيه فأمسك يد
أبيه لينقلها عن رأس افرايم الى رأس منسى وقال يوسف لآبيه ليس هكذا
يا أبى لان هذا هو البكر . ضع يمينك على رأسه . فابى أبوه وقال علمت

يا ابني علمت • هو أيضا يكون شعبا وهو أيضا يصير كبيرا • ولكن أخاه الصغير يكون أكبر منه، ونسله يكون جمهورا من الأمم • وباركهما في ذلك اليوم قائلا بك يبارك إسرائيل قائلا يجعلك كإفرايم ومنسى • فقدم إفرايم على منسى • (تكوين ٤٨ : ١٤-٢٠) فنقل البركة التي تلقاها إلى يوسف وولده إفرايم • أما منسى وهو البكر فقال عنه أنه أيضا يكون شعبا ويصير كبيرا • أما عن وعد الله عن أرض الميعاد ، فبقيت لنسب يعقوب جميعا مشاعا مستحقا لجميع الأسباط أبناء يعقوب أو بني إسرائيل ، ولم يختص بها أحد •

(ج) موسى ووعد الله :

« وقال يوسف لآخوته أنا أموت • ولكن الله سينقذكم ويصعدكم من هذه الأرض إلى الأرض التي حلف لإبراهيم واسحق ويعقوب • واستحلف يوسف بني إسرائيل قائلا الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا • ثم مات يوسف • » (تكوين ٥٠: ٢٤ و٣٥) « ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف » (خروج ١ : ٨) وذلك نحو ١٦٣٥ ق م •

وبموت يوسف وقيام ملك جديد بدأت أحداث جديدة لبني إسرائيل في أرض مصر ، فقد كان للمصريين وقت ذاك تقاليد وعبادات تختلف عن عبادة بني إسرائيل ومعرفتهم للرب التي توارثوها عن آبائهم • كذلك كان المصريون ينظرون إلى بني إسرائيل وقد أخذوا في التكاثر والتملك نظرتهم إلى شعب دخیل عليهم يخشون نموهم وكثرتهم «فقال لشعبه هو ذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا • هل نحتال لهم لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض» (خروج ١: ٩-١٠) •

وفي سفر الخروج تفصيل لما لاقاه بنو إسرائيل في مصر من عنت وجهد واستعباد حتى أن فرعون أمر بقتل كل مواليدهم من الذكور ساعة ولادتهم • ويحدثنا هذا السفر أيضا عن مولد موسى عليه السلام نحو ١٥٧١ ق م وكيف أنجاه الله من الموت على يد ابنة فرعون • كما يحدثنا عن انتصاره لقومه وعشيرته واضطراره إلى الفرار من مصر في نحو ١٥٣١ ق م • «فسمع فرعون عن هذا الأمر فطلب أن يقتل موسى • فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في أرض مديان وجلس عند البئر» (خروج ١٥: ٢) • واشتد الضيق ببني إسرائيل لما لاقوه من اضطهاد وعبودية • «وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات • وتنهى بنو إسرائيل •

من العبودية وصرخوا • فصعد صراخهم الى الله من اجل العبودية •
فسمع الله انينهم فتذكر الله ميثاقه مع ابراهيم واسحق ويعقوب •
(خروج ٢ : ٢٣ و ٢٤) •

ونادى الله موسى وتكلمه «ثم قال انا اله ابيك ابراهيم واله اسحق
واله يعقوب • فغطى موسى وجهه لانه خاف ان ينظر الى الله • فقال الرب
انى قد رأيت مذلة شعبي الذى فى مصر وسمعت صراخهم من اجل
مسخريهم • انى علمت اوجاعهم فنزلت لانقذهم من أيدي المصريين
وأصعدهم من تلك الارض الى أرض جيدة وواسعة • الى أرض تفيض لبنا
وعسلا • الى مكان الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين
واليبوسيين • والآن هو ذا صراخ بنى اسرائيل قد اتى الى ورأيت أيضا
الضيقة التى يضايقهم بهمس المصريين • فالآن هلم فأرسلك الى فرعون
وتخرج شعبي بنى اسرائيل من مصر» (خروج ٦: ٣-١٠) وأرسل معه
هرون أخاه «وقال الرب لهرون اذهب الى البرية لاستقبال موسى • فذهب
والتقاء فى جبل الله وقبله» (خروج ٤: ٢٧) • «ثم كلم الله موسى وقال له
انا الرب • وأنا ظهرت لابراهيم واسحق ويعقوب بأنى الاله القادر على
كل شئ • وأما باسمى يهوه فلم أعرف عندهم • وأيضا أقمت معهم عهدى
بان أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التى تغربوا فيها • وأنا أيضا قد
سمعت أنين بنى اسرائيل الذين يستعبدون المصريين وتذكرت عهدى •
لذلك قل لبني اسرائيل انا الرب • وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين
وأنقذكم من عبوديتهم وأخلصكم بذراع ممدودة وبأحكام عظيمة • وأتخذكم
شعبا وأكون لكم الها • فتعلمون أنى انا الرب الهكم الذى يخرجكم
من تحت أثقال المصريين وأدخلكم الى الأرض التى رفعت يدي أن أعطيها
لابراهيم واسحق ويعقوب وأعطيكم اياها ميراثا » (خروج ٦ : ٢ - ٨) •

وبقوة الله سبجانه وبسلطانه وعلى حسب وعده خرج بنو اسرائيل
من مصر فى نحو ١٤٩١ ق م « فارتحل بنو اسرائيل من رعمسيس الى
سكوت نحو ستمائة ألف ماش من الرجال عدا الاولاد • وصعد معهم
لفيف كثير أيضا مع غنم وبقر ومواش وافرة جدا» (خروج ١٢: ٣٧-٣٨) •
« وكان فى ذلك اليوم عينه ان الرب أخرج بنى اسرائيل من أرض مصر
بحسب أجنادهم» (خروج ١٢ : ١٥) •

وتبع فرعون وجنوده موسى وقومه وأدركوهم • ولكن الله تعالى نظر
الى بنى اسرائيل وأنجاهم من أيدي فرعون وجنوده وأهلكهم فى البحر
«فخلص الرب فى ذلك اليوم اسرائيل من يد المصريين • ونظر اسرائيل

المصريين أمواتا على شاطئ البحر . ورأى اسرائيل الفعل العظيم الذي صنعه الرب بالمصريين . فخاف الشعب الرب وآمنوا بالرب وبعبدوه موسى» (خروج ١٤ : ٣١ و ٣٠) . وارتحل موسى باسرائيل وخرجوا الى البرية وأتى كل جماعة بنى اسرائيل الى سيناء حيث أطعمهم الله المن فى الصباح والسلوى فى المساء ينزلها عليهم كل صباح وكل مساء يأخذ منها كل واحد أكله . وفى اليوم السادس يأخذون نصيبا مضاعفا لان اليوم السابع عطلة سبت يقدس للرب » وأكل بنو اسرائيل المن أربعين سنة حتى جاءوا الى أرض عامرة . أكلوا المن حتى جاءوا الى طرف أرض كنعان » (خروج ١٦ : ٣٥) .

(د) وصايا الله لبنى اسرائيل :

وفى برية سيناء نزل بنو اسرائيل مقابل الجبل حيث صعد موسى الى الله » وأما موسى فصعد الى الله . فناداه الرب من الجبل قائلا هكذا تقول لبني يعقوب وتخبر بنى اسرائيل . انتم رأيتم ما صنعت بالمصريين وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم الى . فالآن ان سمعتم لصوتى وحفظتم عهدي تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب . فان لى كل الارض . وأنتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة . هذه هى الكلمات التى تكلم بها بنى اسرائيل » (خروج ١٩ : ٣ - ٦) .

ونزل الرب على جبل سيناء الى رأس الجبل » وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن . ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد وقالوا لموسى تكلم أنت معنا فنسمع ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت . فقال موسى للشعب لا تخافوا . لان الله انما جاء لى يمتحنكم ولكى تكون مخافته أمام وجوهكم حتى لا تخطئوا . فوقف الشعب بعيدا وأما موسى فاقرب الى الضباب حيث كان الله » (خروج ٢٠ : ١٨ - ٢١) وتكلم الله سبحانه وتعالى الى موسى بوصاياهم وتعاليمهم وأحكامهم وتشريعاته لبنى اسرائيل وقال : « ها أنا مرسل ملاكا أمام وجهك ليحفظك فى الطريق وليجئ بك الى المكان الذى أعددت . احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه . لانه لا يصفح عن ذنوبكم لان اسمى فيه . ولكن ان سمعت لصوته وفعلت كل ما أتكلم به أعادى أعداءك وأضايق مضايقيك فان ملاكى يسير أمامك ويجئ بك الى الأمورين الحثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين فأبيدهم . لا تسجد لآلهتهم ولا تعبدوها ولا تعمل كأعمالهم بل تبيدهم وتكسر انصابهم .

وتعبدون الرب الهكم فيبارك خبزك وماءك وأزِيل المرض من بينكم لا تكون مسقطَة ولا عاقر في أرضك وأكمل عدد أيامك • أرسل هيبتي أمامك وأزعج جميع الشعوب الذين تأتي عليهم وأعطيك جميع أعدائك مدبرين • وأرسل أمامك الزناير فتطرد الحويين والكنعانيين والحثيين من أمامك • لا أطردهم من أمامك في سنة واحدة لئلا تصير الأرض خربة فتكثر عليك وحوش البرية • قليلا قليلا أطردهم من أمامك إلى أن تثمر وتملك الأرض •

وأجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين ومن البرية إلى النهر فاني أدفع إلى أيديكم سكان الأرض فتطردهم من أمامك » (خروج ٣٢ : ٢٠ - ٣١) « وقال الرب لموسى اصعد إلى الجبل وكن هناك فأعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التى كتبتها لتعليمهم » (خروج ٢٤ : ١٢) « ودخل موسى فى وسط السحاب وصعد إلى الجبل وكان موسى فى الجبل أربعين نهارا وأربعين ليلة » (خروج : ٢٤ : ١٨) « ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه فى جبل سيناء لوحى الشهادة لوحى حجر مكتوبين بأصبع الله » (خروج ٣١ : ١٨) •

(هـ) ضلال بنى اسرائيل :

كان بنو اسرائيل منذ خروجهم من مصر وفى أثناء سيرهم إلى برية سيناء دائمى التذمر تسخطهم أبسط المصاعب وتثيرهم الخطوب والشدائد فتبارة يتذمرون لمرارة الماء « فتذمر الشعب على موسى قائلين ماذا نشرب • فصرخ إلى الرب • فأراه شجرة فطرحها فى الماء فصار الماء عذبا • » (خروج ١٥ : ٢٥ر٢٤) وتارة يتذمرون لقلة الطعام فى البرية « فتذمر كل جماعة بنى اسرائيل على موسى وهرون فى البرية • وقال لهما بنو اسرائيل ليتنا متنا بيد الرب فى أرض مصر اذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع • فانكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكى تميتا كل هذا الجمهور بالجوع » (خروج ١٦ : ٣ر٢) • وتذمروا لقلة الماء والعطش « وعطش هناك الشعب إلى الماء • وتذمر الشعب على موسى وقالوا لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشيئنا بالعطش • فصرخ موسى إلى الرب قائلا ماذا أفعل بهذا الشعب بعد قليل يرجعوننى » (خروج ١٧ : ٣ و ٤) •

وارتكبوا الضلالة الكبرى فتعبدوا لغير الله سبحانه وتعالى وعبدوا الصنم وسجدوا له مخالفين بذلك أول وصايا الله لهم وأصداء كلماته

سبحانه ما يزال رنينها يعبق أجواء الجبل والسهل « أنا الرب الهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية . لا يكن لك آلهة أخرى أمامي . لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ولا مما فى السماء من فوق وما فى الارض من تحت وما فى الماء من تحت الارض . لا تسجد لهن ولا تعبدهن » (خروج ٢٠ : ١ - ٥) ولكن « ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هرون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذى أضعفنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه . فقال لهم هرون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها . فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها الى هرون . فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالازميل وصنعه عجلا مسبوكا . فقالوا هذه آلهتك يا اسرائيل التى أضعفتك من أرض مصر . فلما نظر هرون بنى مذبحا أمامه ونادى هرون وقال غدا عيد للرب . فبكروا فى الغد وأضعفوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب » (خروج ٣٢ : ١ - ٦) . وغضب الله سبحانه وأراد أن يفتنيهم فتضرع موسى أمامه وقال له « اذكر ابراهيم واسحق واسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطي نسلكم كل هذه الارض التى تكلمت عنها فيملكونها الى الابد » (خروج ٣٢ : ١٣) . ثم نزل موسى من حضرة ربه « وكان عندما اقترب الى المحلة أن أبصر العجل والرقص فحمى غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرها فى أسفل الجبل . ثم أخذ العجل الذى صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعما وذراه على وجه الماء وسقى بنى اسرائيل » (خروج ٣٢ : ١٩ و ٢٠) . وجمع موسى اليه جميع بنى لاوى وحرضهم « فقال لهم . هكذا قال الرب اله اسرائيل ضفوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب الى باب فى المحلة واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه . ففعل بنو لاوى بحسب قول موسى ووقع من الشعب فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل » (خروج ٣٢ : ٣٧ و ٣٨) . ولما رجع موسى الى ربه طلب اليه أن يغفر للشعب ضلالتهم « فقال الرب لموسى من أخطأ الى أمحوه من كتابي . والآن اذهب اهد الشعب الى حيث كلمتك . هوذا ملاكى يسير أمامك ولكن فى يوم افتقادى أفتقد فيهم خطيتهم » (خروج ٣٢ : ٣٣ و ٣٤) .

وأمر الله سبحانه نبيه موسى أن ينحت لوحين من حجر مثل الأولين ليكتب عليهما سبحانه الكلمات التى كانت على اللوحين اللذين كسرها

موسى فى ساعة غضبه على قومه . وأمر الله موسى أن يصعد فى الصباح الى جبل سيناء ويقف هناك على رأس الجبل فى حضرة الرب وأمره ألا يدع أحدا يصعد معه وألا يرى أحد فى الجبل كله وحتى الغنم أيضا والبقر لا ترعى الى جهة الجبل . وأطاع موسى أمر ربه وبكر فى الصباح وصعد الى جبل سيناء وأخذ فى يده لوحى الحجر ووقف هناك ونادى باسم الرب « فاجتاز الرب قدامه ونادى الرب . الرب اله رحيم ورموف بطيء الغضب كثير الاحسان والوفاء . حافظ الاحسان الى الوف . غافر الاثم والمعصية والخطية . ولكن لن يبرىء ابراء . مفتقدا اثم الآباء فى الابناء فى أبناء الأبنسء فى الجيل الثالث والرابع . فأسرع موسى وخر الى الأرض وسجد . وقال أن وجدت نعمة فى عينيك أيها السيد فليسر السيد فى وسطنا فإنه شعب صلب الرقبة . واغفر اثمنا وخطيتنا واتخذنا ملكا فقال هأنذا قاطع عهدا قدام جميع شعبك . أفعل عجائب لم تخلق فى كل الأرض وفى جميع الأمم . فىرى جميع الشعب الذى أنت فى وسطه فعل الرب . أن الذى أنا فاعله معك رهيب . احفظ ما أنا موصيك اليوم . هأنذا طارد من قدامك الاموريين والكنعانيين والحيثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين (خروج ٣٤ : ٦ - ١١) .

(و) نهاية جيل من العصاة المتمردين :

أمر الله سبحانه وتعالى عبده ونبيه موسى عليه السلام أن يصعد بالشعب الذى أخرجه سبحانه من أرض مصر وأن يسير به الى الأرض التى وعد بها سبحانه ابراهيم واسحق ويعقوب اسرائيل أن يعطيها لنسلاهم . الأرض التى تفيض لبنا وعسلا ووعد سبحانه أن يرسل أمامهم ملاكاً وأن يطرد سكان تلك الأرض . ولكثرة ما تمرد الشعب وخالف تعاليم الله ووصاياهم لم يرتض سبحانه أن يسير فى وسطهم « وكان الرب قد قال لموسى قل لبني اسرائيل انتم شعب صلب الرقبة . ان صعدت لحظة واحدة فى وسطكم أفنييتكم » (خروج ٣٣ : ٥) .

وسار موسى والشعب . وطوال تلك المسيرة وبالرغم من الوصايا والاحكام والشرائع التى كان الله سبحانه يملئها على نبيه موسى فينقلها الى بني اسرائيل فى حينها « وكلم الرب موسى قائلا كلم بني اسرائيل وقل لهم . أنا الرب الهكم مثل عمل أرض مصر والتى سكنتم فيها لا تعملوا ومثل عمل أرض كنعان التى أنا آت بكم اليها لا تعملوا وعلى حسب فرائضهم لا تسلكوا . احكامى تعملون وفرائض تحفظون لتسلكوا

فيها ، (لاويين ١٨ : ١ - ٤) . وبالرغم من التهديدات التي القيت اليهم « لكن ان لم تسمعوا لي وتعملوا كل هذه الوصايا . وأن رفضتم فرائضي وكرهت أنفسكم أحكامي فما عملتم كل وصاياي بل نكثتم ميثاقي فأنا اعمل هذه بكم أسلط عليكم رعبا وسلا وحمى تغنى العينين وتلف النفس وتزرعون باطلا زرعكم فيأكله أعداؤكم وأجعل وجهي ضدكم فيتنهزمون أمام أعدائكم ويتسلط عليكم مبغضوكم وتهربون وليس من يطردكم . وان كنتم مع ذلك لاتسمعون لي أزيد على تأديبكم سبعة أضعاف خطاياكم ، (لاويين ٢٦ : ١٤ - ١٨) برغم كل ذلك « وكان الشعب كأنهم يشكون شرا في أذن الرب وسمع الرب فحمى غضبه فاشتعلت فيهم نار الرب وأحرقت في طرف المحلة . فصرخ الشعب الى موسى فصلى موسى الى الرب فجمدت النار ، (عدد ١١ : ١ و٢) واشتهوا اللحم وألحوا على موسى في طلبه « من أين لي لحم حتى أعطي جميع هذا الشعب لانهم يبيكون على قائلين اعطنا لحما لنأكل ، (عدد ١١ : ١٣) وعاقبهم الله « واذ كان اللحم بعد بين أسنانهم قبل أن ينقطع . حمى غضب الرب على الشعب وضرب الرب الشعب ضربة عظيمة جدا . » (عدد ١١ : ٣٣) .

وعندما وصلوا الى برية فاران على مشارف الأرض الموعودين بها كلم الرب سبحانه نبيه وأمره أن يرسل رجالا ليتجسسوا أرض كنعان . فأرسل موسى من كل سبط رجلا كل واحد رئيس فيهم على حسب أمر الرب . وأمرهم موسى أن يتجهوا الى الجنوب وأن يصعدوا الجبل ليتجسسوا أرض كنعان ويختبروا طبيعة الأرض جيدة هي أم رديئة والشعب الساكن فيها قوى هو أم ضعيف . قليل أم كثير . وما هي المدن المسكونة وهل هي مخيمات أو حصون . وطلب منهم أن يحضروا معهم شيئا من ثمر الأرض . فتجسسوا الأرض وقضوا فيجولتهم هذه أربعين يوما عادوا بعدها ومعهم قطاف من عنب وتين ورمان وقالوا ان الأرض تفيض لبنا وعسلا وقالوا أن شعب الأرض الساكن فيها معتر والمدين حصينة وعظيمة والعمالقة يسكنون أرض الجنوب والحيثيون واليبوسيون والاموريون يسكنون الجبل والكنعانيون يسكنون عند البحر وعلى جانب الاردن . الا أن بعض من تجسسوا الأرض أشاعوا الخوف في نفوس الشعب قائلين ان جميع من نظروهم من سكان الأرض طوال القامة وأن الجبابرة من بنى عناق جعلوهم ينظرون الى أنفسهم كالجراد بالنسبة اليهم « قرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة . وتذمر على موسى وعلى هرون جميع بنى اسرائيل وقال لهما كل الجماعة ليتنا متنا في أرض مصر أو ليتنا

ممتنا في هذا القفر . ولماذا أتى بنا الرب الى هذه الأرض لنسقط بالسيف .
تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة . أليس خيرا لنا أن نرجع الى مصر . فقال
بعضهم لبعض نقيم رئيسا ونرجع الى مصر » (عدد ١٤ : ١ - ٤) .

وبرغم محاولات موسى وهرون وأحاديث يشوع بن نون وكالب
بن يفته ممن كانوا تجسسوا الأرض وبالرغم من طلبهما الى موسى أن
يسير بهم والشعب والرب معهم يدخلهم الأرض التي وعدهم بها . وبالرغم
من تحذيرهما للشعب عاقبة عصيان وعد الرب والتمرد على مشيئته
وبالرغم مما أوضحوه للشعب بأن الرب سيكون معهم وسيجعل من شعب
هذه الأرض خبزا لبنى اسرائيل . الا أن الجماعة ابت ولجت في الالباء والعناد
وطلبت أن ترجمهما بالحجارة : **« وغضب الرب » وقال الرب لموسى حتى
متى يهيننى هذا الشعب . وحتى متى لا يصدقوننى بجميع الآيات التى
عملت فى وسطهم . انى اضربهم بالوباء وابيدهم وأصيرك شعبا أكبر
وأعظم منهم »** . (عدد ١٤ : ١١-١٢) . **« وأما الرجل موسى فكان حليما
جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض »** (عدد ١٢ : ٣)
فبدأ يستعطف ربه ويطلب صفحه عن الشعب وغفرانه عصيانه كما سبق
وغفر له من مصر الى أن وصل الى ذلك الموضع . **« فقال الرب قد صفحت
على حسب قولك . ولكن حى انا فتملا كل الأرض من مجد الرب . ان
جميع الرجال الذين رأوا مجدى وآياتى التى عملتها فى مصر وفى البرية
وجربونى الآن عشر مرات ولم يسمعوا لقولى لن يروا الأرض التى حلفت
لآبائهم . وجميع الذين أهانونى لا يرونها »** (عدد ١٤ : ٢٠ - ٢٣) .

وحكم الله سبحانه وتعالى وهو خير الحاكمين أن جميع الذين تدمروا
عليه من ابن عشرين سنة فصاعدا لن يدخلوا الأرض التى رفع يده
سبحانه ليسكنهم اياها . وحكم أن يظلوا فى القفر أربعين سنة كعدد
الأيام التى تجسسوا فيها الأرض كل يوم بسنة ، حتى تفنى جثثهم فى
القفر ، وحكم أن يعمل بنوهم رعاة فى القفر طول هذا الزمان » كعدد
الأيام التى تجسستم فيها الأرض أربعين يوما للسنة يوم تحملون ذنوبكم
أربعين سنة فتعرفون ابتعادى ، أنا الرب قد تكلمت لأفعلن هذا بكل هذه
الجماعة الشريرة المتفكة على . **فى هذا القفر يفنون وفيه يموتون »** (عدد

١٤ : ٣٥-٣٤) .

ولما أخبر موسى بنى اسرائيل بحكم الله فيهم بكى الشعب كثيرا .
وعلى عادتهم فى التمرد والعصيان وعلى الرغم من تحذير موسى لهم . بأن

الرب لن يكون معهم . فقد بكروا صباحا وصعدوا الى رأس الجبل يطلبون .
الموضع الذى كان الرب وعد به فنزل العمالقة والكنعانيون الساكنون . فى .
ذلك الجبل وضربوهم ضربا عظيما فانهزم بنو اسرائيل أمامهم . وذلك .
نحو ١٤٩٠ ق م .

ظل بنو اسرائيل فى القفر يرتحلون فيه من مكان الى مكان وفى .
نحو ١٤٥٣ ق م . مات هرون (عدد ٢٠ : ٢٨) وطلب موسى من الله
ربه أن يسمح له أن يعبر ويرى الأرض الجيدة التى فى عبر الأردن ولبنان .
ولكن الله سبحانه - وبسبب غضبه على بنى اسرائيل - لم يسمح . وقال
له « كفاك » لا تعد تكلمنى أيضا فى هذا الامر . أصعد الى رأس الفسجة .
وارفع عينيك الى الغرب والشمال والجنوب والشرق وانظر بعينيك ولكن
لا تعبر هذا الأردن . وأما يشوع فأوصه وشددته وشجعه لأنه هو يعبر
أمام هذا الشعب وهو يقسم لهم الأرض التى تراها » (تثنيه ٣ : ٢٦ -
٢٨) .

وظل الرب سبحانه يعلم نبيه موسى الفرائض والأحكام والشرائع .
التى يجب أن يعمل بها بنو اسرائيل لكى يحيوا ويدخلوا ويمتلكوا الأرض
التى وعدهم بها . وكان موسى ينقل كل ما يعلمه الرب له الى الشعب
أولا بأول . وقد ضم سفر التثنيه كل هذه الفرائض والأحكام والشرائع
التى أوجبها الله على بنى اسرائيل عند دخولهم أرض الميعاد وفى وجودهم
بها . الأرض التى وعد بها الآباء ابراهيم واسحق ويعقوب اسرائيل .
« وصعد موسى من عربات موآب الى جبل بنو الى رأس الفسجة الذى
قبالة أريحا فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد الى دان وجميع نفتالى .
وأرض أفرايم ومنسى وجميع أرض يهوذا الى البحر الغربى والجنوب
والدائرة بقعة أريحا مدينة النخل الى صوغر . وقال له الرب هذه هى
الأرض التى أقسمت لابراهيم واسحق ويعقوب قائلا لنسلك أعطيها .
قد أريتك اياها بعينيك ولكنك الى هناك لا تعبر » . (تثنيه ٣٤ : ١ - ٤)

ومات موسى نحو ١٤٥١ ق م . وخلفه يشوع بن نون على بنى
اسرائيل « ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة اذ وضع موسى عليه
يديه فسمع له بنو اسرائيل وعملوا كما أوصى الرب موسى » (تثنيه
٣٤ : ٩) .

٢٠ (ز) الوفاء بالوعد :

قبل أن نتكلم عن دخول بنى اسرائيل الى الارض التى وعد بها آباؤهم ابراهيم واسحق ويعقوب اسرائيل يجب أن نتبين أن الله سبحانه وتعالى وقد سطر الثواب والعقاب وجعل التوبة سبيلا الى المغفرة أراد ألا يأخذ الأبرياء بذنب المسيئين . فما أن مضت أيام الجزاء وفنى جيل المعصية والتمرد حتى كان سبحانه قد أكمل للجيل الجديد وصاياهم وتعاليمهم وأحكامهم وشرائعهم التى وضعها لهم ليسيروا على هديها وقضى موسى بقية حياته منذ خروج بنى اسرائيل من أرض مصر الى أن عاد الى ربه راضيا مرضيا والى أن حل موعد دخول بنى اسرائيل أرض الميعاد يردد عليهم تعاليم الله ووصاياهم . فكان موسى لا يفتأ يبصرهم بطريق الخير « وأن سمعت سمعا لصوت الرب الهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياهم التى أنا أوصيك بها اليوم يجعلك الرب الهك مستعليا على جميع قبائل الارض » (تثنيه ٢٨ : ١) « ويزيدك الرب فى ثمرة بطنك وثمره بهائمك وثمره أرضك على الأرض التى حلف الرب لآبائك أن يعطيك » (تثنيه ٢٨ : ١١) . كذلك بصرهم بأجل بيان سوء المنقلب اذا خالفوا هذه الوصايا وتلك الاحكام عقاب العاصي من لا ايمان له ولا رجاء فيه « ولكن أن لم تسمع لصوت الرب الهك لتحرص ان تعمل بجميع وصاياهم وفرائضه التى أنا أوصيك بها اليوم تأتى عليك جميع هذه اللعنات وتدرئك » (تثنيه ٢٨ : ١٥) و « يجعلك الرب منهزما أمام أعدائك . فى طريق واحدة تخرج عليهم وفى سبع طرق تهرب أمامهم وتكون قلقا فى جميع مسالك الأرض » (تثنيه ١٨ : ٢٥) .

ولقد تبينا غضب الله على الشعب كلما تمرد على الله سبحانه أو نقض تعاليمهم ووصاياهم بل أن هذا الغضب بلغ فى بعض المواقف حدا جعل الله سبحانه يهيم بافناء هذا الشعب وخلق شعب جديد غيره « وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب واذا هو شعب صلب الرقبة . فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم فأصيرك شعبا عظيما » (خروج ٣٢ : ١٠ر٩) . وبرغم تكرار أخطائهم وبشاعة الكثير منها لم يفنهم الله بسبب رجوات وتضرعات نبيه موسى عليه السلام ولنزلته عند ربه « فقال الرب لموسى هذا الأمر أيضا الذى تكلمت عنه أفعله . لأنك وجدت نعمة فى عيني وعرفتك باسمك » (خروج ٣٣ : ١٧) ولأن موسى كان يذكر الله بوعد الأول لابراهيم ذلك الوعد الذى حفظه الرب الى اسحق ويعقوب (اسرائيل) ونسله . فلما عصى الشعب أمر ربه فى دخول الارض

الموعود بها وقتال ساكنيها أبى سبحانه أن تظل ذلك الجيل سماء ارض الميعاد بل حكم عليه بالفناء جاثلا فى القفر حتى فنى كله . وحتى موسى نبى الله وصفيه وكليمه أصابه غضب الله على بنى اسرائيل فى ذلك الجيل فلم يكتب له أن يستقر فى الارض الموعودة ويتمتع بخيراتها وكان حظه منها أن رآها بعينه ولكن لم تمس قدميه أرضها . ولله جل شأنه ما يشاء .

« وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا . موسى عبدى قد مات . فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب الى الأرض التى أنا معطيها لهم أى لبنى اسرائيل . كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى . من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين والى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم » (يشوع ١ : ١ - ٤) .

ووفى الله سبحانه وتعالى بوعد لبنى اسرائيل ، الوعد الذى نزل اليهم خلال آبائهم ابراهيم واسحق ويعقوب اسرائيل فدخلوا الأرض تحت يشوع بن نون وأسكنهم الله حيث وعد . فاستقر قسم منهم « بيت اسرائيل » وفيهم نسل أفرام ومنسى ورأوبين وشمعون ودان ونفتالى وجاد وأشير ويساكر وزبولون . وكان هذا البيت الذى يضم الأكثرية من الأسباط وعلى رأسهم نسل يوسف الذى نال البركة والبكورية أيضا « وبنو رأوبين بكر اسرائيل . لانه البكر ولأجل تدنيس فراش ابيه أعطيت بكوريته لبنى يوسف بن اسرائيل فلم ينسب بكرا . لان يهوذا اعتز على أخوته ومنه الرئيس وأما البكورية فليوسف » (اخبار الأيام الاول ٥ : ٢١) - وسكنوا المنطقة الشمالية من الارض من البحر الكبير غربا ممتدة نحو الشرق عبر نهر الاردن .

واستقر القسم الثانى « بيت يهوذا » وفيهم نسل يهوذا - الذى منه الرئاسة - ولاوى وبنيامين وهو يضم الأقلية واختص بالقداسات وخدمة الهيكل لان فيه نسل لاوى . وسكنوا المنطقة الجنوبية من الأرض من البحر الكبير غربا الى البحر الميت شرقا . وفى سفر يشوع تفصيل واضح عن دخول بنى اسرائيل الى الارض الموعودين بها والحروب التى دارت والشعوب التى غلبت أمام بنى اسرائيل والاماكن التى نزل بها الأسباط والحدود بينهم جميعا « فأخذ يشوع كل الأرض على حسب كل ما كلم به الرب موسى وأعطاهم يشوع ملكا لاسرائيل على حسب فرقهم وأسباطهم . واستراحت الارض من الحرب » (يشوع ١١ : ٢٣) .

وبصراحة وبإسهاب يقرر يشوع بن نون الذى عهد اليه ادخال بنى اسرائيل الى الارض الموعودة وكان شاهدا على تقسيمها عليهم على حسب ما وعد الله سبحانه « فأعطى الرب اسرائيل جميع الارض التى أقسم أن يعطيها لآبائهم فامتلكوها وسكنوا بها » . فأراحهم الرب حواليتهم على حسب كل ما أقسم لآبائهم ولم يقف قدامهم رجل من جميع أعدائهم بل دفع الرب جميع أعدائهم بأيديهم لم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذى كلم به الرب بيت اسرائيل بل الكل صار « (يشوع ٢١ : ٤٣ - ٤٥) » .

وكان ذلك نحو ١٤٤٤ ق.م.

الباب الثالث

اسرائيل ويهوذا

(أ) انقسام بني اسرائيل وشورهم

في نهاية أيام يشوع بن نون جمع جميع أسباط اسرائيل ودعا شيوخهم ورؤساءهم وقضاةهم وعرفاءهم . وخاطب يشوع جميع الشعب وذكرهم بكل ما كان منذ أخذ الرب ابراهيم من بين أهله وعشيرته وأسكنه أرض كنعان الى نزوح يعقوب اسرائيل وبنوه الى مصر ، وأوضح لهم كيف أرسل الرب نبيه موسى وأخاه هرون فأخرجهم من أرض مصر وما عمل الرب سبحانه من معجزات حتى أدخلهم الى الأرض التي وعده بها آبائهم . « وأعطيتكم أرضاً لم تتعبوا عليها ومدنا لم تبنيوها لتسكنوا بها ومن كروم وزيتون لم تفرسوها تأكلون فالآن اخشوا الرب واعبدوه بكل كمال وأمانة » (يشوع ٢٤ : ١٤) « فأجاب الشعب وقالوا حاشا لنا أن نترك الرب لنعبد آلهة أخرى » (يشوع ٢٤ : ١٦) وحذرهم يشوع وأنذرهم وأشهدهم على أنفسهم « فقال يشوع للشعب لا تقدرّون أن تعبدوا الرب لانه اله قدوس واله غيور هو . لا يغفر ذنوبكم وخطاياكم . واذا تركتم الرب وعبدتم آلهة غريبة يرجع فيسيء اليكم ويفنيكم بعد أن أحسن اليكم . فقال الشعب ليشوع لا . بل الرب نعبد . فقال يشوع للشعب أنتم شهود على أنفسكم انكم قد اخترتم لانفسكم الرب لتعبدوه . فقالوا نحن شهود » (يشوع ٢٤ : ١٩ - ٢٢) ومات يشوع بن نون نحو ١٤٢٧ ق م .

« وعبد الشعب الرب كل أيام يشوع وكل أيام الشيوخ الذين

طالت أيامهم بعد يشوع الذين رأوا عمل الرب العظيم الذى عمل لاسرائيل ، (قضاة ٢ : ٧) . ولما انتهى ذلك الجيل خلفه جيل آخر لم يكن يعرف الأعمال الكبار التى صنعها الرب لبني اسرائيل . ويحدثنا « سفر القضاة » الذين قادوا بني اسرائيل فى هذا الجيل وعملوا على توجيههم ، كيف تمادى الشعب فى عمل الشر « وأقام الرب قضاة فخلصوهم من ناهبيهم . ولقضاتهم ايضا لم يسمعو بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها » . وعندما كان الرب مع القاضى وخلصهم من يد أعدائهم كل أيام القاضى وعند موت القاضى كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها . لم يكفوا عن أفعالهم وطريقهم القاسية » (قضاة ٢ : ١٦ - ١٩)

وغضب عليهم الرب غضبا شديدا ورأى سبحانه أنهم مداموا قد نبذوا وصاياه وأحكامه أن يبقى الشعوب التى كانت لاتزال تسكن الأرض . والذين بقوا بها حتى موت يشوع « لكى أمتحن بهم اسرائيل أيعفظون طريق الرب ليسلكوا بها كما حفظها آباؤهم أم لا . فترك الرب أولئك الأمم ولم يطردهم سريعا ولم يدفعهم بيد يشوع » (قضاة ٢ : ٢٣-٢٢) . بل جعلهم سيف نعمة وقصاص يعاقب بهم بني اسرائيل كلما حادوا عن طريقه .

« وفعل بنو اسرائيل الشر فى عيني الرب وعبدوا البعليم وتركوا الرب اله آبائهم الذى أخرجهم من أرض مصر وساروا وراء آلهة أخرى . من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب » (قضاة ٢ : ١٢-١١) « فحمى غضب الرب على اسرائيل فدفعهم بأيدي ناهبين نهبهم وباعهم بيد أعدائهم حولهم ولم يقدرُوا بعد على الوقوف أمام أعدائهم » (قضاة ٢ : ١٤) وذلك نحو ١٤٠٦ ق م .

« وعاد بنو اسرائيل يعملون الشر فى عيني الرب فشدد الرب عجلون ملك موآب على اسرائيل لانهم عملوا الشر فى عيني الرب » (قضاة ٣ : ١٢) وذلك نحو ١٣٥٤ ق م .

« وعاد بنو اسرائيل يعملون الشر فى عيني الرب بعد موت اهود . فباعهم الرب بيد يابين ملك كنعان الذى ملك فى حاصور ورئيس جيشه سيميرا وهوا ساكن فى حروشة الأمم » (قضاة ٤ : ١) وذلك نحو ١٣١٦ ق م .

« وعمل بنو اسرائيل الشر في عيني الرب فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين . فاعتزت مديان على اسرائيل » (قضاة ٦ : ٢١) .
وذلك نحو ١٢٥٦ ق م .

« وعاد بنو اسرائيل يعملون الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بني عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه . فحوى غضب الرب على اسرائيل وباعهم بيد الفلسطينيين وبيد بني عمون » (قضاة ١٠ : ٧٦)
ثم عاد بنو اسرائيل يعملون الشر في عيني الرب فدفعهم الرب ليد الفلسطينيين أربعين سنة » (قضاة ١٣ : ١) وذلك نحو ١١٦١ ق م .

بل أن النزاع والفرقة دبت بين بني اسرائيل انفسهم ففي نحو ١٤٠٦ ق م . تنازع بنو بنيامين مع اخوتهم بني اسرائيل وحاربوهم « فلم يرد بنو بنيامين أن يسمعوا لصوت اخوتهم بني اسرائيل . فاجتمع بنو بنيامين من المدن الى جمعة لكي يخرجوا لمحاربة بني اسرائيل » (قضاة ٢٠ : ١٣١٤) وفي ذلك يقول النبي زكريا على لسان الرب « فقلت لا أرفعكم . من يمت فليمت . ومن يبد فليبد والبقية فليأكل بعضها احم بعض » (زكريا ١١ : ٩) بل أن الرب سبحانه في كلامه هذا مع زكريا نقض عهده للأسباط صراحة « فأخذت عصاى نعمة وقصفتها لأنقض عهدى الذى قطعته مع الاسباط » (زكريا ١١ : ١٠) كما نقض الاخاء بين بيت اسرائيل وبيت يهوذا « ثم قصفت عصاى الاخرى حبالا لأنقض الاخاء بين يهوذا واسرائيل » (زكريا ١١ : ١٤) وفي نحو ٧٤٠ ق م قرب نهاية بني اسرائيل في الارض الموعودة حارب بيت اسرائيل بيت يهوذا « فدفعه الرب الهه ليد ملك آرام . فضربوه وسبوا منه سبيا عظيما وأتوا بهم الى دمشق . ودفع أيضا ليد ملك اسرائيل فضربه ضربة عظيمة . وقتل فقح بن رمليا في يهوذا مئة وعشرين الفا في يوم واحد (أخبار الملوك الثانى ٢٨ : ٦٥) .

وكان بنو اسرائيل عند دخولهم ارض الميعاد قد انقسموا الى بيتين كما سبق بيان ذلك ومرار الزمن أصبح كل بيت قسما منفصلا عن الآخر تماما وخرج من كل بيت ملوكا ملكوا عليه أو عليهما معنا ولكنهما لم يتوحدا ، حتى انه في أيام داود الملك في نحو ١٠١٧ ق م . عندما أمر الملك بإحصاء بني اسرائيل أحصى كل قسم على حدة « فكان بنو اسرائيل ثمانمائة ألف رجل ذوى بأس مستلئ السيوف ورجال يهوذا خمسمائة ألف

رجل « (صموئيل الثانى : ٢٤ : ٩) وحتى فى أيام ملك سليمان الحكيم .
وعلى الرغم من أنه كان « متسلطا على جميع الممالك من نهر الفرات الى أرض
فلسطين وتخوم مصر » (الملوك الاول ٤ : ٢١٠) فان بيتى يهوذا واسرائيل
ظلا منفصلين « وسكن يهوذا واسرائيل آمنين كل واحد تحت كرمته »
وتحت تينته من دان الى بئر سبع كل أيام سليمان « (الملوك الاول
٤ : ٢٥) .

وليس أدل على أن كل بيت منهما أصبح منفصلا عن الآخر ما ورد
على لسان الكاهن حزقيال فى رؤياه « وكان الى كلام الرب قائلا . وأنت .
يا ابن آدم خذ لنفسك عصا واحدة واكتب عليها ليهوذا وبني اسرائيل
رفقائه . وخذ عصا أخرى واكتب عليها ليوسف عصا أفرايم وكل بيت
اسرائيل رفقائه » (حزقيال ٣٧ : ١٦) وفى نفس الرؤيا أعلن الرب .
على لسان حزقيال هذا الانفصال « وكان الى كلام الرب قائلا . يا ابن
آدم كان امرأتان ابنتا ام واحدة » (حزقيال ٢٣ : ١) ولكنهما كلاهما
اشتركا فى فعل الشر وارتكاب الآثام والخطايا والخروج على أحكام الرب
ووصياه وشرائعه وصار لهما باذن الله مصر محنوم .

تكررت اخطاء بني اسرائيل وكثر ارتكابهم للآثام والمعصية اخطأوا
فى حق الرب كثيرا « كيف صارت القرية الأمانة زانية . ملانة حقا كان
العدل يبيت فيها . وأما الآن فالقاتلون . صارت فضتك زغلا وخمرتك
مغشوشة بماء . رؤساؤك متمردون ولغفاء اللصوص . كل واحد منهم
يحب الرشوة ويتبع العطايا . لا يقضون لليتيم ودعوى الأرملة لا تصل
اليهم » (اشعيا ١ : ٢١ - ٢٣) « وقال الرب فى أيام يوشيا الملك . هل
رأيت ما فعلت العاصية اسرائيل . انطلقت الى كل جبل عال وإلى كل
شجرة خضراء وزنت هناك . فقلت بعد ما فعلت كل هذه . ارجعنى الى
فلم ترجع . فرأت أختها الخائنة يهوذا . فرأيت انه لاجل كل الاسباب
اذ زنت العاصية اسرائيل فطلقتها وأعطيتها كتساب طلاقها لم تخف .
الخائنة يهوذا اختها بل مضت وزنت هى أيضا وكان من هوان زناها
انها نجست الأرض وزنت مع الحجر ومع الشجر » (ارميا ٣ : ٦ - ٩) ،
« لانه خيانة خائنى بيت اسرائيل وبيت يهوذا يقول الرب » (ارميا ٥ :
١١) ، « لانهم من صفرهم الى كبيرهم كل واحد مولع بالربح » (ارميا
٦ : ١٣) « فمن اليوم الذى خرج فيه اباؤكم من أرض مصر الى هذا
اليوم أرسلت اليكم كل عبيدى الأنبياء مبكرا كل يوم ومرسلا . فلم يسمعوا
لى ولم يميلوا أذنه بل صلبوا رقابهم . أساءوا اكثر من آبائهم » (ارميا

٧ : ٢٥-٢٦) . « فتقول لهم من أجل أن آباءكم قد تركوني يقول الرب ، وذهبوا وراء آلهة أخرى وعبدوها وسجدوا لها وإياي تركوا وشريعتي لم يحفظوها (ارميا ١٦ : ١١) . « لأن بني اسرائيل وبني يهوذا إنما صنعوا الشر في عيني منذ صباهم ، لأن بني اسرائيل إنما أغاظوني بعمل أيديهم يقول الرب » (ارميا ٣٢ : ٣٠) وعن بيت اسرائيل « حقا انه كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتموني يا بيت اسرائيل يقول الرب » (ارميا ٣ : ٢٠) « يا ابن آدم ان بيت اسرائيل لما سكنوا ارضهم نجسوها بطريقهم وبافعالهم » (حزقيال ٣٦ : ١٧) ، « انك الآن زנית يا أفرايم » . قد تنجس اسرائيل » (هوشع ٥ : ٣) .

« واسمعوا هذا يا رؤساء بيت يعقوب وقضاة بيت اسرائيل الذين يكرهون الحق ويعوجون كل مستقيم . وعن بيت يهوذا الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم رؤسائوها يقضون بالرشوة وكهنتها يعلمون بالأجرة » (ميخا ٣ : ٩ - ١١) ، « أما أنتم فحدثم عن الطريق واثرتم كثيرين بالشرعة أفسدتهم عهد لاوي قال رب الجنود » (ملاخي ٢ : ٨) .

(ب) العدل الالهي ٢

أحب الله خليله ابراهيم لأنه عرف الرب وسار في طريقه عاملا على مرضاته سبحانه ، فباركه وبارك نسله ووعدته وإياهم من بعده أرضا واختارها لهم تفيض لبنا وعسلا سكن فيها ابراهيم وذاق حلاوتها . وبارك نسله اسماعيل ووعدته أن يكون أمة كبيرة واثني عشر رئيسا يلد . كما بارك اسحق ووعدته ونسله بالأرض المختارة ، فعاش فيها اسحق أيضا وذاق حلاوتها . ثم بارك يعقوب وأسماه اسرائيل وبارك نسله ووعدته ونسله بالأرض الموعودة وعاش فيها يعقوب أيضا وذاق حلاوتها . ثم استدعاه يوسف الى أرض مصر حيث عاش وبنوه في ظل حب الله ليوسف إلى أن مات يوسف مبارك ومبارك نسله أفرايم ، حلت عليه البركة بيد اسرائيل أبيه . وأرسل الله نبيه موسى إلى بني اسرائيل في أرض مصر ليخرجهم من الذل والعبودية ويقودهم إلى أرض الميعاد وليوف الله بالوعد الذي كتبه على نفسه .

ولكن هذا الشعب الذي وصفه سبحانه أنه صلب الرقبة سرعان ما نسي ربه ووصاياه وأحكامه بل ونسى آياته الكبرى ومعجزاته التي أخرج به من أرض مصر فارتكب الضلالة الكبرى وتعبد لغير الله سبحانه

بل وسجد للصنم الذى صنعه من الذهب ، وعاقبهم الله . واصبح
سبحانه كلما حاد الشعب عن طريقه يرد به بالعقاب يدخل به فى نفوسهم
خشيتة سبحانه ويريه قدرته فيهم الى ان وصلوا الى مشارف ارض
الميعاد وتجسسوها .

وارتكب الشعب العصية وعصى امر الله بدخول الارض وقتال
ساكنيها وطردهم منها ، وهم سبحانه ان يبطش بهم ويفنيهم ويجعل من
نبيه موسى شعبا جديدا لولا شفاعة موسى فيهم . وعاقبهم الله بالتشريد
فى القفر حتى فنى جيل التمرد والعصية ، فأدخلهم تحت نبيه يشوع بن
نون الارض التى تفيض لبنا وعسلا وأوفى لهم بوعده . وأشهدهم يشوع
على أنفسهم أنهم رضوا بالله ربا ، كما شهد يشوع بنفسه تمام وعد الله
لهم ووزع عليهم الارض ورعاهم طول حياته كما سبق ان رعاهم موسى
فى حياته .

وعاش بنو اسرائيل فى الارض وانقسموا على أنفسهم وعملوا الشر
أيضا وقلدوا الامم التى كانت فى الأرض وسلطهم الله بعضهم على بعض
وسلط عليهم أمم الارض يعاقبونهم كلما طفح كيل شرورهم . وأرسل
اليهم أنبياء وشيوخا وقضاة وملوكا منهم كانوا يردونهم الى حظيرة الله
ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

وكان الله سبحانه طوال ذلك الزمان يلقي اليهم بأحكامه وتعاليمه
وشرائعه يدعوهم لطريقه وطاعته ورحمته محذرا ومنذرا مكررا مبكرا كل
يوم ومرسلا .

ففى نحو ٩٩٢ قم بنى الملك سليمان بيتا عظيما للرب « وكان كلام
الرب الى سليمان قائلا : هذا البيت الذى أنت بانيه ان سلكت فرائضى
وعملت أحكامى وحفظت كل وصاياى للسلوك بها ، فانى أقيم معك كلامى
الذى تكلمت به الى داود أبيك . وأسكن فى وسط بنى اسرائيل ولا
أترك شعبي اسرائيل » (الملوك الأول ٦ : ١١ - ١٣) . ويحذر
بنى اسرائيل وينذرهم مخاطبا سليمان « ان كنتم تنقلبون أنتم أو أبناؤكم
من ورائى ولا تحفظون وصاياى وفرائضى التى جعلتها أمامكم بل تذهبون
وتعبدون آلهة أخرى تسجدون لها فانى أقطع اسرائيل عن وجه الأرض
التي أعطيتكم اياها والبيت الذى قدسته لاسمى أنفيه من أمامى ويكون
اسرائيل مثلا وهزأة فى جميع الشعوب . وهذا البيت يكون عبرة . كل
من يمر عليه يتعجب ويصفر ويقولون لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض

ولهذا البيت : فيقولون من أجل أنهم تركوا الرب الههم الذي أخرج آباءهم من أرض مصر وتمسكوا بآلهة أخرى وسجدوا لها وعبدوها لذلك جلب الرب عليهم كل هذا الشر ، (الملوك الأول ٩ : ٦ - ٩) .

ويظل الشعب ماضيا في شروره وآثامه وينقلب تحذير الله سبحانه لهم الى وعيد . لذلك يقول السيد رب الجنود عزيز اسرائيل آه اني أستريح من خصمائي وأنتقم من أعدائي ، (أشعيا ١ : ٢٤) ، « وهلاك المذنبين والخطاة يكون سواء وتاركوا اترب يفنون » (أشعيا ١ : ٢٨) ، « فان لرب الجنود يوما على كل متعظم وعال وعلى كل مرتفع فيوضع وعلى كل أرز لبنان العالى المرتفع وعلى كل بلوط باشان » (أشعيا ٢ : ١٢) ، « فانه هوذا السيد رب الجنود ينزع من اورشليم ومن يهوذا السند والركن كل سند خبز وكل سند ماء . الجبار ورجل الحرب . القاضي والنبي والعراف والشيخ . رئيس الحمسين والمعتبر والمشير والماهر بين الصناع والحاذق بالرقية . وأجعل صبيانا رؤساء لهم وأطفالا تتسلط عليهم » (أشعيا ٣ : ١ - ٤) . وقال لهم الرب على لسان ارميا الكاهن « لذلك هكذا قال الرب اله الجنود . من أجل أنكم تتكلمون بهذه الكلمة . هأنذا جاعل كلامي في فمك نارا وهذا الشعب حطبا فتأكلهم » (ص ٥ : ١٤) ، « لذلك هكذا قال الرب هأنذا جاعل لهذا الشعب معشرات فيعثر بها الآباء والأبناء معا . الجار وصاحبه يبيدان » (ص ٦ : ٢١) ، « لسانهم سهم قتال يتكلم بالغش . بفمه يكلم صاحبه بسلام وفي قلبه يضع له كميناً أفما أعاقبهم على هذه يقول الرب أم لا تنتقم نفسي من أمة كهذه » (ص ٩ : ٨) ، « أما ترى ما تكلم به هذا الشعب قائلا ان العشيرتين اللتين اختارهما الرب قد رفضهما » (ص ٣٣ : ٢٤) . وقال لهم على لسان هوشع « وقد أذلت عظمة اسرائيل في وجهه فيتعثر اسرائيل وأفرايم في اثمهما ويتعثر يهوذا أيضا معهما » (ص ٥ : ٥) ، « جاءت أيام العقاب . جاءت أيام الجزاء » (ص ٩ : ٧) . ويتوعد بيت يهوذا « ويل للمتجردة النجسة المدينة الجائرة لم تسمع الصوت . لم تقبل التأديب . لم تتكل على الرب . لم تتقرب الى الهها » (صنفيا ٣ : ٢١) . ويتوعد كهنة اسرائيل « فأنا أيضا صيرتكم محترقين ودينئين عند كل الشعب كما أنكم لم تحفظوا طرقى بل حابيتهم في الشريعة » (ملاخي ٢ : ٩) . ولم ينفع وعيد الله سبحانه فنبذهم « قائلا اذا طلق رجل امرأته فانطلقت من عنده وصارت لرجل آخر فهل يرجع اليها بعد » (ارميا ٣ : ١) ، « فرأيت أنه لأجل كل الأسباب اذ زنت العاصبة

اسرائيل فطلقتها وأعطيتها كتاب طلاقها ، (ارميا ٣ : ٨) ، « هوذا من أجل آثامكم قد بعتم ومن أجل ذنوبكم طلقت أكمم » (أشعيا ٥٠ : ١) .

ورأى الله سبحانه وتعالى أن يجازيهم جزاء يتناسب ليس مع شرورهم وآثامهم فقط بل مع اصرارهم على الشر وباب التوبة مفتوح ومع تماديهم في الاثم وصوت الله يدعوهم اليه . وحدد الله جزاءه لهم : « لأنه قبل أن يعرف الصبي أن يدعو يا أبى ويا أمى تحمل ثروة دمشق وغنيمة السامرة قدام ملك آشور » (أشعيا ٨ : ٤) ، « فيقطع الرب من اسرائيل الرأس والذنب النخل والاسل فى يوم واحد » (أشعيا ٩ : ١٤) ، « هأنذا أجلب عليكم أمة من بعد يا بيت اسرائيل يقول الرب . أمة قوية أمة منذ القديم أمة لا تعرف لسانها ولا تفهم ما تتكلم به . جعبتهم كقبر مفتوح كلهم جبابرة . فيأكلون حصادك وخبزك الذى يأكله بنوك وبناتك يأكلون غنمك وبقرك . يأكلون جفنتك وتينتك . يهلكون بالسيف مدنك الحصينة التى أنت متكلم عليها » (ارميا ٥ : ١٥ - ١٧) .

« ويكون حين تقولون لماذا صنع الرب الهنا بنا كل هذه . نقول لهم تركتمونى وعبدتم آلهة غريبة فى أرضكم هكذا تعبدون الغرباء فى أرض ليست لكم » (ارميا ٥ : ١٩) ، « هكذا قال الرب . هوذا شعب قادم من أرض الشمال وأمة عظيمة تقوم من أقاصى الأرض . تمسك القوس والرمح . هى قاسية لا ترحم صوتها كالبحر وعلى خيل تركب مصطفة كأنسان لمحاربةك يا ابنة صهيون » (ارميا ٦ : ٢٢ - ٢٣) .
« لذلك هكذا قال السيد الرب . ها غضبى وغيظى ينسكبان على هذا الموضع على الناس وعلى البهائم وعلى شجر الحقل وعلى ثمر الأرض فيتقدان ولا ينطفئان » (ارميا ٧ : ٢٠) ، « على الجبال أرفع بكاء ومرثاة وعلى مراعى البرية ندبا لأنها احترقت فلا انسان عابر ولا يسمع صوت لماشية . من طير السموات الى البهائم هربت مضت . وأجعل اورشليم رجما ومأوى بنات آوى ومدن يهوذا أجعلها خرابا بلا ساكن » (ارميا ٩ : ١٠ - ١١) ، « فأطردكم من هذه الأرض الى أرض لم تعرفوها أنتم ولا آبائكم فتعبدون هناك آلهة أخرى نهسا ولىلا حيث لا أعطيكم نعمة » (ارميا ١٦ : ١٣) ، « لتجعل أرضهم خرابا وصفيرا أبديا . كل ما فيها يدهش وينفض رأسه . كريح شرقية أبددهم أمام العدو . أريهم القفا لا الوجه فى يوم مصيبتهم » (ارميا ١٨ : ١٦ - ١٧) ، « هكذا يأكل بنو اسرائيل خبزهم النجس بين الأمم الذين أطردهم اليهم » (حزقيال ٤ : ١٣) ، « وقل يا جبال اسرائيل اسمعى كلمة السيد الرب . هكذا قال

السيد الرب للجبال وللآكام للأودية وللأوطنة هأنذا أنا جالب عليكم سيفاً وأبديد مرتفعاتكم » (حزقيال ٦ : ٣) ، « قد فزعتم من السيف قال سيف أجلبه عليكم يقول السيد الرب • وأخرجكم من وسطها وأسلمكم الى أيدي الغرباء ، وأجرى فيكم أحكاماً • بالسيف تسقطون في تخم اسرائيل أقضى عليكم فتعلمون أنى أنا الرب • • • فى تخم اسرائيل أقضى عليكم فتعلمون أنى أنا الرب الذى لم تسلكوا فى فرائضه ولم تعملوا بأحكامه بل عملتم على حسب أحكام الأمم الذين حولكم » (حزقيال ١١ : ٨ - ١٢) ، « أنا الرب تكلمت وسأفعل • وأبددك بين الأمم وأذكرك فى الأراضى وأزيل نجاستك منك وتدنسين بنفسك أمام عيون الأمم وتعلمين أنى أنا الرب » (حزقيال ٢٢ : ١٤ - ١٦) ، « لأنه هكذا قال السيد الرب • انى أصعد عليهما جماعة وأسلمهما للجور والنهب • وترجمهما الجماعة بالحجارة ويقطعونهما بسيوفهم ويذبحون أبناءهما وبناتهما ويحرقون بيوتهما بالنار » (حزقيال ٢٣ : ٤٦ - ٤٧) •

وحدد الله سبحانه وتعالى السبى عقاباً لبنى اسرائيل : « قل أنا آية لكم • كما صنعت هكذا يصنع بهم • الى الجلاء الى السبى يذهبون » (حزقيال ١٢ : ١١) ، « فأسبىكم الى ما وراء دمشق قال الرب اله الجنود اسمه » (عاموس ٥ : ٢٧) ، « لأنه هكذا قال عاموس • يموت يربعام بالسيف ويسبى اسرائيل عن أرضه » (عاموس ٧ : ١١) ، « أغلقت مدن الجنوب وليس من يفتح • سبيت يهوذا كلها سبيت بالتمام » (ارميا ١٣ : ١٩) ، وعن ملك بيت اسرائيل « وهو أيضا يجلب الى آشور هدية الملك عدو • يأخذ أفرايث خزياً ويخجل اسرائيل على رأيه » (هوشع ١٠ : ٦) ، وعن اورشليم : « لأنى قد جعلت وجهى على هذه المدينة للشر لا للخير يقول الرب : ليد ملك بابل تدفع فيحرقها بالنار » (ارميا ٢١ : ١٠) ، « هأنذا أدفع هذه المدينة ليد الكلدانيين وليد نبوخذ راصر ملك بابل فيأخذها • فيأتى الكلدانيون الذين يحاربون هذه المدينة فيشعلون هذه المدينة بالنار ويحرقونها » (ارميا ٣٢ : ٢٨ - ٢٩) ، وعن مصير اورشليم وملك بيت يهوذا : « هكذا قال الرب اله اسرائيل • اذهب وكلم صديقاً ملك يهوذا وقل له • هكذا قال الرب هأنذا أدفع هذه المدينة ليد ملك بابل فيحرقها بالنار وأنت لا تفلت من يده بل تمسك أمساكاً وتدفع ليدته وترى عيناك عيني ملك بابل وتكلمه فما لقم وتذهب الى بابل » (ارميا ٣٤ : ٢ - ٣) •

(ج) العقاب والجزاء :

فى سفر هوشع من العهد القديم للكتاب المقدس يحدثنا النبى هوشع بن بثرى عما صار اليه كلام الرب سبحانه فيما انتواه لبني اسرائيل من أحداث وقد ملأت شرورهم وخطاياهم الأرض ولم يفد فيهم تحذير ولا انذار أو وعيد . فكانت أول اشارة من الله سبحانه : « أول ما كلم الرب هوشع قال الرب اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب » (هوشع ١ : ٢) وقد عنى الله سبحانه بكلامه هذا أن بني اسرائيل جميعا أصبحوا أهل الخطيئة والآثام وأن شرورهم عمت الأرض كلها وأنهم ابتعدوا عن طريق الله وأحكامه وتعاليمه ولم يعد يرجى منهم رجوع أو توبة .

« فذهب وأخذ جومو بنت دبلايم فولدت وولدت له ابنا . فقال له الرب ادع اسمه يزريعيل (١) لأننى بعد قليل أعاقب بيت ياهو على دم يزريعيل وأبهد مملكة بيت اسرائيل . ويكون فى ذلك اليوم أنى أكسر قوس اسرائيل فى وادى يزريعيل » (هوشع ١ : ٣ - ٥) وقد عنى الله سبحانه بذلك قرب نهاية بيت اسرائيل واقتلاعهم من الأرض وتبديدهم فى بلاد المملكة التى يسبون اليها ولا تكون لهم عودة الى أرض الميعاد .

« ثم حبلى أيضا وولدت بنتا فقال ادع اسمها لورحامة (٢) لانى لا أعود أرحم بيت اسرائيل أيضا بل انزعهم نزعاً . وأما بيت يهوذا فأرحمهم وأخلصهم بالرب الههم ولا أخلصهم بقوس وبسيف وبحرب وبخيل وبفرسان » (هوشع ١ : ٧) وكلام الله فيما يختص ببيت اسرائيل واضح تماما . أما بيت يهوذا فقد كان مسطورا أن يعود بعضهم الى الأرض المقدسة ليخلصوا بظهور السيد المسيح فيهم واتباعهم لرسالة العهد الجديد وليس بالقوة والحرب .

« ثم قطعت لورحامة وحبلى فولدت ابنا . فقال ادع اسمه لوعمى (٣) لأنكم لستم شعبى وأنا لا آكون لكم . لكن يكون عدد بني اسرائيل كرملى البحر الذى لا يكال ولا يعد ويكون عوضا عن أن يقال لهم لستم شعبى يقال لهم أبناء الله الحي » (هوشع ١ : ٨ - ١٠) وعن

(١) ومعناه يبلى أو يفرق .

(٢) ومعناه - بلا رحمة -

(٣) ومعناه - ليس شعبى -

الله سبحانه بذلك أنه نبذ بنى اسرائيل نهائيا فلم يعد هو ربهم ولم يصبحوا بعد شعبه الحبيب ولكن الشعب الذى يؤمن برسالة السيد المسيح فادى اسرائيل سيكون شعبا عظيما لا يحصى لكثرتة وهذا الشعب لن يرفضه الله بل سيكون الشعب الحبيب اليه «الذى سيعتبره ابناؤه المقبولين فى حظيرته لايمانهم برسالة مخلصهم وقاديتهم السيد المسيح .

فى نحو ٧٧١ ق . م بدا ضعف مملكة بيت اسرائيل وكان منحيم ابن جادى ملكا عليهم « فجاء فول ملك اشور على الارض فأعطى منحيم لقول ألف وزنة من الفضة لتكون يداه معه ليثبت المملكة فى يده » (الملوك الثانى ١٥ : ١٩) .

وفى نحو ٧٤٠ ق م حدث أول ضيق وسبى لبيت اسرائيل «فى أيام فقح ملك اسرائيل جاء تغلت ملك آشور وأخذ عيون وآبل بيت معكه ويانوح وقادش وحاصور وجلعاد والجليل كل أرض نفتالى وسباهم الى آشور » (الملوك الثانى ١٥ : ٢٩) . وحدثت فتنة فى بيت اسرائيل قتل فيها فقح بن رمليا ملك بيت اسرائيل ، قتله هوشع بن ايله وملك فى مكانه وأرسل رسلا الى ملك مصر يستعديه على آشور وامتنع عن دفع الجزية التى كانت مفروضة عليهم . وفى نحو ٧٢٣ ق م «وصعد ملك آشور على كل الارض وصعد الى السامرة وحاصرها ثلاث سنين . فى السنة التاسعة لهوشع أخذ ملك آشور السامرة وسبى اسرائيل الى آشور وأسكنهم فى حلج وخابور نهر جوزان وفى مدن مادي » (الملوك الثانى ١٧ : ١٥) وبذلك لم يبق فى أرض بنى اسرائيل الا سبط يهوذا وكانوا قد اشتروا صداقة ملك آشور بالمال (الملوك الثانى ١٦ : ٨) .

« فغضب الرب جدا على اسرائيل ونحاهم من أمامه ولم يبق الا سبط يهوذا وحده . ويهوذا أيضا لم يحفظوا وصايا الرب الههم بل سلكوا فى فرائض اسرائيل التى عملوها . فرذل الرب كل نسل اسرائيل ودفعهم ليد ناهبين حتى طرحهم من أمامه » (الملوك الثانى ١٦ : ١٨ - ٢٠) .

ولما كان الله سبحانه قد كتب على بيت اسرائيل نزعا بلا عودة « حتى نحى الرب اسرائيل من أمامه كما تكلم عن يد جميع عبيده الأنبياء . فسبى اسرائيل من أرضه الى آشور الى هذا اليوم . وأتى ملك آشور بقوم من بابل وكوث وعوا وحماة سفروايم وأسكنهم فى مدن السامرة عوضا عن بنى اسرائيل فامتلكوا السامرة وسكنوا فى مدنها »

(الملوك الثاني - ١٧ : ٢٤ر٢٣) . وبذلك إنتهت صفحة بيت اسرائيل في الأرض التي أوفى الله سبحانه بوعده بها اياهم الى آبنائهم ابراهيم واسحق ويعقوب اسرائيل وضيعتها آثام الأبناء وشروورهم . . . وأصبح القوم الذين جاء بهم ملك أشور فامتلكوا السامرة وسكنوا مدنها حائلا دون عودة بيت اسرائيل الى هذه الأرض . وبذلك يصدق كلام الرب على لسان هوشع « قد ابتلع اسرائيل . الآن صاروا بين الأمم كأناء لا مسرة فيه » . لأنهم صعدوا الى أشور مثل حمار وحشي معتزل بنفسه « (ص ٨ : ٩ر٨) وعلى لسان عاموس « سقطت عذراء اسرائيل لا تعود تقوم . انطرحت على أرضها ليس من يقيمها » (ص ٥ : ٢) وأيضا على لسان ميخا « فأنا جعلت جروحك عديمة الشفاء مخربا من أجل خطاياك (ص ٦ : ١٣) .

وبالمثل بدأت ضربات العقاب تنزل ببيت يهوذا ففي نحو ٧٤٢ ق.م . وفي عهد ملكهم آحاز بن يوثام « فدفعه الرب الهه ليد ملك آرام فضربوه وسبوا منه سببيا عظيما وأتوا به الى دمشق . ودفع أيضا ليد ملك اسرائيل فضربه ضربة عظيمة . . . وسبى بنو اسرائيل من اخوتهم مئتي ألف من النساء والبنين والبنات ونهبوا أيضا منهم غنيمة وافرة واتوا بالغنيمة الى السامرة » (الأيام الثاني ٢٨ : ٥ - ٨) . وتكاثرت على بيت يهوذا الملحن « فان الادوميين أتوا أيضا وضربوا يهوذا وسبوا سببيا . واقتحم الفلسطينيون مدن السواحل وجنوبى يهوذا وأخذوا بيت شمس وايلون وجديروت وسوكو وقراها وتمنه وقراها وجمزوا وقراها وسكنوا هناك » (الأيام الثاني ٢٨ : ١٧ر١٨) فلجأ الملك آحاز الى ملوك أشور يضح نفسه وشعبه تحت رحمتهم وحمايتهم بدلا من أن يعود وقومه الى حظيرة الرب ورحمته « فى ذلك الوقت أرسل الملك آحاز الى ملوك أشور لكي يساعدوه » (الأيام الثاني ٢٨ : ١٦) .

ومات الملك آحاز بعد أن أصبح أكثر من نصف مملكته خرابا أو فى ايدى الأعداء . وملك بعده الملك حزقيا ابنه . وفى نحو ٧١٣ ق.م « وبعد هذه الامور وهذه الامانة اتى سنحاريب ملك أشور ودخل يهوذا ونزل على المدن الحصينة وطمع بأخضاعها لنفسه » (الايام الثاني ٣٢ : ١٠) « ولكن الملك حزقيا اتجه للرب » ثم تواضع حزقيا بسبب ارتفاع قلبه هو وسكان اورشليم فلم يأت عليهم غضب الرب فى أيام حزقيا « (الايام الثاني ٣٢ : ٢٦) . وعندما ملك منسى ابنه لم يسر فى طريق الرب وأضل يهوذا « وكلم الرب منسى وشعبه فلم يصغوا . فجلب الرب عليهم رؤساء الجند

الذين للـك اشور فأخذوا منسى بخزامة وقيـدوه بسلاسل وذهبوا به الى بابل . ولما تضايق طلب وجه الرب الهه وتواضع جدا أمام اله آباءه . صلى اليه فاستجاب له وسمع تضرعه ورده الى اورشليم الى مملكته ، فعلم منسى أن الرب هو الله « (الأيام الثاني ٣٣ : ١٠ - ١٣) .

وفي نحو ٦١٠ ق م في عهد يهو آحاز حارب ملك مصر مملكة يهوذا وأنهى ملك يهو آحاز « وملك ملك مصر الياقيم (١) اخاه على يهوذا وأورشليم وغير اسمه الى يهوياقيم . وأما يواآحاز أخوه فأخذه نحو (٢) واتى به الى مصر (الأيام الثاني ٤٠:٣٦) وفي عهد يهوياقيم أصبحت مملكة يهوذا من الضعف والهوان حتى أن نبوخذ ناصر ملك بابل أخذ بعض آنية بيت الرب فى اورشليم ونقلها الى هيكله فى بابل وكاد أن يسبى الملك أيضا الى بابل . ولما ملك ابنه يهوياكين . وكان ابن ثانى عشرة سنة . أرسل الملك نبوخذ ناصر فأخذه وأخذ آنية بيت الرب الثمينة الى بابل وملك صدقيا أخاه على يهوذا وأورشليم .

وفي نحو ٥٩٠ ق م فى عهد الملك صدقيا أتت نهاية مملكة يهوذا . فانه تمرد على الملك نبوخذ ناصر كما أنه عمل أيضا الشر فى وجه الرب « فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف فى بيت مقدسهم ولم يشفق على فتى أو عذراء ولا على شيخ أو أشيب بل دفع الجميع ليده . وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة وخزائن بيت الرب وخزائن الملك ورؤسائه أتى بها جميعا الى بابل . وأحرقوا بيت الله وهدموا سور اورشليم وأحرقوا جميع قصورها بالنار واهلكوا جميع آنيته الثمينة . وسبى الذين بقوا من السيف الى بابل . فكانوا له ولبنيه عبيدا الى أن ملكت مملكة فارس « (الأيام الثاني ٣٦ : ١٧ - ٢٠) .

وأحرق بيت الرب نحو ٥٨٨ ق م . وتم كلام الرب فى مملكة يهوذا وفى ملكها صدقيا وفى اورشليم وفى بيت الرب . تم كلمة حسبما تكلم على لسان جميع الأنبياء . وانتهت أيضا مملكة بيت يهوذا فى أرض الميعاد .

(١) أخ يهوآحاز .

(٢) فرعون ملك مصر .

الباب الرابع

اليهود

(١) نشأة اليهود :

في نحو ٧٤٢/٢ قم في عهد فقح بن رمليا ملك اسرائيل وآحاز بن يوثام ملك يهوذا حاربت مملكة اسرائيل مملكة يهوذا اتماما لكلام الله سبحانه : « ثم قصفت عصاي الأخرى حبلا لا تقض الاخفاء بين يهوذا واسرائيل » (زكريا ١١ : ١٤) وفي ذلك العهد أيضا انضم رصين ملك آرام الى فقح ملك اسرائيل في غزوهم مملكة يهوذا ولأول مرة في أسفار العهد القديم يشار الى بيت يهوذا باسم **اليهود** لانتمسائهم الى ذلك البيت « في ذلك الوقت أرجع رصين ملك آرام ايله للاراميين وطرد **اليهود** من ايله وجاء الاراميون الى ايله وأقاموا هناك الى اليوم » (الملوك الثاني ٢٤ : ٦) . بل أن لغة بيت يهوذا عرفت أيضا باليهودية في ذلك الزمن . فان جيوش سنجاريب ملك آشور حينما حاصرت اورشليم « وصرخوا بصوت عظيم **باليهودى** الى شعب اورشليم الذين على السور لتخويفهم وترويعهم لكي يأخذوا المدينة » (الأيام الثاني ٣٢ : ١٨) ، « ثم وقف ربشاقى ونادى بصوت عظيم **باليهودى** وقال : اسمعوا كلام الملك العظيم ملك آشور » (اشعيا ٣٦ : ١٣) كذلك سماهم الملك صدقيا ملك يهوذا بهذا الاسم أثناء حصار جيوش ملك بابل لأورشليم في عهده « فقال صدقيا الملك لأرميا اتى أخاف من **اليهود** الذين قد سقطوا للكلدانيين لئلا يدفعونى ليدهم فيزدروا بى » (أرميا ٣٨ : ١٩) . وعرف بهذا الاسم « **اليهود** » في أسفار العهد الجديد من الكتاب المقدس كل من

كان بتلك الأرض عند ظهور السيد المسيح أو في الزمان السابق على مولده سواء كانوا ممن بقوا في الأرض عند السبي أو ممن عادوا من السبي في زمن الملك كورش ملك فارس في نحو ٥٣٦ ق م .

ذلك انه عندما رأى الله سبحانه وتعالى أن يرذل بني اسرائيل وان يخرجهم من رحمته ومحبته ومن الأرض التي أدخلهم اليها استبقى بعضا من ساكني أرض يهوذا لم يكن فيهم كبير أو ذو خطر . فعندما غزا نبوخذ ناصر بيت يهوذا في عهد الملك يهوياكين « وسبى كل اورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس عشرة آلاف سبى وجميع الصناع والاقيان . لم يبق أحد الا مساكين شعب الأرض » وسبى يهوياكين الى بابل وأم الملك ونساء الملك وخصيانه وأقوياء الأرض سباهم من اورشليم الى بابل . وجميع أصحاب البأس سبعة آلاف والصناع والاقيان الف وجميع الابطال أهل الحرب سباهم ملك بابل الى بابل » (الملوك الثاني ٢٤ : ١٤ - ١٦) . وبعد حوالي عشر سنين غزا نبوخذ ناصر بيت يهوذا ثانية وقتل أبناء الملك وسبى الملك صدقيا ثم « وفي الشهر الخامس في سابع الشهر وهي السنة التاسعة عشرة للملك نبوخذ ناصر ملك بابل جاء نبوزرادان رئيس الشرط عبد الملك بابل الى اورشليم وأحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت اورشليم وكل بيوت العظماء أحرقها بالنار وجميع أسوار اورشليم مستديرا هدمها كل جيوش الكلدانيين الذين مع رئيس الشرط . وبقية الشعب الذين بقوا في المدينة والهاربون الذين هربوا الى ملك بابل وبقية الجمهور سباهم نبوزرادان رئيس الشرط . ولكن رئيس الشرط أبقى من مساكين الأرض كرامين وفلاحين » (الملوك الثاني ٢٥ : ٨ - ١٢) ويقول في ذلك شاهد عيان هو ارميا الكاهن « فقتل ملك بابل بني صدقيا في ربله أمام عينيه وقتل ملك بابل كل أشرف يهوذا . وأعمى عيني صدقيا وقيدته بسلاسل نحاس ليأتي به الى بابل . أما بيت الملك وبيوت الشعب الذين بقوا في المدينة والهاربون الذين سقطوا له وبقية الشعب الذين بقوا سباهم نبوزرادان رئيس الشرط الى بابل . ولكن بعض الشعب الفقراء الذين لم يكن لهم شيء أتركهم لبوزرادان رئيس الشرط في أرض يهوذا وأعطاهم كروما وحقلولا في ذلك اليوم » (ارميا ٣٩ : ٦ - ١٠) .

وكان الله سبحانه وتعالى حين قدر السبي على بيت يهوذا والخراب على اورشليم والبيت الذي بناه سليمان الحكيم قد أشار إلى نيته إعادة بناء اورشليم وبيته بها ؛ وإلى عودة بعض سبائيا بيت

يهودا الى الارض ليقيموا بها الى ان يتم رسالته بالسيد المسيح » انه هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل عن الانية الباقية في بيت الرب وبيت ملك يهوذا وفي اورشليم . يؤتى بها الى بابل وتكون هناك الى يوم افتقادي اياها . يقول الرب فأصعدها وأردها الى هذا الموضع (ارميا ٢٧ : ٢١ - ٢٢) وقدر الله سبحانه الا يعيد عمار اورشليم ويرد بعض القوم الى أرضهم الا بعد ان يفنى جيل الشر هذا وقدر سبحانه لذلك سبعين عاما » لانه هكذا قال الرب « انى عند تمام سبعين سنة لبابل أتعهدكم وأقيم لكم كلامى الصالح برددكم الى هذا الموضع » (ارميا ٢٩ : ١) . وكان بعض بيت يهوذا قد فروا الى مصر وفيهم يقول الله سبحانه « لذلك اسمعوا كلمة الرب يا جميع يهوذا الساكنين فى أرض مصر . هأنذا قد حلفت باسمى العظيم قال الرب ان اسمى لن يسمى بعد بفم انسان ما من يهوذا فى كل أرض مصر قائلا حى السيد الرب هأنذا أسهر عليهم للشر لا للخير فيفنى كل رجال يهوذا الذين فى أرض مصر بالسيف والجوع حتى يتلاشوا . والناجون من السيف يرجعون من أرض مصر الى أرض يهوذا نفرا قليلا فيعلم كل بقية يهوذا الذين أتوا الى أرض مصر ليتغربوا فيها كلمة أينا تقوم » (ارميا ٤٤ : ٢٦ - ٢٨) وعن رد سبى يهوذا «لانه فى تلك الايام وفى ذلك الوقت عندما ارد سبى يهوذا وأورشليم » (يوثيل ٣ : ١) « ويكون الساحل لبقية بيت يهوذا عليه يرعون فى بيوت أشقلون عند المساء يربضون لأن الرب الههم يتعهدهم ويرد سبيهم » (صنفيا ٢ : ٧) وعن اعادة بناء بيت الرب « لذلك هكذا قال الرب قد رجعت الى اورشليم بالمراحم فبيتى يبنى فيها يقول رب الجنود ويمد المطمار على اورشليم (زكريا ١ : ١٦) ويؤكد الرب زمن خراب اورشليم «أنا دانيال فهمت من الكتب عدد السنين التى كانت عنها كلمة الرب الى ارميا النبى لكاملة سبعين سنة على خراب اورشليم» (دانيال ٩ : ٢) .

(ب) عودة السبائيا من بيت يهوذا (اليهود) :

عندما سبى الملك نبوخذ ناصر ملك بابل بيت يهوذا قبل دمار اورشليم واحراق بيت الرب ، ارسل النبى ارميا الذى كان شاهدا عيان لتلك الأحداث رسالة من اورشليم الى السبائيا فى بابل ينقل اليهم فيها مشيئة الله فيهم «هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل لكل السبى الذى سبيته من اورشليم الى بابل . ابنوا بيوتا واسكنوا واغرسوا جنات

وكلوا ثمرها . خدوا نساء ولدوا بنين وبنات وخذوا لبنيتكم نساء
واعطوا بناتكم لرجال فيلدن بنين وبنات اكثروا هناك ولا تفلوا . واطلبوا
سلام المدينة التي سبيتكم اليها وصلوا لاجلها الى الرب لانه بسلامها
يكون لكم سلام» (ص ٢٩ : ٤ - ٧) .

كذلك اراه الله سبحانه وتعالى رؤيا تعبر عن نواياه نحو سبايا
بيت يهوذا فقال « ارانى الرب واذا سلتا تين موضوعتان امام هيكل
الرب بعد ما سبى نبوخذ ناصر ملك بابل يكتيا بن يهويا قيم ملك يهوذا
ورؤساء يهوذا والنجارين والحدادين من اورشليم واتى بهم الى بابل ،
في السلة الواحدة تين جيد جدا مثل التين الباكورى وفي السلة الاخرى
تين ردىء جدا لا يؤكل من رداءته . فقال لى الرب ماذا أنت راء يا ارميا .
فقلت تينا . التين الجيد جيد جدا والتين الردىء ردىء جدا لا يؤكل من
رداءته ثم صار كلام الرب لى قائلا . هكذا قال الرب اله اسرائيل .
كهذا التين الجيد . هكذا انظر الى سبى يهوذا الذى ارسلته من هذا الموضع
الى ارض الكلدانيين للخير . واجعل عيني عليهم للخير وأرجعهم الى
هذه الارض وابنيهم ولا اهدمهم واغرسهم ولا اقلعهم . واعطيهم قلبا
ليعرفونى انى انا الرب فيكونوا لى شعبا وانا اكون لهم الها لانهم
يرجعون الى بابل قلبهم . وكالتين الردىء الذى لا يؤكل من رداءته
هكذا قال الرب هكذا اجعل صدقيا ملك يهوذا ورؤساءه وبقية اورشليم
الباقية فى هذه الارض والسالكين فى ارض مصر . واسلمهم للقلق والجوع
والوباء حتى يفنوا عن وجه الارض التى اعطيتمهم وآباءهم اياها (ارميا
ص ٢٤) .

والتعبير فى هذه الرؤيا واضح وجليل وبليغ فان سبايا بيت يهوذا
عدا نفر يخصصهم الله جل شأنه بالسبى الى ارض الكلدانيين - وكذلك
الذين فروا الى مصر خوفا من السبى هلاكا يهلكون ولا يرجعون الى الارض
التي اخرجهم الله منها . أما نفر الذين خصهم الله بالسبى الى ارض
الكلدانيين فسيتطهرون بالسبى وتحن قلوبهم الى ربهم ويرجعون اليه بها
فيعيدهم الى الارض التي اخرجهم منها ليكونوا حفاة على شريعة الرب التي
القاها الى موسى والنبين من بنى اسرائيل وشهودا على نبوءات واسفار
العهد القديم وأحداثه ، ولتبقى كلمة الله محفوفة بأيدي المتطهرين
التائبين وعلى الارض التي وعد بها آباءهم ابراهيم واسحق ويعقوب اسرائيل
ولتتم فيهم وبهم وينسلهم النبوءات التي بشرت بمولد السيد المسيح من
بيت يهوذا « لأن يهوذا اعتز على اخوته ومنه الرئيس » (الايام الاولى ٥)

٢) « فقال اسمعوا يا بيت داود . هل قليل عليكم أن تضجروا الناس حتى تضجروا الهى أيضا . ولكن يعطيكم السيد نفسه آية . ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل » (اشعيا ٧ : ١٣ - ١٤) وأيضا « لأنه يولد لنا ولد ونعطي ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا الها قديرا أبا أبديا رئيس السلام . لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود على مملكته ليثبتها ويعصدها بالحق والبر من الآن الى الأبد غيره رب الجنود تصنع هذا » (اشعيا ٩ : ٦ - ٧) ، « ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم لداود غصن بر فيملك ملك وينجح ويجرى حقا وعدلا فى الأرض . فى أيامه يخلص يهوذا ويسكن اسرائيل آمنا وهذا هو اسمه الذى يدعونه به الرب يرنا » (ارميا ٢٣ : ٥ - ٦) ، « ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم الكلمة الصالحة التى تكلمت بها الى بيت اسرائيل والى بيت يهوذا . فى تلك الأيام وفى ذلك الزمان انبت لداود غصن اتبر فيجرب عدلا وبراً فى الأرض . فى تلك الأيام يخلص يهوذا وتسكن اورشليم آمنة وهذا ما تتسمى به الرب يرنا » (ارميا ٣٣ : ١٤ - ١٦) والذى قيل عنه بالتنبؤات والرؤى والوحى الالهى « هو ذا عيذى الذى أعضاه مختارى الذى سرت به نفسى وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم . لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع فى الشوارع صوته قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفىء . الى الأمان يخرج الحق . لا يكمل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض وتنتظر الجزائر شريعته » (اشعيا ٤٢ : ١ - ٤) ، « هو ذا على الجبال قدما مبشر مناد بالسلام . عيذى يا يهوذا أعيادك أوفى نذكرك فانه لا يعود يعير فيك أيضا المهلك . قد انقرض كله » (ناحوم ١ : ١٥) ، « ابتهجى جدا يا ابنة صهيون اهتفى يا بنت اورشليم هو ذا ملكك يأتى اليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن اتان . . . ويتكلم بالسلام للأمم وسلطانه من البحر الى البحر ومن النهر الى أقاصى الأرض » (زكريا ٩ : ٩ - ١٠) وفى رؤيا دانيال النبى لتحديد الأزمنة « سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولتكفارة الاثم وليؤتى بالير الابدى ولختم الرؤيا والنبوة وتلمس قدوس القديسين : فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد اورشليم وبنائها الى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا يعود ويبنى سوق وخليج شى ضيق الأزمنة » (دانيال ٩ : ٢٤ - ٢٥) .

ولتتم مشيئة الله سبحانه وازادته ففى نحو ٥٣٦ قم « وفى السنة الأولى لكورنثس ملك فارس لأجل تكميل كلام الرب بفم ارميا نبه الرب

روح كورش ملك فارس فأطلق نداء في كل مملكته وكذا بالكتابة قائلا
هكذا قال كورش ملك فارس ان الرب اله السماء قد أعطانى جميع ممالك
الارض وهو أوصىنى أن أبني له بيتا في اورشليم التى فى يهوذا «
(الايام الثانى ٢٢: ٢٣-٢٢) « من منكم من كل شعبه ليكن الهه معه ويصعد
الى اورشليم التى فى يهوذا فيبنى بيت الرب اله اسرائيل . هو الاله
الذى فى اورشليم وكل من بقى فى أحد الاماكن حيث هو متغرب فلينجده
أهل مكانه بفضة وبذهب وبأمتعة وبهائم مع التبرع لبيت الرب الذى فى
اورشليم « (عزرا ١: ٣-٤) .

« فقام رؤوس آباء يهوذا وبنيامين والكهنة واللاويون مع كل من نبه
الله روحه ليصعدوا ليبنوا بيت الرب الذى فى اورشليم وكل الذين حولهم
أعانوهم بآنية فضة وبذهب وبأمتعة وبهائم وبتحف فضلا عن كل ما تبرع
به . والملك كورش أخرج آنية بيت الرب التى أخرجها نبوخذنصر من
اورشليم وجعلها فى بيت آلهته « (عزرا ١: ٥-٦) .

وفى نحو ٥٣٦ قم عاد الذين أراد الرب عودتهم ونبه روحهم
وعزيمتهم على العودة كما عادت آنية بيت الرب . وسكن رؤساء الشعب
فى اورشليم . وألقى سائر الشعب قرعا ليأتى بواحد من عشرة للسكنى
فى اورشليم مدينة القدس والتسعة أقسام فى المدن . وبارك الشعب
جميع القوم الذين انتدبوا للسكنى فى اورشليم . وهؤلاء هم رؤوس البلاد
الذين سكنوا فى اورشليم وفى مدن يهوذا . سكن كل واحد فى ملكه فى
مدنهم من اسرائيل الكهنة واللاويين والثنيين وبنو عبيد سليمان .
وسكن فى اورشليم من بنى يهوذا ومن بنى بنيامين . (نحميا
١١ : ٤) .

وما أن استقر العائدون حتى شرعوا فى بناء بيت الرب . ولسكن
الشعوب التى كانت ساكنة فى الأرض معهم وخصوصا السامريين الذين
كانوا يحتلون مدن بيت اسرائيل قبل سبيهم تخوفوا من بناء بيت الرب
وأقاموا العراقيل فى سبيل اتمام البناء واشتكوهم الى حكام ذلك الزمان .

وفى نحو ٥٢٠ ق م ملك داريوس حكم فارس وحين رفع اليه أمر
بناء بيت الرب بحث عن الامر بينائه واتضح له أن الملك كورش كان قد
أصدر الامر بذلك فأصدر أمرا مشددا بالسماح لليهود وشيوخهم ببناء
بيت الرب وأمر بمساعدتهم وتقديم المعونة لهم . فتم بناء بيت الرب
ثانية فى السنة السادسة من حكم الملك داريوس فى نحو ٥١٥ قم .

وعاش اليهود في الأرض في المدن التي كان يقيم فيها بيت يهوذا بفيل سبيهم واختلطوا بشعوب الأرض التي كانت قد حلت بها أيام سبيهم . وقيل ان تمضي سنين طويلة وباختلاط الكهنة والشعب بالكنعانيين والحثيين والفرزيين واليبوسيين والعمونيين والموآبيين والمصريين والاموريين وتلهم لهم عادات وتقاليده وعبادات وآلهة مختلفة زاغ الشعب بل وفسد الكهنة «فوجد بين الكهنة من اتخذ نساء غريبة» (عزرا ١٠ : ١٨) « وفي تلك الأيام رأيت في يهوذا قوما يدوسون معاصر في السبت ويأتون بحزم ويحملون حميرا وأيضا يدخلون اورشليم في يوم السبت بخمر وعنب ونين وكل ما يحمل فاشهدت عليهم يوم بيعهم الطعام » (نحميا ١٣ : ١٥) ، « في تلك الأيام أيضا رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشد وديات وعمونيات وموآبيات ونصف كلام بنيهم باللسان الأشدودي ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودي بل بلسان شعب وشعب » (نحميا ١٣ : ٢٣ - ٢٤) بل ان كهنتهم أيضا ساكنوا نساء أجنبيات من الشعوب المختلطة بهم « اذكرهم يا الهى لأنهم نجسوا الكهنوت وعهد الكهنوت واللاويين » (نحميا ١٣ : ٢٩) واذا هكذا أصبح حال الكهنة أهل الدين والحفظة لعهود الرب وكلماته فماذا اذن كان حال الشعب ؟ واذا كان ما يصفه نحميا الكاهن هو حال كهنة الشعب في أيامه ، أيام إعادة بناء بيت الرب فماذا كان حالهم بعد حوالي ٥٠٠ عام وكيف كان حال الشعب تحت قيادتهم ؟

(ج) العهد الجديد :

ولد السيد المسيح في بيت لحم أرض يهوذا (في أيام هيرودس الملك . ولما سمع هيرودس بمولده انزعج جدا لان المجوس الذين رأوا نجمة في المشرق وأتوا ليسجدوا له جاءوا الى اورشليم . يسألون « قائلين أين هو المولود ملك اليهود » (متى ٢ : ٢) فجمع هيرودس كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم أين يولد المسيح « فقالوا له في بيت لحم اليهودية . لانه هكذا مكتوب بالنبي . وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن هناك يخرج مدبر يرعى شعبي اسرائيل » (متى ٢ : ٥ - ٦) وسعى هيرودس لاهلاك المولود ، ولكن ملاك الرب نبه يوسف فخرج به وبأمه مريم العذراء الى أرض مصر .

وبعد موت هيرودس عاد يوسف ومريم ومعهما المولود الى الأرض المقدسة وسكن في نواحي الجليل « وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة » . لكي يتم ما قيل بالأنبياء أنه سيدعي ناصريا « (متى ٢ : ٣)

أتى السيد المسيح ليكمل رسالة موسى النبي وليكمل الناموس
الالهى (لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء • ما جئت لأنقض
بل لأكمل • فانى الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والارض لا يزول
حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل » (متى ١٧: ٥ -
١٨) •

وكان مجيء السيد المسيح برسالته ليتم به وفيه غفران خطايا
الشعب التى ارتكبها فى الارض المقدسة وبذلك يصبح مستحقا أن يكون
شعب الله تجوز له النعم التى وعده بها سبحانه « اذهب وناد بهذه الكلمات
نحو الشمال • وقل ارجعى أيتها العاصية اسرائيل يقول الرب • لا أوقع
غضبى بكم لأنى (رءوف يقول الرب • لا أحقد الى الأبد • اعرفى فقط أنك
الى الرب الهك أذنبت وفرقت طرقك للغرباء تحت كل شجرة خضراء
ولصوتى لم تسمعوا يقول الرب • ارجعوا أيها البنون العصاة يقول الرب
لأنى سدت عليكم فأخذكم واحدا من المدينة واثنين من العشيرة وآتى بكم
الى صهيون وأعطيتكم رعاة حسب قلبى فيرجعونكم بالمعرفة والفهم » (ارميا
١٢: ٣-١٥) وبعد أن تغفر لهم خطاياهم بالمسيح « فى تلك الايام يذهب
بيت يهوذا مع بيت اسرائيل ويأتيان معا من أرض الشمال الى الأرض التى
ملكتم آباءكم اياها » (ارميا ٣: ١٨) ولكن يقول السيد المسيح « وينبغى أن
يكرز أولا بالانجيل فى جميع الأمم » (مرقس ١٣ : ١٠) •

وعرفت رسالة السيد المسيح برسالة الفداء وبرسالة التوبة
« ومفديو الرب يرجعون ويأتون الى صهيون بترنم وفرح أبدي على رؤوسهم
ابتهاج وفرح يدركانهم ويهرب الحزن والتنهيد » (اشعيا ٣٥ : ١٠) ،
« هكذا يقول الرب فاديكم قدوس اسرائيل » (اشعيا ٤٣ : ١٤) وأيضا
« ويأتى الفادى الى صهيون وإلى التائبين عن المعصية فى يعقوب يقول
الرب » (اشعيا ٥٩ : ٢٠) •

كما عرفت أيضا برسالة البر وبرسالة الخلاص « وقال لى انما
بالرب البر والقوة اليه يأتى ويخزي جميع المغتاضين عليه • بالرب يتبرر
ويفتخر كل نسل اسرائيل » (اشعيا ٤٥ : ٢٤ - ٢٥) ، « ذكرنى فنتحاكم
معا • حدث لكى تتبرر • أبوك الأول أخطأ ووسطاؤك عصوا على » (اشعيا
٤٣ : ٢٦-٢٧) « هو ذا الرب قد أخبر الى أقصى الارض قولوا لابنة صهيون
هوذا مخلصك آت ها أجرته معه وجزاؤه أمامه • ويسمونه شعبا مقدسا
مفدىي الرب وأنت تسمين المطلوية المدينة غير المهجورة » (اشعيا
٦٢ : ١١-١٢) ، « ها أيام تاتى يقول الرب واقم لناود غصن بر فيملك »

هلك وينجح ويجرى حقا وعدلا فى الارض . فى أيامه يخلص يهوذا ويسكن اسرائيل آمنا وهذا هو اسمه الذى يدعونه به الرب برنا . لذلك ها أيام تأتي يقول الرب ولا يقولون بعد حى هو الرب الذى أوصد بنى اسرائيل من أرض مضر . بل حى هو الرب الذى أوصد وأتى بنسل بيت اسرائيل من أرض الشمال ومن جميع الاراضى التى طردتم اليها فيسكنون فى أرضهم» (ارميا ٢٣: ٥-٨) ، «احتمل غضب الرب لاني أخطأت اليه حتى يقيم دعواى ويجرى حقى سيخرجنى الى النور سأنظر بره» (مينا ٧: ٩) وأيضا قال عنه ملاك الرب عند مولده «فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب» انه ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب» (لوقا ٢ : ١٠ - ١١) .

كما سميت رسالة السيد المسيح بالعهد الجديد « ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت اسرائيل وبيت يهوذا عهدا جديدا . ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين تقضوا عهدي فرفضتهم يقول الرب . بل هذا هو العهد الذى أقطعه مع بيت اسرائيل بعد تلك الايام يقول الرب . أجعل شريعتى فى داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم الها وهم يكونون لى شعبا» (ارميا ٣١ : ٣١ - ٣٣) .

وبذلك يكون اتباع رسالة السيد المسيح شرطا واجبا لتمحي ذنوب بنى اسرائيل جميعا سواء كانوا من بيت اسرائيل أو بيت يهوذا ويدخلون فى العهد الجديد مع الرب «أنا أولا قلت لصهيون هاهاهم ولأورشليم جعلت مبشرا» (اشعيا ٤١: ٢٧) ، «لانه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك بل يرويان الارض ويجعلانها تلد وتنبى وتعطى زرا وخبزا للأكل هكذا تكون كلمتى التى تخرج من فمى لا ترجع الى فارغة بل تعمل ما سررت به وتنجح فيما أرسلتها له» (اشعيا ٥٥: ١٠-١١) ، « هكذا قال الرب . امنع صوتك عن البكاء وعينيك عن الدموع لانه يوجد جزاء لعملك يقول الرب فيرجعون من أرض العدو . ويوجد رجاء لآخرتك يقول الرب . فيرجع الابناء الى تخمهم» (ارميا ٣١: ١٦-١٧) ، « وأردسبى يهوذا ونسبى اسرائيل وأبنيهم كالاول وأطهرهم من كل آثمهم الذى أخطأوا به الى وأغفر كل ذنوبهم التى أخطأوا بها الى والتى عصوا بها على» (ارميا ٣٣: ٧-٨) ، « فأخذكم من بين الامم وأجمعكم من جميع الاراضى وأتى بكم الى أرضكم . وأرش عليكم ماء طاهرا فتطهرون من كل نجاستكم ومن كل أصنامكم أطهركم وأعطيكم قلبا جديدا وأجعل روحا جديدة فى داخلكم وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم»

(حزقيال ٣٦ : ٢٤ - ٢٦) ، «هكذا قال السيد الرب فى يوم تطهيرى اياكم من كل آثامكم أسكنكم فى المدن فثبني الخرب ٠٠» (حزقيال ٣٣:٣٦) ، «وقل لهم هكذا قال السيد الرب ٠ هأنذا آخذ بنى اسرائيل من بين الامم التى ذهبوا اليها وأجمعهم من كل ناحية وآتى بهم الى أرضهم ٠ وأصيرهم أمة واحدة فى الارض على جبال اسرائيل وملك واحد يكون ملكا عليهم ولا يكونون بعد أمتين ولا ينقسمون بعد الى مملكتين ٠ ولا يتنجسون بعد بأصنامهم ولا برجاساتهم ولا بشيء من معاصيهم بل أخلصهم من مساكنهم التى فيها اخطأوا وأطهرهم فيكونون لى شعبا وأنا أكون لهم الها» (حزقيال ٣٧ : ٢١-٢٣) ، «ولا أحجب وجهى عنهم بعد لانى سكبت روحى على بيت اسرائيل يقول السيد الرب» (حزقيال ٣٩:٢٩) وأيضا «ترنمى يا ابنة صهيون اهتف يا اسرائيل افرحى وابتهجى بكل قلبك يا ابنة اورشليم ٠ قد نزع الرب الاقضية عليك ٠ أزال عدوك ملك اسرائيل الرب فى وسطك ٠ لا تنتظرين بعد سرا» (صنفا ٣ : ١٤ - ١٥) ٠

(د) اليهود والسيد المسيح :

قبل أن يعلن السيد المسيح رسالته كان يوحنا المعمدان الذى جاء بروح ايليا النبى وقوته « هأنذا أرسل اليكم ايليا النبى قبل مجيئ يوم الرب» (ملاخى ٤:٥) وعنه يقول السيد المسيح «ولكنى أقول لكم ان ايليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا ٠ كذلك ابن الانسان أيضا سوف يتألم منهم ٠ حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان» (متى ١٧:١٢-١٣) يدعو اليهود الى التوبة والصلاح فبشرا بقرب قيام السيد المسيح برسالته « قائلا توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » فان هذا هو الذى قيل عنه باشعياء النبى القائل صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب ٠ اصنعوا سبله مستقيمة» (متى ٣:٢-٣) وقال لهم محذرا اياهم من اصرارهم على الضلال «فاصنعوا ثمارا تليق بالتوبة ٠ ولا تفكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا ابراهيم أبا لانى أقول لكم ان الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لابراهيم» (متى ٣:٨-٩) ٠

وبدأ السيد المسيح رسالته فى الجليل يركز ببشارة ملكوت الله ويقول « قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالانجيل » (مرقس ١ : ١٥) ٠

والأصل فى رسالة السيد المسيح أنها موجهة الى بنى اسرائيل لردهم الى حظيرة الرب « فأجاب وقال لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل

الضالة » (متى ١٥ : ٢٤) وحين جمع المسيح تلاميذه وأعطاهم سلطانا على أرواح نجسه حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف « لاؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا الى طريق أمم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا • بل اذهبوا بالحري الى خراف بيت اسرائيل الضالة » (متى ١٠ : ٥-٦) ولما غير الفريسيون تلاميذ المسيح بأنه يأكل مع العشارين والخطاة « فلما سمع يسوع قال لهم لا يحتاج الاصحاء الى طبيب بل المرضى • فاذهبوا وتعلموا ما هو • انى أريد رحمة لا ذبيحة لانى لم آت لادعو أبرارا بل خطاة الى التوبة » (متى ٩ : ١٢-١٣) •

وكانت رسالته السيد المسيح عن المحبة وأولها محبة الرب « فأجابه ان أول كل الوصايا هى اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد وتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هى الوصية الاولى » (مرقس ١٢ : ٢٩-٣٠) وعن المحبة بكل معانيها السامية « قد سمعتم أنه قيل للقديماء لا تقتل • ومن قتل يكون مستوجب الحكم • وأما أنا فأقول لكم ان كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم » (متى ٥ : ٢١) ، « سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك • وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم • باركوا لاعنيكم • أحسنوا الى مبغضيك وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم » (متى ٥ : ٤٣-٤٤)

وكانت رسالته أيضا عن الطهر والعفة « قد سمعتم أنه قيل للقديماء لا تزن وأما أنا فأقول لكم ان كل من ينظر الى امرأة ليشتتها فقد زنا فى قلبه » (متى ٥ : ٢٧-٢٨) ، « وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق • وأما أنا فأقول لكم ان من طلق امرأته الا لعل الزنا يجعلها تزنى • ومن يتزوج مطلقة فانه يزنى » (متى ٥ : ٣١-٣٢) •

وعن السلام والتسامح « سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن • وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر • بل من لطمك على خدك الايمن فحول له الآخر أيضا » (متى ٥ : ٣٨-٣٩) ، « وان لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضا زلاتكم » (متى ٦ : ١٥) •

وعن البر بالفقراء « من سألك فاعطه • ومن أراد أن يقترب منك فلا ترده » (متى ٥ : ٤٢) وأيضا « قال له يسوع ان أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى » (متى ١٩ : ٢١) •

وعن التواضع وصفاء النفس « وأما أنت فمتى صنعت صدقة

فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك • لكى تكون صدقتك فى الخفاء •
فأبوك الذى يرى فى الخفاء هو يجازيك علانية» (متى ٦: ٣-٤) ، « وبل
من أراد أن يكون فيكم عظيما فليكن لىكم خادما • ومن أراد أن يكون
فيكم أولا فليكن لىكم عبدا » (متى ٢ : ٢٦ - ٢٧) « وأكبركم يكون خادما
لكم فمن يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع » (متى ٢٣ : ١١ -
١٢) وأيضا « وقال الحق أقول لكم ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الاولاد
فلن تدخلوا ملكوت السموات » (متى ١٨ : ٣) •

وعن الزهد فى المال ابتغاء وجه الله « لا يقدر أحد أن يخدم سيدين
لانه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلزم الواحد ويحتقر الآخر
لا تقدر أن تخدموا الله والمال » (متى ٦ : ٢٤) •

وآمن كثيرون من عامة الشعب برسالة السيد المسيح لأنها كانت
قريبة الى نفوسهم والى مشاعرهم « وتبعته جموع كثيرة فشسفاهم
جميعا » (متى ١٢ : ١٥) وكان لتعاليمه ومعجزاته أثر طيب فى عامة
الشعب حتى كاد الشعب كله يصير اليه ويتبع تعاليمه • مما أثار
تأثرة رؤساء الكهنة وأتباعهم من الكتبة والفريسيين الذين كانوا يحتكرون
صناعة الدين يتخذون منها حرفة للكسب وسلطانا على الشعب « فانهم
يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على اكتاف الناس وهم
لا يريدون أن يحركوها بأصابعهم » (متى ٢٣ : ٤٠) « ويحبون المتكأ الاول
فى الولاثم والمجالس الاولى فى المجامع والتحيات فى الاسواق وأن يدعواهم
الناس سيدي سيدي » (متى ٢٣ : ٦ - ٧) •

وعرف الشعب صوت الرب واحس برحمته وحبه خلال رسالة
المسيح « قال لهم وأنتم من تقولون أنى أنا • فاجاب سمعان بطرس
وقال أنت هو المسيح ابن الله الحي » (متى ١٦ : ١٥ :) وأيضا
عندما دخل الى اورشليم راكبا الأتان « فقالت الجموع هذا يسوع النبي
الذى من ناصرة الجليل » (متى ٢١ : ١١) •

• ولما دخل المسيح الى اورشليم « ودخل يسوع الى هيكل الله وأخرج
الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسى
باعة الحمام وقال لهم • مكتوب بيتى بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه
مغارة لصوف » (متى ٢١ : ١٢ - ١٣) •

وغضب رؤساء الكهنة والكتبة لان النصيب الاكبر فى تلك التجارة
كان لهم ولاقاربهم ومن يلوذ بهم من التوابع ، وزاد من غضبهم ماعمله

المسيح من معجزات في ذلك الوقت » وتقدم اليه عمى وعرج في الهيكل فشفاهم » (متى ٢١ : ١٤) وأيضا مارأوه في الشعب من حب له وتعلق برسالته . وتقدم اليه رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب يسألون « باى سلطان تفعل هذا ومن أعطاك هذا السلطان » (متى ٢١ : ٢٣) فسألهم بدوره عن معمودية يوحنا من أين كانت من السماء أم من الناس . فأفحمهم وأسكتهم لأنهم لم يؤمنوا بيوحنا أيضا ولكنه كان عند الشعب مثل نبي ، « وقال لهم يسوع الحق أقول لكم ان العشارين والزواني يسبقونكم الى ملكوت الله » (متى ٢١ : ٤٣) وقال لهم أيضا « لذلك أقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره » (متى ٢١ : ٤٣) « ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه يتكلم عليهم . واذا كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع لأنه كان عندهم مثل نبي (متى ٢١ : ٤٥ - ٤٦) .

ولما اقترب عيد الفصح » حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب الى دار رئيس الكهنة الذى يدعى قيافا وتشاوروا لكى يمسكوا يسوع ويقتلوه » (متى ٢٦ : ٣ - ٤) .

وأصبح اسم يهوذا الأسخريوطى علما على الخيانة والغدر بأوسخ معانيهما ولأدنا المقاصد . ففي مساء عيد الفصح كان يهوذا يأكل مع السيد المسيح وفي الليل أسلمه الى أعداء الرب . « وفيما هو يتكلم اذ يهوذا واحد من الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب » (متى ٢٦ : ٤٧) .

وأصبحت قبلة يهوذا رمزا أبديا لخيانته « والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلا الذى أقبله هو هو » أمسكوه » (متى ٢٦ : ٤٨) .

ولما أمسكوا السيد المسيح » واذا واحد من الذين مع يسوع مد يده واستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه » (متى ٢٦ : ٥١) فقال له يسوع « سيفك الى مكانه لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون » (متى ٢٦ : ٥٢) .

ومضوا بالمسيح الى قيافا رئيس الكهنة حيث اجتمع الكتبة والشيوخ » ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه فأوثقوه ومضوا به ودفعوا به الى بيلاطس البنطى الوالى » (متى ٢٧ : ١ - ٢) ولما وجد الوالى أن المسيح لم يرتكب ذنبا يؤخذ به أراد أن يطلقه » وكان الوالى معتادا في العيد أن يطلق للجميع

أسيرا واحدا من أرادوه » (متى ٢٧ : ١٥) « ولكن رؤساء الكهنة
والشيوخ حرضوا الجموع على أن يطلبوا بارأباس ويهلكوا يسوع »
(متى ٢٧ : ٢٠) « قال لهم بيلاطس فماذا أفعل بيسوع الذى يدعى
المسيح . قال له الجميع ليصلب » (متى ٢٧ : ٢٢) .

ولما رأى الوالى أن لا نتيجة الا زيادة الشعب أخذ ماء وغسل يديه
أمام الجمع المحتشد « قائلا انى برىء من دم هذا البار . أبصروا أنتم »
(متى ٢٧ : ٢٤) « فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى
أولادنا » (متى ٢٧ : ٢٥) .

الباب الخامس

سفك الدم المقدس

(١) لماذا رفض اليهود رسالة المسيح ؟

ان الشعب الذى خرج منه « دزرائيللى » بالرأسمالية الامبراطورية، هو الشعب الذى خرج منه « كارل ماركس » بالشيوعية ، وهو الشعب نفسه الذى كان « قيافا » عنتوان الزندقة والخيانة والكذب رئيسا لكهننته عند ظهور السيد المسيح وتبشيره برسالته . وكان اليهود قد مضى عليهم زهاء خمسة قرون فى أرض يهوذا بعد عودتهم من السبى ، وكان الكهنة وأتباعهم من الكتبة والفريسيين والصدوقيين هم المتسلطون على الشعب يسرون حياته ومقدراته-وفق شريعة موسى وأحكام الله التى نقلها اليهم النبيون ، واعتبروا أنفسهم الحفاظ على الشريعة وعلى تنفيذها . كما كانوا يقومون بأعمال القضاة بين الناس من شعبهم وجباية العشور منهم ، وكذلك الاشراف على القرايين والذبائح بيعا وشراء وتقديما . بل انه كان لهم سلطة الحياة أو الموت على أفراد شعبهم .

وظهر السيد المسيح ، وبدأ رسالته وبدأ تعاليمه واتجه بها جميعا الى الشعب رأسا ، الى الفقراء والمحتاجين والعشارين والخطاة . اتجه اليهم يعلمهم رسالة المحبة والسلام ويصنع لهم وفيهم المعجزات « العمى يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون » (متى ١١ : ٥) لايبالى أن صنع ذلك فى السبت المقدس أو داخل هيكل الرب المقدس . لا يطلب عن ذلك أجرا إلا رد الخطاة والضالين الى حظيرة الرب ليعملوا بأحكامه ووصاياه ، لا بحرفياتها

الجامدة كما يصبر الكهنة والكتبة ، ولكن بروحانياتها ومعانيها السامية .
وكان المسيح فقيرا متواضعا لا سلطان له من مال أو جاه ، واتخذ
له تلاميذ من الصيادين وعامة الشعب ، وكانت الجموع التي تحيط به
وتستمع اليه من صميم الشعب . وصار يعلمهم بالحكمة والأمثال وكانوا
يحبون تعاليمه ويصفون الى كلماته « لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان
وليس كالكتبة » (متى ٧ : ٢٩) « فتبعته جموع كثيرة من الجليل
والمدن العشر وأورشليم واليهودية ومن عبر الأردن » (متى ٤ : ٢٥)
وأصبح نجاح رسالته يهدد الكهنة بتضاؤل نفوذهم وقرب زوال النعمة
عنهم وعن تابعيهم .

ورأى المسيح أن الكهنة والكتبة والفريسيين والصدوقيين هم علة
ضلال هذا الشعب « لما رأى الجموع تحزن عليهم اذ كانوا منزعجين
ومنطرحين كغنم لا راعي لها » (متى ٩ : ٣٦) فوجه الى الكهنة وأتباعهم
سهام نقده « لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المرءون لأنكم تغلقون
ملكوت السماوات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين
يدخلون » (متى ٢٣ : ١٣) ، وأنذرهم « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيين
المرءون لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتركتهم أثقل الناموس
الحق والرحمة والايمان . كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك .
أيها القادة العميان الذين يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل » (متى
٢٣ : ٢٤) . وكشف عن حقيقتهم للشعب « هكذا أنتم من خارج
تظهرون للناس أبرارا ولكنكم من داخل مشحونون رياء واثما » (متى
٢٣ : ٢٨) . واستمطر عليهم وعلى جيلهم عاقبة شرورهم واثمهم وشرور
آبائهم وآثامهم « لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الارض من دم هابيل
الصديق الى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح .
الحق أقول لكم أن هذا كله يأتى على هذا الجيل » (متى ٢٣ : ٣٥ -
٣٦) . كما أشهد الجموع على معصية الجيل واصرارهم على المضى فى
تمردهم ، وتنبا بالعقاب الذى كان حريا أن ينزل بأورشليم وبخراب
بيت الرب فيها « يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة
المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها
تحت جناحيها ولم تريدوا . هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا » (متى ٢٣ :
٣٧ و ٣٨) وعن هيكل بيت الرب « فقال لهم يسوع أما تنظرون جميع
هذه . الحق أقول لكم أنه لا يترك هنا حجر على حجر لا يثقب »
(متى ٢٤ : ٢) .

ولما دخل المسيح هيكل السرب في اورشليم أخرج منه الباعة
والمشتريين وقلب موائد الصيارفة وانتهرهم جميعا لأنهم أحالوا هيكل
الرب وبيت الصلاة الى سوق تجارة مارسوا فيه الربح والمساومة .

وحاول الكهنة والكتبة والفريسيون والصدوقيون كل بدوره أن
يجادلوا المسيح في تعاليمه أو أن يخطئوه في أعماله ولكن كان من المحال
أن يتناول منطقهم المادى الهزيل الى مقام الرسالة السماوية مما جعلهم
يتضائلون وتضيع هيبتهم في الشعب أمام اجابات المسيح البليغة
وأستلته المعجزة « فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة » ومنذ ذلك اليوم
لم يجسر أحد أن يسأله البتة « (متى ٢٢ : ٤٦) » .

وحاولوا أن يوقعوا بين تعاليم المسيح وبين أحكام الحكام ، وكانت
البلاد تحت حكم الرومان تدفع الجزية لقيصر ، فسألوه أن كان يجوز دفع
الجزية لقيصر فكان جوابه على سؤالهم هذا حكمة خالدة « فقال لهم اعطوا
ما لقيصر لقيصر وما لله لله » (متى ٢٢ : ٢١) .

ولاقت رسالة السيد المسيح ولاقت تعاليمه وبشارته نجاحا سريعا
كان حريا أن يقضى على سلطة الكهنة وكتبة الشعب والفريسيين
والصدوقيين وهن سار في ركابهم متاجرا بالدين . ان أجيالهم ترمعجزات
المسيح آمنت برسائله بعد سنين طويلة من انقضاء زمان وجوده على الأرض ،
فليس غريبا أن يؤمن الجيل الذى عاين المعجزات بنفسه وسمع العظات
بأذنيه أو عاصرها بالرسالة والمنزل بها . وبالفعل أصبح المسيح فى عيون
الشعب مثل نبي (متى ٢١ : ٤٥) . وحينما تأمر رؤساء الكهنة وشيوخ
الشعب ليمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه خافوا أن يقدموا على ذلك فى العيد
وعلى الملأ أو فى وضح النهار لئلا يكون شغب فى الشعب (متى ٢٦ : ٥) .
« وكان يعلم كل يوم فى الهيكل وكان رؤساء الكهنة والكتبة مع وجوه
الشعب يطلبون أن يهلكوه » ولم يجدوا ما يفعلون لأن الشعب كله كان
متعلقا به ويسمع منه « (لوقا ١٩ : ٤٧ ر ٤٨) » .

وكان الكهنة يعلمون تمام العلم أن رسالة السيد المسيح حق لا مرية
فيها وكانت الأجيال تنتظر المسيح « ملك اسرائيل » على حسب النبؤات
الكثيرة المتلاحقة التى تنبأ بها أنبياء بنى اسرائيل ومن كلام الرب سبحانه
على أفواه هؤلاء الأنبياء . كذلك كانوا هم أنفسهم شهود عيان لما يجرى
تحت أبصارهم من معجزات وما ينتهى الى آذانهم من حكم وعظات . ولكن
النظرة المادية التى أصبحت تسيطر على عقول هؤلاء الكهنة وأفكارهم ،
والتي أصبحت مقياسا لصلاتهم بالعالم أو قرت فى أذهانهم أنه سيكون

ملكا أرضيا بسلطان عظيم وجنود وسيوف تقيمه وتحميه ، كما صورت لهم ما سيكون عليه حالهم تحت هذا الحكم من منعة السلطان وزيادة النفوذ وعلو المكانة فى الشعب وزيادة فى الجاه والمال • وأضلهم الله فنسوا ما قاله سبحانه عن خلاص بيت يهوذا بعد رجوعهم من السبى «وأما بيت يهوذا فأرحمهم وأخلصهم بالرب آلهم ولا أخلصهم بقوس وبسيف وبحرب وبخيل وبفرسان » (هوشع ١ : ٧) •

وتغلبت الماديات على الروحانيات وبلغ الحقد والكراهة للكهنة للسيد المسيح ورسالته أن رسموا الخطة للخلاص منه « وكان قيافا هو الذى أشار على اليهود أنه خير أن يموت انسان واحد عن الشعب » (يوحنا ١٨ : ١٤) • فalcوا على يهوذا الأسخريوطى أحد تلاميذ المسيح شباك مكرهم وأقنعوه بأن يخون معلمه ويسلمه اليهم ليلا •

وخرجوا عليه بالسيوف والعصى « فى تلك الساعة قال يسوع للجموع كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى لتأخذونى • كل يوم كنت أجلس معكم أعلم فى الهيكل ولم تمسكونى » (متى ٢٦ : ٥٥) • وكان الكهنة يعلمون أن المسيح الذى نادى برسالة المحبة والسلام لن يقاوم الشر بالشر • وأن الأمر لو قوبل بالمعجزة لما كان لهذه العصى والسيوف قبل بها « أتظن أنى لا أستطيع الآن أن أطلب الى أبى فيقدم لى أكثر من اثنى عشر جيشا من الملائكة • فكيف تكمل الكتب أنه هكذا ينبغي أن يكون » (متى ٢٦ : ٣٥) • ولكن كانت المظاهرة المسلحة لارهاب تلاميذ المسيح وتخويف الشعب « لانه مكتوب أنى أضرب الراعى فتتبدد خراف الرعية » (متى ٢٦ : ٣١) وعندما قبضوا على المسيح حينئذ تركه التلاميذ وهربوا • بل ان بطرس أحد تلاميذه ، وكان قد تبعه الى بيت رئيس الكهنة ، أنكر أنه حتى يعرف المسيح حينما واجهوه أنه كان مع يسوع الجليل •

(ب) مسئولية اليهود عن سفك الدم المقدس

بعد مرور قرابة عشرين قرنا من الزمان على رسالة السيد المسيح وامتناع اليهود عن الايمان بها • تحاول الصهيونية العالمية اليوم أن تزيل من سجل تاريخ الاحداث حدثا هاما وجريمة منكرا أنهى بها اليهود رفضهم للرسالة السماوية التى جاء بها السيد المسيح ليعيدهم الى حظيرة الايمان ويكمل بها رسالة السلام للبشر • والجريمة التى ارتكبها اليهود ليتخلصوا من السيد المسيح ورسالته بأن أسلموه الى الموت لم تكن أول

جريمة سفك لدماء الأنبياء الطاهرة في تاريخ بني اسرائيل فان الله سبحانه وتعالى شهد عليهم بذلك « لذلك قل لهم • هكذا قال السيد الرب تأكلون بالدم وترفعون عيونكم الى أصنامكم وتسفكون الدم • أفترثون الأرض » (حزقيال ٣٣ : ٢٥) كما شهد عليهم السيد المسيح نفسه فقال وهو يتوعدهم بغضب الله عليهم « لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا بن برخيسا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح » (متى ٢٣ : ٣٥) وأيضا وهو ينذر اورشليم بالمصير الذى سيصيبها « يا اورشليم يا اورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها » (متى ٢٣ : ٣٧) •

وتظن الصهيونية أن مرور هذا الوقت الطويل على هذا الحدث الكبير قد يكون عاملا يمكن معه مغالطة العالم في حقيقة أثبتتها أسانيد من كلام الله سبحانه وما أتى على لسان الأنبياء والمسيح وما رواه الشهود العيان من تلاميذ المسيح •

ولعل ما وصلت اليه الصهيونية من نفوذ وتأثير ، وخصوصا في العالم الغربى ، قد استطاع أن يحرك بعض النفوس في محاولة لمحو تلك الوصمة الأبدية التى وصم بها اليهود من سجل شرورهم وآثامهم •

ان العالم الغربى وان كان يضم كثرة من المسيحيين ، الا أنه لا يمكن أن يفرد فيه نفر في محاولة لتغيير أساس ثابت من أسس الايمان بالعقيدة المسيحية ، كما لا يمكن لجماهير المسيحيين في العالم أن يسمحوا بالعبث بمقومات عقيدتهم مهما كانت الدوافع الى ذلك •

ان الدين منطق وعقيدة ، منطق يقبله العقل ويستريح اليه ، وعقيدة تتكون مما يرد عنها في الكتب السماوية ، كلمات الله التى لا تتغير ولا تتبدل • فإذا امتزج المنطق بالعقيدة أصبح الدين ايمانا يسكن القلب ويملا النفس وتفيض به كل المشاعر النبيلة في المؤمن •

وفى أسفار العهد الجديد من الكتاب المقدس وصف شامل كامل للأحداث التى صارت وللأقوال التى دارت حول النهاية التى رتبها كهنة اليهود ورؤساء الشعب منهم والذى ساقوا فيها عامة الشعب معهم يؤازرهم للتخلص من السيد المسيح ورسالته على النحو الوارد بها •

ويقول متى الرسول في انجيله عن هذه اللحظات الحاسمة حينما تقابل رئيس الكهنة قيافا مع السيد المسيح وهو مقبوض عليه في داره « وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع

لكي يقتلوه » (متى ٢٦ : ٤٩) ثم يستطرد « فقام رئيس الكهنة وقال له أما تجيب بشيء • ماذا يشهد به هذان عليك • وأما يسوع فكان ساكتا • فأجاب رئيس الكهنة وقال له استجلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله • قال له يسوع أنت قلت • وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة وأتيا على سحاب السماء • فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلا قد جدف • ما حاجتنا بعد الى شهود • ها قد سمعتم تجديفه • ماذا ترون • فأجابوا وقالوا انه مستوجب الموت • (متى ٢٦ : ٦٢ - ٦٦) •

أما لوقا فقال في ذلك « ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه الى مجمعهم • قائلين ان كنت أنت المسيح فقل لنا • فقال لهم ان قلت لكم لاتصدقون • وان سألت لاتجيبونني ولا تطلقونني • منذ الآن يكون ابن الانسان جالسا عن يمين قوة الله • فقال : الجميع أفأنت ابن الله • فقال لهم أنتم تقولون أني أنا هو • فقالوا ما حاجتنا بعد الى شهادة لأننا نحن سمعنا من فمه » (لوقا ٢٢ : ٦٦-٧١) •

ويقول يوحنا « فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه • أجابه يسوع أنا كلمت العالم علانية • أنا علمت كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود دائما • وفي الخفاء لم أتكلم بشيء • لماذا تسألني أنا • اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم • هو ذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا • ولما قال هذا لطم يسوع واحد من الخدم كان واقفا قائلا أهكذا تجاوب رئيس الكهنة • أجابه يسوع ان كنت قد تكلمت رديا فاشهد علي الردي وان حسنا فلماذا تضربني • وكان حنان قد أرسله موثقا الى قيافا رئيس الكهنة » (يوحنا ١٨ : ١٩ - ٢٤) •

ويقول مرقس الرسول « فمضوا بيسوع الى رئيس الكهنة فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة • وكان رؤساء الكهنة والمجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا • لأن كثيرين شهدوا عليه زورا ولم تتفق شهاداتهم » (مرقس ١٤ : ٥٣ - ٥٦) ويمضي في كلامه فيقول « فقام رئيس الكهنة في الوسط وسأل يسوع قائلا أما تجيب بشيء • ماذا يشهد به هؤلاء عليك • أما هو فكان ساكتا ولم يجب بشيء • فسأله رئيس الكهنة أيضا وقال له أنت المسيح ابن المبارك • فقال يسوع أنا هو • وسوف تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة وأتيا في سحاب السماء • فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال

ما حاجتنا بعد الى شهود . قد سمعتم التجساديف ما رأيكم . فجميع
حكموا عليه أنه مستوجب الموت » (مرقس ١٤ : ٦٠ - ٦٤) .

أما عن تقديم السيد المسيح الى الوالى فيقول متى الرسول « فوقف
يسوع أمام الوالى فسأله الوالى قائلا أنت ملك اليهود . فقال له يسوع
أنت تقول . وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب
بشيء . فقال له بيلاطس أما تسمع كم يشهدون عليك . فلم يجبه ولا عن
كلمة واحدة حتى تعجب الوالى جدا . وكان الوالى معتادا فى العيد أن
يطلق للجمع أسيرا واحدا من أرادوا . وكان لهم حينئذ أسير مشهور
يسمى باراباس . ففينا هم مجتمعون قال لهم بيلاطس من تريدون أن
أطلق لكم . باراباس أو يسوع الذى يدعى المسيح . لأنه علم أنهم
أسلموه حسدا » (متى ٢٧ : ١١ - ١٨) ويمضى متى فى روايته فيقول
ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجموع على أن يطلبوا باراباس
ويهلكوا يسوع . فأجاب الوالى وقال لهم من من الاثنين تريدون أن أطلق
لكم . فقالوا باراباس . قال لهم بيلاطس فماذا أفعل بيسوع الذى يدعى
المسيح . قال له الجميع ليصلب . فقال الوالى أى شر عمل . فكانوا
يزدادون صراخا قائلين ليصلب . فلما رأى بيلاطس أنه لاينفع شيئا بل
بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلا انى برىء من
دم هذا البار . أبصروا أنتم . فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى
أولادنا . حينئذ أطلق لهم باراباس وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب »
(متى ٢٧ : ٢٠ - ٢٦) .

ويقول لوقا فى ذلك « فقام كل جمهورهم وجاءوا به الى بيلاطس
وابتدأوا يشتكون عليه قائلين اننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن
تعطى جزية لقيصر قائلا انه هو مسيح ملك . فسأله بيلاطس قائلا أنت
ملك اليهود . فأجابه وقال أنت تقول . فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة
والجموع انى لأجد علة فى هذا الانسان . فكانوا يشهدون قائلين انه يهيج
الشعب وهو يعلم فى كل اليهودية مبتدئا من الجليل الى هنا . فلما سمع
بيلاطس ذكر الجليل سأل هل الرجل جليلي . وجين علم أنه من سلطنة
هيروودس أرسله الى هيروودس اذ كان هو أيضا تلك الايام فى اورشليم .
وأما هيروودس فلما رأى يسوع فرح جدا لأنه كان يريد من زمان طويل
أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة وترجى أن يرى آية تصنع منه . وسأله
بكلام كثير فلم يجبه بشيء . ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه
باشتداد . فاحتقره هيروودس مع عسكره واستهزأ به وألبسه لباسا لامعا
ورده الى بيلاطس » (لوقا ٢٣ : ١ - ١١) ويكمل لوقا روايته فيقول

« فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب • وقال لهم • قد قدمتم الى هذا الانستان كمن يفسد الشعب • وهأنذا قد فحصت قدامكم ولم أجد في هذا الانسان علة مما تشتكون به عليه • ولا هيروودس أيضا • لانى أرسلتكم اليه • وها لا شئ يستحق الموت صنع منه • فأنا أؤدبه وأطلقه • وكان مضطرا أن يطلق لهم كل عيد واحدا • فصرخوا بجملتهم قائلين خذ هذا واطلق لنا باراباس • وذاك كان قد طرح في السجن لاجل فتنة حدثت في المدينة وقتل • فناداهم أيضا بيلاطس وهو يريد أن يطلق يسوع • فصرخوا قائلين اصلبه اصلبه • فقال لهم الثالثة فأى شر عمل هذا • انى لم أجد فيه علة للموت • فأنا أؤدبه وأطلقه • فكانوا يلجئون بأصوات عظيمة طالبين أن يصلب • فقويت أصواتهم وأصوات رؤساء الكهنة • فحكم بيلاطس أن تكون طلبتهم • فاطلق لهم الذى طرح في السجن لاجل فتنة وقتل الذى طلبوه وأسلم يسوع لمشيئتهم » (لوقا ٢٣ : ١٣ - ٢٥) •

ويقول يوحنا عن ذلك « ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا الى دار الولاية • وكان صبح • ولم يدخلوا هم الى دار الولاية لكيلا يتنجسوا فيأكلون الفصح • فخرج بيلاطس اليهم وقال أية شكاية تقدمون على هذا الانسان • أجابوا وقالوا له لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه اليك • فقال لهم بيلاطس خذوه أنتم واحكموا عليه على حسب ناموسكم فقال له اليهود لا يجوز لنا أن نقتل أحدا • ليتم قول يسوع الذى قاله مشيرا الى أية ميتة كان مزمعا أن يموت • ثم دخل بيلاطس أيضا الى دار الولاية ودعا يسوع وقال له أنت ملك اليهود • أجابه يسوع أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عنى • أجابه بيلاطس العلى أنا يهودى • أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك الى • ماذا فعلت • أجاب يسوع مملكتى ليست من هذا العالم • لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يجاهدون لكى لا أسلم الى اليهود • ولكن الآن ليست مملكتى من هنا • فقال له بيلاطس أفأنت اذن ملك • أجاب يسوع أنت تقول انى ملك • لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت الى العالم لأشهد للحق • كل من هو من الحق يسمع صوتى • قال له بيلاطس ما هو الحق • ولما قال هذا خرج أيضا الى اليهود وقال لهم أنا لست أجد فيه علة واحدة • ولكم عادة أن أطلق لكم واحدا في الفصح • أفتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود • فصرخوا أيضا جميعهم قائلين ليس هذا بل باراباس • وكان باراباس لصا • فحينئذ أخذ بيلاطس يسوع وجلده • وضفر العسكر اكليلا من شوك ووضعوه على رأسه والبسوه ثوب أرجوان • وكانوا يقولون السلام يا ملك اليهود وكانوا يلطمونه • فخرج بيلاطس أيضا خارجا وقال لهم هأنذا أخرجكم

اليكم لتعلموا أنى لست أجد فيه علة واحدة . . . فلما رآه رؤساء الكهنة والخدام صرخوا قائلين اصلبه اصلبه . قال لهم بيلاطس خذوه أنتسم واصلبوه لأنى لست أجد فيه علة . أجابه اليهود لنا ناموس وعلى حسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله . فلما سمع بيلاطس هذا القول ازداد خوفا . فدخل أيضا الى دار الولاية وقال ليسوع من أنت . وأما يسوع فلم يعطه جوابا . فقال له بيلاطس أما تكلمنى . ألسنت تعلم أن لى سلطانا أن أصليبك وسلطانا أن أطلقك . فأجاب يسوع لم يكن لك على سلطان البتة لو لم تكن أعطيت من فوق . لذلك الذى أسلمنى اليك له خطية أعظم . من هذا الوقت كان بيلاطس يطلب أن يطلقه ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين ان أطلقك هذا فلست محبا لقيصر . كل من يجعل نفسه ملكا يقاوم قيصر . فلما سمع بيلاطس هذا القول أخرج يسوع وجلس على كرسى الولاية . . فقال لليهود هو ذا ملككم . فصرخوا خذوه اصلبه . قال لهم بيلاطس أصليب ملككم . أجاب رؤساء الكهنة ليس لنا ملك الا قيصر . فحينئذ أسلمه اليهم ليصلب فأخذوا يسوع ومضوا به ، (يوحنا ٩ : ٢٨ - ٤٠ ، ١٠ : ١ - ١٦)

ويقول مرقس الرسول « وللوقت فى الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله وأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه الى بيلاطس . فسأله بيلاطس أنت ملك اليهود فأجاب وقال أنت تقول . وكان رؤساء الكهنة يشتمون عليه كثيرا . فسأله بيلاطس أيضا قائلا أما تجيب بشيء . انظر كم يشهدون عليك . فلم يجب يسوع أيضا بشيء حتى تعجب بيلاطس . . فأجابهم بيلاطس قائلا أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود . لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسدا . فهيح رؤساء الكهنة المجمع لكى يطلق لهم بالحرى باراباس . فأجاب بيلاطس أيضا وقال لهم فماذا تريدون أن أفعل بالذى تدعونه ملك اليهود . فصرخوا أيضا اصلبه . فقال لهم بيلاطس وأى شر عمل . فازدادوا جدا صراخا اصلبه . فبيلاطس اذ كان يريد أن يعمل للجميع ما يرضيهم أطلق لهم باراباس وأسلم يسوع بعد ما جلده ليصلب ، (مرقس ١٥ : ١ - ١٥)

وهكذا قبضوا على المسيح ليقتلوه وكان قرارهم بذلك مبيتا ، وخدموا من كان حاضرا من الشعب وأصلبوه ، فاشتموا معهم فى اثم الجريمة وحمل معهم دم البار المقدس عليه وعلى الأجيال القادمة من نسله .

ولما رأى بيلاطس البنطى الوالى أن المسيح برىء أراد أن يطلق سراحه ، وأن يخلصه من أيدي هؤلاء القتلة ، ولكنهم لم يمكنوه من ذلك

فقد كان الحق قد أعمى قلوبهم فانقلبوا الى وحوش ضارية لا ترضى الا أن تلغ في دم الفريسة حتى ولو كان دما مقدسا .

أما الوالى وقد أيقن ببراءة المسيح فقد رفض أن يتحمل وزر ما هم مقدمين عليه فأشهدهم جميعا على تبرئة نفسه من دم هذا البار .

حتى يهوذا الاسخريوطى الذى خان معلمه وأسلمه ، اعترف بالخطأ الذى ساقوه اليه « حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة الى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلا قد أخطأت اذ سلمت دما بريئا . فقالوا ماذا علينا . أنت أبصر » (متى ٢٧ : ٣ ز ٤) .

ويشهد عليهم بطرس الرسول فيقول « أيها الرجال الاسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال . يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بفوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم كما أنتم أيضا تعلمون . هذا أخذتموه مسلما بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيدي أئمة صلبتموه وقتلتموه » (أعمال ٢ : ٢٢ ر ٢٣) .

ويشاركه فى هذه الشهادة باقى الرسل فيقولون « فأجاب بطرس والرسل وقالوا ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس . اله آبائنا أقام يسوع الذى أنتم قتلتموه معلقين اياه على خشبة . هذا رفعه الله بيمينه رئيسا ومخلصا ليعطى اسرائيل التوبة وغفران الخطايا . ونحن شهود له بهذه الامور والروح القدس أيضا الذى أعطاه الله للذين يطيعونه » (أعمال ٥ : ٢٩ - ٣٢) .

وأما الجنود الذين أسلم اليهم السيد المسيح لينفذوا فيه الحكم الذى صمم عليه الكهنة ورؤساء الشعب وجموعهم ، فانهم لما مضوا بالمسيح الى الموضع المحدد لتنفيذ الحكم فيه « فقال يسوع يا ابتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » (لوقا ٢٣ : ٣٤) .

الباب السادس

بطلان ادعاءات اليهود

يدعى اليهود أنهم شعب الله المختار كما يدعون أن وعد الله لهم
باسكانهم أرض الميعاد لا يزال قائما وأن حقهم في ذلك الوعد مستمر الى
نهاية الزمان .

وعلى ضوء مما سبق شرحه من حقائق يثبت لنا بطلان هذين
الادعائين لعدم استنادهما على أسباب حقيقية فما هي الا مزاعم ركزت
على تحريف واضح للحقائق الكبرى .

في البدء خلق الله الانسان « وقال الله نعمل الانسان على صورتنا
كسبهننا » (تكوين ١ : ٢٦) وأراد الله سبحانه وتعالى بذلك أن يكون
الانسان قريبا الى خالقه محبا له يعمل على مرضاته سبحانه حتى يفوز
بالجزء الحسن « بل كما هو مكتوب ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم
يخطر على بال انسان ما أعده الله للذين يحبونه » (رسالة بولس الاولى
الى كورينثوس ٢ : ٩) .

وأسكن الله آدم وحواء الجنة « وأوصى الرب الاله آدم قائلا من
جميع شجر الجنة تأكل أكلا . وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل
منها . لأنك يوم تأكل منها موتا تموت » (تكوين ٢ : ١٦ ر ١٧) .
وأغرث الحية حواء فأكلت من الشجرة المحرمة وأعطت آدم أيضا فأكل ،
وعلم الله « فأخرجه من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها » (تكوين
٣ : ٢٤) . وكان هذا أول عصيان ارتكبه الانسان نحو الاله خالقه .

وولدت حواء قاين ثم ولدت هابيل . « وحدث من بعد أيام أن قاين قدم من أثمار الأرض قربانا للرب . وقدم هابيل أيضا من أبكار غنمه ومن سمانها . فنظر الرب الى هابيل وقربانه . ولكن الى قاين وقربانه لم ينظر . فاغتاظ قاين جدا وسقط وجهه » (تكوين ٤ : ٣ - ٥) فقتل قاين هابيل . وكان هذا أول شر صنعه الانسان في الأرض .

وولد لآدم ولد ثالث دعا اسمه شيث « ولشيث أيضا ولد ابن فدعا اسمه أنوش . حينئذ ابتدئ أن يدعى باسم الرب » (تكوين ٤ : ٢٦) وكان هذا بدء اعلان الانسان في الأرض ارتباطه بالرب خالقه ليعبده سبحانه .

وكثر نسل آدم وحواء في الأرض . وولد نوح عليه السلام « وكان نوح رجلا بارا كاملا في أجياله . وسار نوح مع الله » (تكوين ٦ : ٩) . ولكن أيضا كما كثر نسل آدم وحواء في الأرض كثر شر الانسان فيها « ورأى الرب أن شر الانسان قد كثر في الأرض . وأن تصور أفكار قلبه . انما هو شرير كل يوم » (تكوين ٦ : ٥) فحزن الرب سبحانه وقرر أن يعاقب الانسان على شره « فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الانسان الذي خلقتة . الانسان مع البهائم ودبابات وطيور السماء لأنني حزنت أنى عملتهم » وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب « (تكوين ٦ : ٨) وكان نوح عليه السلام أول انسان في الأرض سار في طريق الله فكان بذلك أول من وجد نعمة في عيني الرب سبحانه وأحبه واصطفاه .

وأغرق الله الأرض وما عليها بالطوفان واستحميا نوحا وأهله ، ومن كل حي من الطيور ومن البهائم ومن كل دبابات الأرض ذكورا وأنثا . فلما انتهى الطوفان وخرج نوح ومن معه ، بنى مذبحا للرب وقدم له قربانا . فرضى الرب « وبارك الله نوحا وبنيه وقال لهم أثمروا واكثروا واملثوا الأرض » (تكوين ٩ : ١) ووضع الله حكم الأرض تحت سلطة الانسان ، وأعطاه سلطانا على كل ما فيها وأحل له ما عليها من نبات وحيوان ، أما « سافك دم الانسان بالانسان يسفك دمه » لأن الله على صورته عمل الانسان « (تكوين ٩ : ٦) . كذلك أقام الله مع نوح وبنيه ميثاقا لهم ولنسلهم من بعدهم ومع كل الأنفس الحية الخارجين من الفلك « أقيم ميثاقي معكم فلا ينقض كل ذى جسد أيضا بمياه الطوفان . ولا يكون أيضا طوفان ليخرب الأرض » (تكوين ٩ : ١١) وكان هذا أول وعد وأول عهد أقامه الله سبحانه على نفسه نحو الانسان .

ولما كثرت ذرية نوح وبنيه اجتمعوا ليبنوا برجا على الأرض يتصل
بالسما فبلبل الله ألسنتهم وبددهم شيئا وفرقهم فى الأرض « ومن هناك
بددهم الرب على وجه كل الأرض » (تكوين ١١ : ٩) •

ومن ذرية نوح ومن نسل سام اختار الله خليله أبرام واسماه
ابراهيم وباركه فأصبح أبا لكل الأنبياء وبارك فى نسله ووعد واياهم
أرضا تفيض لبنا وعسلا سكنا لابراهيم ولنسله من بعده الى نهاية
الزمان • وكان هذا ثانى وعد وثانى عهد أقامه الله سبحانه على نفسه
نحو الانسان •

ووعد الله حق • والله يوفى بوعده ما شاء •

وكما سبق بيانه تفصيلا أوفى الله بوعده الى ابراهيم عليه
السلام فأسكنه الأرض التى وعد وبارك فيه وفى نسله ، اسماعيل
الذى ارتحل مع هاجر أمه الى أرض فاران (جزيرة العرب) ، فصار
أمة كبيرة وعظيمة وولد له رؤساء « اثنا عشر رئيسا على حسب قبائلهم »
وكثر نسله فأصبح أبا لكل العرب • واسحق ، أسكنه أيضا الأرض
الموعودة وباركه ونقل اليه والى نسله وعده وعهده • ويعقوب الذى أسماه
الله « اسرائيل » ومعناها « جندى الرب » ، سكن الأرض المختارة وتبارك
من الله وولد اثنى عشر ولدا سموا أسباط اسرائيل أو « بنى اسرائيل » ،
شملمهم جميعا وعد الله بالأرض المختارة واختص منهم يوسف وولده
افرايم بالبركة •

ودخل بنو اسرائيل جميعا تحت النبى يشوع بن نون « أرض
الميعاد » وشهد بذلك النبى يشوع « لم تسقط كلمة من جميع الكلام
الصالح الذى كلم به الرب بيت اسرائيل بل الكل صار » (يشوع ٢١ :
٤٥) • • • ولكن كان موسى عليه السلام يعلم بالشر الكامن فى نفوس
هذا الشعب فبعد أن أكمل كتابة كلمات التوراة فى كتاب الى تمامها أمر
اللاويين بوضعها بجانب تابوت عهد الرب لتكون شاهدا على بنى اسرائيل
« لأنى عارف تمردكم ورقابكم الصلبة • هوذا وأنا بعد حى معكم اليوم
قد صرتم تقاومون الرب • فكم بالحرى بعد موتى » (تثنيه ٣١ : ٢٧) •
وحدث منهم ما توقعه موسى بالرغم من تحذير يشوع النبى لهم بعد
دخولهم أرض الميعاد « وتعلمون بكل قلوبكم وكل أنفسكم أنه لم تسقط
كلمة واحدة من جميع الكلام الصالح الذى تكلم به الرب عنكم • الكل صار
لكم • لم تسقط منه كلمة واحدة • ويكون كما أنه أتى عليكم كل الكلام

الصالح الذى تكلم به الرب الهكم عنكم كذلك يجلب عليكم الرب كل الكلام
الردىء حتى يببىدكم عن هذه الأرض الصالحة التى أعطاكم الرب الهكم .
حينما تتغدون عهد الرب الهكم الذى أمركم به وتسيرون وتعبدون آلهة
أخرى وتسجدون لها يحمى غضب الرب عليكم فتببىدون سريعا عن الأرض
الصالحة التى أعطاكم . (يشوع ٢٣ : ١٤ - ١٦) . وهكذا كان .

ان المعاصى تزيل النعم . فبمعصية آدم عليه السلام ، خرج من
الجنة واستحق الموت .

وبمعصية قايين وبدم هابيل ، وجد الشر فى الأرض ، واستحق
الانسان العقاب .

وبمعصية قوم نوح وشرورهم ، أغرقت الأرض بالطوفان ، وهلك
من عليها جميعا .

وبمعصية بنى اسرائيل ، أخرجهم الله من الأرض التى أعطاهم اياها ،
وسباهم وشتتهم فى الأرض .

ولكن كان هناك قبس من أمل وشعاع من رحمة الله أعده سبحانه
للتائبين اليه الذين يعودون لحظيرة الايمان وطريق الرب . . . وكان هذا
هو العهد الجديد . . . وكان موسى قد تنبأ به لبنى اسرائيل « يقيم لك
الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى . له تسمعون » (تثنيه
١٨ : ١٥) وأيضا على لسان الرب « أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم
مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيته به » تثنيه ١٨ :
١٨) وكان هذا النبى رمز للعهد الجديد لبنى اسرائيل « ها أيام تأتى
يقول الرب وأقطع مع بيت اسرائيل وبيت يهوذا عهدا جديدا » (ارميا
٣١ : ٣١) ودعوة للحق لجميع الأمم « أنا الرب قد دعوتك بالبر فامسك
بيدك وأحفظك وأجعلك عهدا للشعب ونورا للأمم » (اشعيا ٤٢ : ٦) .
أرسله الله سبحانه للذين يثوبون من بنى اسرائيل « ويأتى الفادى الز
صهيون وإلى التائبين عن المعصية فى يعقوب يقسول الرب » (اشعيا
٥٩ : ١٠) وليرعى شعب الرب « لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى
اسرائيل » (متى ٢٦ : ٦) فمن يؤمن به وبرسالته يردده الله الى شعبه
« لكن يكون عدد بنى اسرائيل كرمل البحر الذى لا يكال ولا يعد ويكون
عوضا عن أن يقال لهم لستم شعبى يقال لهم أبناء الله الحق » (هوشع
١ : ١٠) أما من لا يسمع له « ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامي
الذى يتكلم به باسمي انا أطالبه » (تكوين ١٨ : ١٩) .

وجاء السيد المسيح فى أرض اليهودية من بيت يهوذا ، وولد فى بيت لحم كما جاء فى النبوءات ، واتجه برسالته للضالين والخطاة من اليهود العائدين من سبايا بيت يهوذا . ففتح عيون العمى ولكن قلوب كهنة اليهود كانت قد عميت ، وأسمع الصم ولكن آذان الكهنة كانت قد وقرت عن صوت الحق ، وأحيا الموتى ولكن لا حياة لمن ينادى . فقد جاء عنهم على لسان الرب فى رؤيا حزقيال النبى وهو بين المسيبين « يا ابن آدم ان الساكنين فى هذه الخرب فى أرض اسرائيل يتكلمون قائلين ان ابراهيم كان واحدا وقد ورث الأرض . ونحن كثيرون . لنا أعطيت الأرض ميراثا . لذلك قل لهم هكذا قال السيد الرب تاكلون بالدم وترفعون عيونكم الى أصنامكم وتسفكون الدم . افترثون الأرض » (حزقيال ٣٣ : ٢٥٢٤) وبهذا المنطق وعلى الرغم من أنهم لم يكونوا من بيت البركة « بيت اسرائيل » وبركة يوسف واقرايم فيه فقد رفض اليهود رسالة الخلاص ولم يدخلوا فى عهد الله الجديد وضاع حقهم فى أن يصبحوا « أبناء الله الحي » وليتهم رفضوا رسالة المسيح بأن أعرضوا عنها ، ولكن وليخرجوا نهائيا من حظيرة الله سفكوا دم ابن الانسان واقترفوا أبشع جريمة فى تاريخ الدنيا منذ قامت والى ان تزول فسفكوا الدم الزكى ، الدم المقدس . وتنبا لهم ولاورشليم ولنهيائتهم السيد المسيح له المجد فقال لتلاميذه « ومتى رأيتم اورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا انه قد اقترب خرابها . حينئذ يهرب الذين فى اليهودية الى الجبال . والذين فى وسطها فليفروا خارجا . والذين فى الكور فلا يدخلونها لأن هذه أيام انتقام لىتم كل ما هو مكتوب . ويقعون بقم السيف ويسببون الى جميع الأمم . وتكون اورشليم مذبوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم » (لوقا ٢١ : ٢٠ - ٢٤) . وعوقب هذا الجيل على اثمه هذا ، ولم يؤخذ بأثم آبائه وشورهم ، لتتم فيهم نبوءة ارميا الكاهن « فى تلك الايام لا يقولون بعد الآباء أكلوا حصرما وأسنان الابناء ضرست . بل كل واحد يموت بذنبه . كل انسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه » (ارميا ٣١ : ٢٩ و ٣٠) . وبذنبهم أخذوا . وفى السنين ٦٦ - ٧٠ لميلاد السيد المسيح وفى الجيل نفسه ، تحقق كل ما تنبا به عليه السلام فاستباححت جيوش روما بلاد اليهودية وقتلوا حوالى ١٠٠٠٠٠ يهودى وخرّبوا اورشليم وبيت الرب ولم تقم له قائمة . أما من نجا من السيف من اليهود فقد سبته جيوش روما وخرجوا بهم من الأرض عبيدا أرقاء فى امبراطورية روما فى طول الأرض . وصدق كلام الله الحق فلم ولن يرثوا الأرض .

كان السيد المسيح قبل أن يغيب عن الدنيا قد ظهر لتلاميذه
« وقال لهم اذهبوا الى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها . من
آمن واعتمد خلص . ومن لم يؤمن يدن » (مرقس ١٦ : ١٥ و ١٦) .
أرسلهم السيد المسيح الى العالم أجمع وأعطاهم سلطانا ببركته وبروح
من الله « وامتلأه الجميع من الروح القدس وابتدءوا يتكلمون بالسنّة
أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا » (أعمال ٢ : ٤) .

وانطلق الرسل يبشرون برسالة المسيح ويدعون الخطاة الى التوبة،
شهودا للسيد المسيح « لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم
وتكونون لى شهودا فى اورشليم وفى كل اليهودية والسامرة والى أقصى
الأرض » (أعمال ٢ : ٨) مبتدئين بأرض اليهودية ذاتها . حيث لا قوا
من كهنة اليهود كل عذاب واضطهاد . فلما صعد بطرس ويوحنا الى
الهيكل يبشرون الشعب برسالة المسيح ويبصرونهم بما فعلوا « ان اله
ابراهيم واسحق ويعقوب اله آبائنا مجد فتاه يسوع الذى أسلمتموه أنتم
وأنكرتموه أمام وجه بيلاطس وهو حاكم باطلاقه . ولكن أنتم أنكرتم
القدوس البار وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل . ورئيس الحياة قتلتموه
الذى أقامه الله من الأموات ونحن شهود لذلك » (أعمال ٣ : ١٣ - ١٥)
ويطلبون توبتهم ناسبين خطاهم السابق الى الجهالة « والآن أيها الاخوة أنا
أعلم أنكم بجهالة عملتم كما عمل رؤساؤكم أيضا . . . فتوبوا وارجعوا
لتمحى خطاياكم لكى تاتى أوقات الفرج من وجه الرب . . . أنتم أبناء
الانبياء والعهد الذى عاهد به الله آباءنا قائلا لابراهيم وبنسلك تتبارك
جميع قبائل الأرض . اليكم أولا أقام الله فتاه يسوع أرسله يبارككم برد
كل واحد منكم عن شروره » (أعمال ٣ : ١٧ - ٢٦) . هاج عليهما الكهنة
« وبينما هما يخاطبان الشعب أقبل عليهما الكهنة وقائد جند الهيكل
والصدوقيون متضجرين من تعليمهما الشعب وندائهما فى يسوع بالقيامة
من الأموات . فالتقوا عليهما أليادى ووضعوهما فى حبس الى الغد لأنه كان
قد صار المساء » (أعمال ٤ : ١ - ٣) . وآمن كثيرون ودخلوا فى العهد
الجديد للرب « وكثيرون من الذين سمعوا الكلمة آمنوا وصار عند الرجال
نحو خمسة آلاف » (أعمال ٤ : ٤) . كما آمن كثيرون من الأمم الأخرى
كال يونانيين والسامريين والرومانيين وغيرهم وانتشرت كلمة الله وتكاثر
« أبناء الله الحى » ممن اختارهم الله . « وأعطيتهم قلبا ليعرفونى أنى أنا
الرب فيكونوا لى شعبا وأنا أكون لهم الها لأنهم يرجعون الى بكل قلبهم »
(أرميا ٢٤ : ٧) ، « التى أيضا دعانا نحن اياها ليس من اليهود فقط
بل من الأمم أيضا . كما يقول فى هوشع أيضا سادعوا الذى ليس شعبى ،

شعبي والتي ليست محبوبة ، محبوبة . ويكون في الموضع الذي قيل لهم فيه لستم شعبي أنه هناك يدعون أبناء الله الحي » (رومية ٩ : ٢٤ - ٢٦) بدون أى تفرقة بين الجميع » لأنه لا فرق بين اليهودى واليونانى لأن ربا واحدا للجميع غنيا للجميع الذين يدعون به . لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص » (رومية ١٠ : ١٢ و ١٣) .

وانتشرت رسالة المسيح عليه السلام فى الأرض وأصبح المؤمنون به وبرسالته كثرة ساحقة ، أما ، وشعوبا ، وجمهورا من الأمم وقبائل الأرض ، أعداد كرمل البحر الذى لا يكال ولا يعد .

أما اليهود فهم حفنة قليلة . ضل آباؤهم من قبل وشهد عليهم السيد المسيح فقال « لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية . وأما الآن فليس لهم عذر فى خطيتهم . الذى يبغضنى يبغض أبى أيضا . لو لم أكن عملت بينهم أعمالا لم يعملها أحد غيرى لم تكن لهم خطية . وأما الآن فقد رأوا وأبغضونى أنا وأبى . لكن لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم أنهم أبغضونى بلا سبب » (يوحنا ١٥ : ٢٢ - ٢٥) .

وما زالوا فى ضلالهم هذا حتى الآن ، يرفضون الاعتراف برسالة الخلاص والغفران كما ينكرون مجىء السيد المسيح الى العالم برسالته ، وينتظرون عبثا . . . المسيح المخلص . وفى ذلك يقول له المجد « انظروا لا يضلکم أحد . فان كثيرون سيأتون باسمى قائلين أنا هو المسيح ويضلون كثيرون » (متى ٢٤ : ٤ و ٥) وأيضا « حينئذ ان قال لكم أحد هو ذا المسيح هنا أو هناك فلا تصدقوا . لأن سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضا . ها أنا قد سبقت وأخبرتكم . فان قالوا لكم ها هو فى البرية فلا تخرجوا . ها هو فى المخادع فلا تصدقوا » (متى ٢٤ : ٢٣ - ٢٦) .

وعلى أساس صحيح من الدين ، فان الآباء ابراهيم واسحق ويعقوب اسرائيل لم يكونوا يهودا . ولكنهم ، كأبيهم نوحا عليه السلام ، كانوا سائرين مع الله خالقهم ، يعرفونه ويحبونه ، يعملون على طاعته ويعبدونه ، فأحبهم سبحانه ورعاهم وعاهدهم وأوفى لهم ولنسلهم من المؤمنين بما وعد وعاهد ، ان وعد الله حق .

وعلى أساس من الدين ، فان منطق المؤمنين وعقيدتهم لا يسمحان لهم أن يخدعوا بالباطيل ، فليس صحيحا أن اليهود شعب الله المختار .

وليس صحيحا أن بين الله سبحانه وتعالى وبين اليهود وعد أو عهد قائم .

أما عن السيد المسيح الذي رفضه اليهود ورفضوا الايمان برسالته ، فقد بشر به ملاك الرب سبحانه « فقال لها الملاك لا تخافى يا مريم لانك وجدت نعمة عند الله . وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع . هذا يكون عظيما وابن العلي يدعى وبعطيه الرب الاله كرسى داود أبيه . ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ولا يكون للسكة نهاية » (لوقا ١ : ٣٠ - ٣٣) .

وأما عن بيت قدس الرب (١) الذى يدعى اليهود حقهم فى الانفراد به ، فيقول الله سبحانه عنه « وأبناء الغريب الذين يقترون بالرب ليخدموه وليحيوا اسم الرب ليكونوا له عبيدا كل الذين يحفظون السبت لئلا ينجسوه ، وهم يتمسكون بعهدى . آتى بهم الى جبل قدسى وأفرجهم فى بيت صلاتى وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحى لان بيتى بيت الصلوة يدعى لكل الشعوب » (اشعيا ٥٦ : ٦ و٧) .

وفى نهاية المطاف . بقى ادعاء آخر مزعوم غالطت فيه الصهيونية كل العالم بجرأة وافتئات . فكما ادعت أن لليهود حقا فى أرض فلسطين العربى ركزته على تحريف واضح ومغالطات مكشوفة أوضحنا حقيقتها مؤيدة بالبراهين الصادقة من الكتاب المقدس ، كذلك زيفت الصهيونية أيضا اسما للدولة التى أقامتها لاتباعها من اليهود الذين استغلته لتنفيد سياستها الاستعمارية فى هذا الجزء من العالم . فأطلقت على اليهود الذين حشدتهم فى فلسطين اسم « دولة اسرائيل » . وتريد الصهيونية بهذا الاسم واكمالا لمغالطاتها أن تربط بين هذا الحشد المتنافر وبين مزاعم عقائدية لا يرتبطون فى الحقيقة بها ، وأن تكسبهم صفة لا حق لهم فيها . ان نسبة هؤلاء اليهود الى « دولة اسرائيل » أريد به ايهام العالم ان هذه الحفنة الضالة لا تزال « جند الرب » . وهو الاسم الذى أراد الله سبحانه وتعالى أن يضيفه على سيدنا يعقوب حين لقبه « باسرائيل » بعد أن أصبح أباً للأسباط « فقال له ما اسمك . فقال يعقوب . فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل اسرائيل . لانك جاهدت مع الله والناس وقدرت » (تكوين ٣٢ : ٢٧ - ٢٨) . وعلى هذا اللقب سمي نسل يعقوب « بنى اسرائيل » .

(١) بيت المقدس (اورشليم) .

ولكن بمجيء السيد المسيح الى العالم وتبشيره برسالته نزع هذا الاسم «اسرائيل» عن عصبة الضلال التي أصرت على عدم الاعتراف بنبوته وعدم الايمان برسالته ، نزع الله تعالى عنهم وأضفاه على من دخل حظيرته سبحانه على هدى من رسالة المسيح الذى أرسل من الله ليرعى شعبه وجنوده . وفى ذلك يقول سبحانه بلسان النبوة عن « بيت لحم » الذى ولد فيه المسيح عليه السلام « لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى اسرائيل» (متى ٢ : ٦) .

ومن الواضح أن شعب الرب وجنده الذين أرسل المسيح ليرعاهم هم الذين آمنوا ويؤمنون بمجيئه الى العالم مسيحا مرسلا من الله ، فاعترفوا ويعترفون برسالته . أما الذين ضلوا فأسلموه الى الموت منكرين نبوته ورفضوا ويرفضون الاعتراف برسالته فلا يمكن أن يكونوا من شعب الله أو ينسبوا اليه سبحانه ، ولا يمكن أن يستحقوا الانتساب الى «اسرائيل» أو « جند الرب » .

وهذه الدولة التى اغتصبت أرض فلسطين الطاهرة هى أولا وأخيرا وليدة مؤامرات وتدابير الصهيونية العالمية نبتت على أسس من تحالف الاستعمار مع مكائد الصهيونية وغشها وخداعها . لذلك فقد أكلت العصبة المارقة سبك أكاذيبها . فاختارت للدولة التى سعت الى غرسها فى الشرق الأوسط وفى فلسطين العربى اسما مزيقا تدعى به لها أمام العالم زعما لا سند له من حق أو عقيده وارتباطا بماض ليس بينها وبينه أى رباط .

فهرست

الموضوع	الصفحة
اهداء الكتاب	٣
مقدمة	٥
تمهيد	٧
الجزء الأول :	
من التاريخ	١١
الباب الأول :	
البداية والحرب العالمية الأولى	١٣
الباب الثاني :	
ما بين الحربين العالميتين	٣٤
الباب الثالث :	
الحرب العالمية الثانية	٤١
الباب الرابع :	
ما بعد الحرب العالمية الثانية	٤٧
الباب الخامس :	
الدولة اليهودية	٥٧
الجزء الثاني :	
من الكتاب المقدس	٧٧

الموضوع	الصفحة
الباب الأول :	
أرض الميعاد ووعد الله	٨١
الباب الثاني :	
بنى اسرائيل	٨٨
الباب الثالث :	
اسرائيل ويهوذا	١٠٢
الباب الرابع :	
اليهود	١١٥
الباب الخامس :	
سفك الدم المقدس	١٢٩
الباب السادس :	
بطلان ادعاءات اليهود	١٣٩

اللائحة القومية للطبائفة والنشئة

الدار القومية للطباعة والنشر

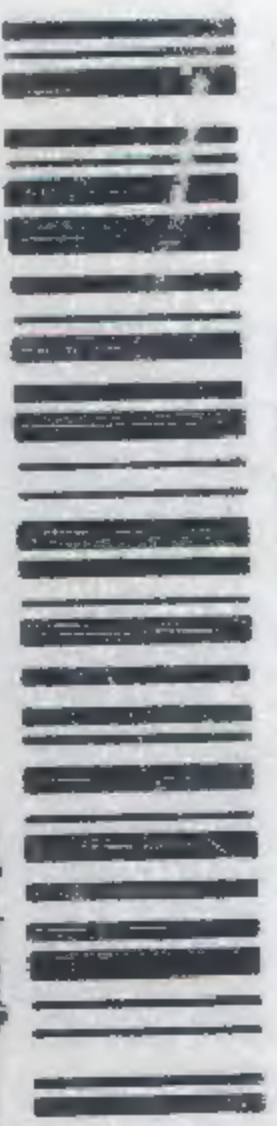
العدد ٢٩٦

—٥—

الشمس ٥

١٩٦٥/١/٢٢

Bibliotheca Alexandrina



0696508